

جامع التواريخ

تأليف

رشيد الدين فضل الله الهمذاني

تاريخ خلفاء جنكيز خان

من أوكتاى قاآن إلى تيمور قاآن

نقله إلى العربية

الدكتور

فؤاد عبد المعطي الصياد

أستاذ بجامعة عين شمس

وجامعة قطر

راجعه وقدم له

الدكتور

يحيى الخشاب

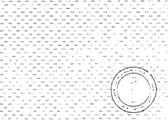
عميد كلية الآداب

بجامعة القاهرة سابقاً

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ص. ب ٧٤٩



Ahmad Sàeed Rizq

جامع التواريخ

وقبل أن يلي كيوك خان العرش ، يذكر رشيد الدين أن الأمراء الأنجال والأمراء تشاوروا في الأمر ، ورأوا أن كوتان الذي رشحه جنكيز للخانية مريض ، وأن توراكنه خاتون تميل إلى كويوك ، وأن المصلحة تقتضي تنصيبه على العرش ولكن كيوك أظهر التأني عند القبول حسب الرسم - وأخذ يحيل الأمر إلى كل أمير معتذرا بضعفه واعتلال صحته . فلما ألحوا عليه ، قبل بشرط أن تبقى الخانية في ذريته ، فكتبوا عهدا أقروه جميعا .

وفي أيام منكو قاآن بدا الخلاف بين أولاد جنگيز . وكان جنگيز حريصا على أن يبقى الوئام بين أبنائه جميعا حتى لا يظفر بهم العدو .

وبعد وفاة قوبيلاي قاآن، أرسلت الزوجة الكبرى « كوكجين خاتون » إلى ابنها تيمور ليحضر حتى يجلس على عرش أبيه . ولكن أخاه كملا ، وهو أكبر سنا من تيمور ، نازعه في الأمر . فلما اجتمع مجلس الشورى ، وتنازع الأخوان أمامه ، قالت الأم : إن قوبيلاي أمر بأن يجلس على العرش أكثرهما دراية بحكم جنگيز ، وطلبت إلى كل منهما أن يتحدث بما يعرف ليحكم الأمراء بينهما . ولما كان تيمور بليغا فصيحا ، فقد أخذ يشرح الأصول والقوانين الجنگيزخانية بفصاحة . فأيد الأمراء جلوسه على العرش .

وهذا يبين قوة المرأة في العهد المغولي ، وتأثيرها في اختيار الخان ، وكان الخان يختار أربعة من بين أبنائه يسميهم « چهار كولوك » أي الأركان الأربعة، ومعنى « كولوك » الرجل الذي لا يتعب ، الرجل الجلد . وكان تولوي أصغر أبناء جنگيز أحد هؤلاء الأربعة . وكان لقوبيلاي أربعة أولاد هم الأركان الأربعة وهكذا .

وإذا كان أبناء جنگيز المختارين لهذا التشريف من زوجه « بورته فوجين » ، وأبناء قوبيلاي الذين كانوا أركانا من زوجه « چابوي خاتون » ، فإن هذا قد يحملنا على القول بأن أبناء الزوجة الأثيرة عند الخان كانوا ينالون هذا الامتياز .

وكان الاحتفال بجلوس الخان رائعا . يحدثنا رشيد الدين عن جلوس منگوقاآن على سرير الخانية فيقول :

« في اليوم الثاني أقاموا حفلا في خيمة كان الصاحب يلواج قد أعدها وزينها بالأنسجة الحريرية الملونة والمزركشة بالذهب . وهي خيمة لم يقم أحد مثلها من قبل ، ولا شُيد سرادق على نسقها . وقد تربع على العرش ملك العالم واجتمع مع حاشيته وآله كعقد الثريا ، على يمينه إخوته السبعة الأمراء يقفون على خدمته في أدب ، وعلى يساره الخواتين كالحور العين ، على حين كان السقاةَ ذوو الجوارب الفضية يطوفون بكؤوس القميز (اللبن الحامض) وأباريق الشراب وأكوابه ، وقد وقف بين رؤساء الفرق مقدمهم « منكاسار » في موضع السلحدار كالعبد ، واصطف الكتاب والوزراء والحجاب والنواب ، ومقدمهم « بلغاآقا » كل في مرتبته ومقامه ، وفي خشوع وقف بقية الأمراء خارج السرادق ، كل في موضعه . ودام الاحتفال على هذا النحو أسبوعا . وتقرر لبيت الشراب كل يوم الفا دن من الشراب والقميز ، وللمطبخ ثلاثمائة رأس من الخيل والبقر ، وثلاثة آلاف رأس من الغنم وكانوا يذبحونها على طريقتهم المألوفة (بشق بطونها وانتزاع قلوبها) .

(٣)

وفي هذا الجزء أيضا بيان بالإصلاحات الإدارية والمالية التي أمر بها منكوقاآن . يقول رشيد الدين . إنه اتجه إلى الترفيه عن الرعايا وتخفيف الأعباء عنهم ، فاختار الجد على الهزل ، وترك إدمان الشراب . وقد أمر باسترداد المراسيم والپايزات[1] التي حصل عليها بعض الكبراء في عهود جنگيز ومن خلفوه ، واشترط :

١ - ألا يمنح أحد من الأمراء حقا يتعلق بمصالح الولايات قبل استطلاع رأي نواب الحضرة .

٢ - ألا يستعمل الرسل الكبار أكثر من أربع عشرة دابّة في تنقلاتهم ، مع تعيين العلف اللازم .

---

(١) الپايزة لوحة من الذهب أو الفضة أو الخشب حسب رتبة المهداة إليه ، في حجم الكف تشبه الميدالية في العصر الحديث . ينقش على وجهها اسم الله عند المغول واسم الخان المانح وعلامة خاصة (أسمى أنواعها ما كانت تزينه صورة الأسد) . وتهدي الپايزة إلى من يثق بهم المغول من كبار رجال الدولة ، كما أنها تتضمن أمر الخان لسفرائه ، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من في دولة المغول

٣ - أن يذهب الرسل من منزل للبريد إلى المنزل الذي يليه ، فلا يأخذوا دواب الناس في الطريق .

٤ - ألا يستخدم التجار خيول البريد .

٥ - أن يعدل المشتركون في التجارة (من الأمراء والأثرياء) مع شركائهم من الرعية ، فلا يكلفونهم فوق طاقتهم .

٦ - أن يؤدي كل مكلف ما عليه من الأموال دون مماطلة أو اعتذار .

٧ - يستثنى من الرعية طوائف تعفى من الخراج ، وهي طوائف رجال الدين من المسلمين (السادات والمشايخ والأئمة) . ومن النصارى (كبار القسس والرهبان والأحبار) . ومن البوذيين (اللامات المشهورين) .

٨ - ويعفى من كافة التكاليف الشيوخ العاجزون عن العمل والكسب .

وحُدد للخراج مبلغ سنوي . وكان الثري الكبير من أهل بلاد الخطا يدفع أحد عشر دينارا . وينقص هذا القدر تدريجيا حسب قدرة المكلف حتى يبلغ دينارا واحدا في السنة . وسرى هذا الحكم على ما وراء النهر . أما في خراسان والعراق فكان الحد الأعلى سبعة دنانير . وتقرر بالنسبة للمواشي أن يدفع من يملك أكثر من مائة رأس من الماشية رأسا عن كل مائة إذا كانت ترعى في أرض الخراج الديواني (قوبچور) ويعفى من يملك أقل من مائة رأس .

(٤)

كذلك يتضح من هذا الجزء الذي نقدم له كيفية معرفة درجات الحكام ، فقد وضع المغول لكل بلد أو ولاية اسما ذا معنى خاص . وتتبين درجات الحكام ومراتبهم من أسماء تلك المدن بحيث لا يحتاج إلى كتابتها في المراسيم ، فهي تبين قدر كل حاكم ، وفي أي مرتبة يجلس في حضرة الخان . ومن كل مرتبة يعرف أي الحكام ينبغي عليه أن يستقبل الحاكم الآخر ، ويركع له تحية واحتراما . وقد سميت المراتب ، وهي تسع على هذا النحو :

المرتبة الأولى : كينك (ولاية عظيمة بها مقر الخان) .
المرتبة الثانية : دو (مملكة بها عرش للخان) .
المرتبة الثالثة : فو (عاصمة ولاية) .

المرتبة الرابعة : چو (مدينة من الدرجة الثانية) .

المرتبة الخامسة : . . .[1] .

المرتبة السادسة : كون (ناحية حربية) .

المرتبة السابعة : هين (مدينة من المرتبة الثالثة) .

المرتبة الثامنة : چين (قصبة) .

المرتبة التاسعة : شون (قرية) .

وجعلوا للوظائف الكبرى ألقابا ، ذكر رشيد الدين منها :

١ - چينگسانگ : وهو لقب الأمراء العظام الذين تكون لهم النيابة والوزارة .

٢ - طايفو : وهو لقب أمراء الجيش .

٣ - نكشي : وهو لقب أمراء التوامين (التومان عشرة آلاف جندي) .

٤ - فنجان : وهو لقب الأمراء والوزراء ونواب الديوان إذا كانوا من - التازيك (المسلمين) أو الخطا (صينيي الشمال) أو - الاويغور (البوذيين) .

والرسم عندهم أن يكون في ديوان الخان أربعة برتبة چينگسانگ ، وأربعة برتبة فنجان للأقوام المختلفة : التازيك (المسلمين) - الخطا (صينيي الشمال) - الاويغور (البوذيين) - الأركاوون (النصارى) .

ومراتب الحكام على هذا النسق :

١ - چينگسانگ ، ٢ - طايفو ، ٣ - فنجان ، ٤ - يوچنيك ، ٥ - ژوچينيك ، ٦ - سم چينك ، ٧ - سمى ، ٨ - لنچون .

وفي ممالك الخان اثنا عشر ديوانا كبيرا « شينك » .

(٥)

عرف المغول نظام البصمات . ويقول رشيد الدين في هذا الجزء إنه قد

(١) هكذا في النص عند ذكر الإصلاحات العمرانية والنظم الإدارية .

تحقق وثبت بالتجربة أن بصمات أصابع الناس مختلفة عن بعضها ، فكان المغول إذا أقاموا حجة على أحد ، وضعوا ورقة الاتهام تحت إصبعه ، ورسموا خطا عند موضع البصمة حتى إذا ما أنكر ، بصم على ورقة أخرى ، وقابلوها بالبصمة السابقة . فإن كانت مطابقة لها ، عجز عن الإنكار .

وكان المتهم يمر بستة أنواع من المحاكم هي : ليشه ، لوشه ، چيبون ، توچنيون ، زوشتائي ، سنويشه . وبعد فوات المتهم بهذه الدرجات الست من القضاء ، يعرض أمره على الديوان الأعظم ، ديوان الخان ، واسمه « شينك » . وفي محكمة هذا الديوان يقضي له أو عليه وفقا لفرمان الخان .

وإذا كان المذنب أميرا ، فإنه حين يدخل على الخان ، ويوضع على كاهله باب الخيمة مقلوباً إشعارا له بالذلة والمهانة .

(٦)

ويتضح من هذا القسم من جامع التواريخ أن رجال الدين عامة كانوا يتمتعون برعاية خاصة في عهد المغول . فرشيد الدين يحدثنا عن إعفاء المسلمين والنصارى والبوذيين من الخراج . وحين يتحدث من منگوقاآن يقول : إنه اختص المسلمين بالرعاية وميزهم عن أهل الأديان الأخرى ، ويضرب مثلا على ذلك ما حدث في عيد الفطر عام ٦٥٠ (١٢٥٢) حين حضر القاضي جلال الدين محمود الخجندي وجماعة من المسلمين إلى باب الخان ، فخطب جلال الدين فيمن معه ، وأمهم للصلاة بعد أن تلا الخطبة باسم الخليفة ، ودعا فيها لمنگوقاآن ، وأثنى عليه . فأمر هذا بمنحة « العيدية » تكريما له فأعطوه أكياس الذهب والفضة والألبسة الثمينة .

وفي عهد قوبيلاي كان ابن السيد الأجل البخاري وزيرا . ويذكر رشيد الدين قصة إخلاصه ووفائه للقاآن ، فظل لديه معززا مكرما ، ولم تلحقه نكبة ، وإنما توفي بانقضاء الأجل وهذا من النوادر . ثم يتحدث رشيد الدين عن وزارة أحمد البناكتي .

وفي إمارة تيمور، كان ابن السيد ناصر الدين حفيد السيد الأجل يشغل وظيفة رئيس الفنجانية .

كذلك يحدثنا رشيد الدين عن قصة التجار المسلمين الذين وفدوا على بلاط قوبيلاي فلما دعاهم للأكل رفضوا وقالوا ، إن هذا الطعام (اللحم) يعد ميتة عندنا فغضب الخان وأمر بتحريم ذبح الأغنام على طريقة المسلمين . ومن أراد أن يأكل منهم لحمها عليه بشق صدرها وجنوبها على عادة المغول ، وأمر بأن من يذبح شاة يذبح مثلها وأدى هذا إلى عجز المسلمين عن تأدية السنة في عيد الأضحى أربع سنوات ، وهاجر أكثرهم من بلاد الخطا . فلم يسع قوبيلاي إلا أن يأمر بإباحة الذبح على الطريقة الإسلامية لما تبين له اختفاء البضائع الثمينة التي كان يتجر بها المسلمون ، ونقص حصيلة الخراج لهجرة التجار منهم .

ويطلعنا رشيد الدين على كيد النصارى للمسلمين في بلاط قوبيلاي ، فيروي أنهم قالوا إن بالقرآن آية تقول : « واقتلوا المشركين كافة » . فنادى الخان علماء المسلمين ، وقال كيف تقولون ذلك ؟ وكاد يقتل بهاء الدين البهائي لأنه لم يعرف كيف يجيبه . وأنقذ الموقف مولانا حميد الدين السمرقندي الذي شرح للخان أنه لا يعد مشركا ، لأنه يكتب اسم الله العظيم على صدر الفرمان .

وكان للقب « السيد الأجل » مكانة كبيرة عند المسلمين ، فلقب المغول به الوزير الكبير ، وأطلقه تيمور على « بايان فنجان » .

وفي عهد تيمور أسلم الأمير آننده . وآننده هو ابن مينكقلان الابن الثالث لقوبيلاي . وكان قد عهد بتربيته إلى مسلم من التركستان اسمه « مهتر حسن الاقتاجي » ، وأرضعته السيدة زليخة زوج هذا المسلم . فنشأ الأمير على حب الإسلام ، وشرع في حفظ القرآن وتعلم العربية . وأجاد كتابة الخط العربي ، وعمل على إسلام أكثر جند المغول ، وكانوا قرابة مائة وخمسين ألف رجل . وكان في حاشيته مغولي اسمه سرتاق . كان يستنكر إسلامه . فذهب إلى الخان ، وشكا إليه آننده قائلا : إنه يلزم المسجد دائما ، وأنه يقضي وقته في الصلاة والصوم وتلاوة القرآن ، وأنه ختن أكثر أطفال المغول ، وأدخل أكثر الجند في الإسلام . وغضب الخان حين سمع ذلك ، وبعث إلى آننده من يثنونه عن الإسلام ويحثونه على عبادة الأصنام . فأبى أن يسجد لغير الله . ولما علم الخان باستمساكه بالإسلام ، أمر بحبسه . ولكن آننده لم يحد عن دينه ، وكان يقول « إن آباءنا كانوا جميعاً موحدين ، ولم يسجدوا للأصنام . ثم استدعاه

الخان وقال له : « أخبرني هل هي رؤ يا رأيتها أم إلهاماً سمعته ، أم واجهك أمر أم أرشدك أحد إلى الإسلام ، وقد يهديني أنا أيضاً ؟ . . . » فأجاب آنَنده : « إنما هداني الخالق الأكبر إلى معرفته » . فقال الخان : « إنما هداك - الشيطان إلى ذلك الطريق » . فأجاب آنَنده « لو كان الشيطان هو الذي أرشدني فمن الذي أرشد غازان خان الذي هو أخي الأكبر؟ » . صمت الخان ، وأخذ يفكر وتدخلت كوجكين خاتون ، وحذرت الخان من إغضاب الجنود الذين أسلموا ، وأهل تنكقوت وهم مسلمون . فأطلق سراح آنَنده .

وقد شجع آنَنده على المضي في نصرة الدين الإسلامي ما عرفه من أن غازان ، ملك الإسلام ، قد أدخل جميع المغول في إيران في هذا الدين ، فعمل على الاقتداء به .

وسوف يكون إسلام المغول موضوع مقدمة الجزء الخاص بغازان إن شاء الله .

يحيى الخشاب .

بداية تاريخ أوكتاي قاآن بن چنگيز خان

سنذكر الحكايات التي تختص به مما صدر عنه من أعمال وأقوال في باب الملك والعدل والبذل ، وذلك غير ما يكون مندرجا في تواريخ أبيه وإخوته وأقاربه حتى يتضح للقارىء من هذا على الفور أن سبب تقديم تاريخه على تاريخ أخويه : جوجي وجغتاي اللذين كانا أكبر منه سنا ـ هو أنه كان ولي عهد چنگيز خان ؛ « وقاآن »[1] ، فأعقب ملكه ملك چنگيز خان ترتيبا للخانية .

القسم الأول ـ في تقرير نسبه ، وشرح مفصل لزوجاته وشعب أبنائه الذين تفرعوا حتى ذلك الوقت ، وصورته ، وجدول فروع أبنائه .

القسم الثاني ـ في تاريخ ملكه وأحداث عهده ، وصورة العرش والزوجات و« الأمراء الأنجال »[2] والأمراء في حالة جلوسه على سرير الخانية ،

---

(١) لفظ قاآن (خاقان) لقب أطلقه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم ، ومعناه رئيس الرؤساء أو أعظم الحكام . أما لقب (خان) فكانوا يطلقونه على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الإمبراطورية المغولية . وقد استعمل المغول لقب (خان) أيضا بمعنى (خاقان) ، وربما كان ذلك من باب الرغبة في الاختصار (انظر المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ـ القسم الثاني ، ص ٣٠٧ ، حاشية ٤) .

(٢) اخترنا هذه الترجمة لكلمة (شاهزاده) للتفريق بينها وبين كلمة (أمير) العربية ؛ إذ أننا كثيرا ما نجد هذين اللفظين متتاليين في مواضع عديدة من كتاب جامع التواريخ .

وذكر الحروب التي قام بها ، والفتوح التي تيسرت له .

القسم الثالث ـ في سير أخلاقه الحميدة ، والنصائح الغالية والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها ونصح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده ، مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقا ودون ترتيب من شتى الكتب والأشخاص .

(القسم الأول)

في تقرير نسبه ، وإيراد شرح لزوجاته ، وتفصيل شعب أبنائه وأحفاده الذين تفرعوا حتى ذلك الوقت ، وصورته وجدول فروع أبنائه

أوكتاي قاآن هو الابن الثالث لجنكيزخان ، وزوجته « بورته فوجين » التي كانت أما لخمسة بنين مشهورين ، وخمس بنات بارزات . وهي من قبيلة قونقرات ، وابنة « دي نويان » . وقد ورد ذكر إخوتها وأخواتها بالتفصيل في تاريخ جنكيز خان .

وكان اسم أوكتاي في أول أمره . . .[1] فلم يعجبه ، فجعلوه « أوكتاي » . ومعنى هذا اللفظ العروج إلى الجبل . وقد اشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير والثبات والوقار والفتوة والعدل . ولكنه كان ميّالا إلى اللهو والشراب . ولهذا السبب كان جنكيز خان يؤنبه أحيانا ويزجره .

ولما كان جنكيز خان قد خبر أحوال أولاده ، وعرف ما يناسب كل واحد منهم من الأعمال ، كان مترددا في أمر العرش ، فكان أحيانا يفكر في إسناده إلى أوكتاي ، وأحيانا كان يرى أن يعهد به إلى ابنه الأصغر « تولوي » .

ومع أنه كان من عادات المغول ورسومهم ـ منذ القدم ـ أن يتعهد الابن الأصغر بالإشراف على الموطن والمقام الأصلي وبيوتات الوالد ، فإن جنكيز خان

(١) هكذا في الأصل

صرح بعد ذلك قائلا : « إن شئون العرش والملك شئون عسيرة ، وأوكتاي يعرف هذه الأمور . وأما تولوي فيعرف كل ما حصلت عليه من بقاع وأملاك وأموال وخزائن ، وما جمعته من جند » . وكلما شاور أبناءه في هذا الموضوع ، كانوا يرون رأي أبيهم ، ويوافقونه عليه موافقة تامة ، ويتحمسون له . وأخيرا عندما طرأ المرض على جنگيز خان في ولاية تنكقوت ـ كما سبق ذكره ـ عقد خلوة واختار أوكتاي وليا للعهد ، وخصه بالعرش والملك .

كذلك رسم لكل واحد من أبنائه طريقا خاصا ، وصرح قائلا : « إن كل من يميل إلى . . .[1] فليلحق بجوجي . وكل من يريد أن يعرف القوانين والآداب والحكم معرفة جيدة ، فليذهب إلى چغتاي . وكل من ينشد الفتوة والسخاء ، ويطلب النعمة والجاه فليتقرب إلى أوكتاي . وكل من يبغي الشجاعة والشهرة وإلحاق الهزيمة بالجيوش ، وفتح البلاد فليلازم تولوي » . وثبت أيضا الأبناء والأمراء والجنود . وكما ذكرنا من قبل في تاريخه ، أعطى كل واحد منهم نصيبا معينا ينفرد به .

ذكر زوجاته ومحظياته

كان لأوكتاي قاآن زوجات كثيرات ، كما كان له ستون محظية ، إلا أن زوجاته المشهورات كن أربعا هن :

الزوجة الأولى ـ بورا قچين من قبيلة . . .[1] بنت . . .[1] وكانت أكبر الخواتين شأنا .

الزوجة الثانية ـ توراكنه من قبيلة « أوهات مركيت » . وقد ورد في بعض الأقوال أنها كانت زوجة « طاير أوسون » زعيم قبيلة « أوهات مركيت » . فلما قتل زوجها جيء بها أسيرة ، فتزوج منها أوكتاي قاآن . وكان طاير أوسون قبل ذلك قد زوج ابنته « قولان خاتون » من جنگيز خان . وفي قول آخر أن توراكنه

(١) هكذا في الأصل .

كانت من هذه القبيلة . لكنها لم تكن زوجة لطاير أوسون . ولم يكن لتلك الخاتون جمال بارع ، ولكنها كانت ذات سلطان كبير . وقد حكمت مدة كما سيأتي في تاريخ كيوك خان .

ومصداقا [لسيطرتها وتحكمها] أنها لم تأبه بوصّية جنگيز خان ، ولم تسمع كلام الإخوة الكبار والصغار ، وأثارت الفتن بين أفراد الأسرة الجنگيزخانية كما سيأتي شرحه في تاريخ كيوك خان . . .[1] بنت من قبيلة . . .[1] .

ذكر أبناء أوكتاي

كان لأوگتاي قاآن سبعة أولاد . وكانت توراكنه خاتون أما للخمسة الكبار منهم . أما الاثنان الآخران فقد ولد كل منها من محظية .

وتفصيل ما عرف من أسماء هؤلاء الأولاد السبعة وأسماء أحفادهم مشروح على الوجه الآتي :

الابن الأول ـ كيوك

موطنه في أرض قوماق بموضع يقال له « بري منكراق » و« إيمل » و« يورساور » . ومع أن ولي عهد أوگتاي كان حفيده « شيرامون » إلا أنه بعد وفاة القاآن ، خالف وصيته توراكنه خاتون وأولادها ، وأجلسوا كيوك خان على عرش الخانية على الرغم من ابتلائه بالأمراض المزمنة طول عمره . وسوف ترد أحواله مشروحة مفصلة في تاريخ مستقل .

وكان لكيوك خان ثلاثة أولاد على هذا الترتيب :

الأول ـ خواجه اغول : أمه « أوقول قيميش » خاتون من قبيلة . . .[1] .

الثاني ـ ناغو : والدته أيضا أوقول قيميش خاتون . وكان له ابن اسمه « چابات » .وعندما قدم « براق » إلى إيران لمهاجمة آباقاخان ، أرسل چابات هذا

---

(1) هكذا في الأصل .

مع ألف رجل من خاصته لمساعدته . لكنه رجع غاضبا قبل المعركة . فلما بلغ بخاري ، أرسل بيكتيمور بن براق جندا يتعقبونه ، ليقبضوا عليه . ففر مع تسعة من الفرسان ، وسلك طريق « چول » ، وذهب إلى قايدو . وقد اعتراه المرض بسبب ذلك الخوف ، وتوفي بذلك المرض .

الثالث ـ هوقو : كانت أمه محظية ، ويقال إن له في هذا الوقت حفيدا اسمه « توكمه » . كان ينازع جابار بن قايدو ، ولا يطيع أمره ، ويقول : « إن الحكم يصل إليّ » . وكان اسم والده توكمه .

وسيأتي ذكر أحوال هؤلاء الأبناء الثلاثة مشروحة ومفصلة في موضعها في تاريخ چغتاي خان وآباقاخان إن شاء الله .

الابن الثاني ـ كوتان

أقطعه منگوقاآن أرضا في ولاية تنكقوت ، وأرسله مع جيش إلى هناك . وكان له ثلاثة أولاد على هذا التفصيل :

الأول ـ مونكاتمور . كانت أمه . . .[1] .

الثاني ـ كوپار : ولد من . . .[1] وكان له ولد اسمه ييسوبوقا .

الثالث ـ چنكتيمور : وكانت أمه . . .[1] وكان له أبناء ، ولكن أسماءهم غير معروفة .

ولما فكر أبناء أوكتاي قاآن وكيوك في الغدر والإيقاع بمنگوقاآن ، وكان أبناء كوتان هؤلاء على صداقة سابقة به ، كما كانوا مؤيدين له ، فإن منگوقاآن ـ بسبب ذلك ـ عفا عنهم ، ولم يتعرض لهم ، وأقرهم على جيوشهم التي كانت لهم . وذلك عندما أدان أبناء أوكتاي وكيوك ، وسيطر على جيوشهم .

ولما كانت ولاية تنكقوت موطنا لهم ، سمح قوبيلاي قاآن وابنه تيمور قاآن لأسرة كوتان بالإقامة هناك . وهؤلاء أيضا ـ جريا على القاعدة القديمة ـ

---

(١) هكذا في الأصل .

ظلوا أصدقاء للقاآن ومطيعين لأوامره . وفي ظل عنايته ازدهرت شئونهم ازدهارا تاما .

الابن الثالث ـ كوچو

شب هذا الابن مزودا بعقل وإقبال عظيمين . وكان منكُوقاآن يود أن يجعله وليا لعهده ، بيد أنه توفي أثناء حياة القاآن . وكان له ثلاثة أبناء على هذا النحو :

الابن الأول : شيرامون : وكانت أمه خاتون . . .[1] من قبيلة . . .[1] .

الابن الثاني ـ بلارجي : ولد من خاتون . . .[1] من قبيلة . . .[1] وملازم . . .[1] .

الابن الثالث ـ سوسه : وكانت أمه . . .[1] من قبيلة . . .[1] وكان ملازما لـ . . .[1] .

وعندما توفي كوچو كان ابنه الأكبر شيرامون على جانب كبير من العقل والكفاءة . وكان منكُوقاآن يعزه كثيرا بسبب حبه لأبيه . وكان يربيه في معسكراته ، فأشار بأن يكون وليا لعهده ونائبا له . ولكنه في نهاية الأمر غدر بمنكُوقاآن ، وكاد له ، فأدين بجرمه .

وحينما كان منكُوقاآن يرسل أخاه قوبيلاي قاآن إلى الخطا ، التمس قوبيلاي إلى أخيه ـ بسبب صداقته لشيرامون ـ أن يعفو عنه ، واصطحبه معه . ولما سار منكُوقاآن إلى « ننكياس » ولحق به قوبيلاي قاآن ، لم يثق بشيرامون ، وأمر بإلقائه في اليم .

الابن الرابع ـ قراچار

قيل إنه كان لقراچار هذا ابن واحد اسمه « نوطاق » . وكان موطنه في موضع . . .[1] .

(١) هكذا في الأصل .

الابن الخامس ـ قاشي

عندما ولد قاشي ، كان چنگيز خان قد استولى على ولاية قاشى التي يقال لها الآن تنكقوت ، فسموه قاشى . وقد توفي في شبابه بسبب فساده ، وإفراطه في شرب الخمر . ولأنه توفي في حياة أبيه ، غيروا اسم قاشى إلى قوريق . وبعد ذلك سموا تلك الولاية تنكقوت .

وكان له ابن اسمه قايدو . ولد من سنگه خاتون من قبيلة . . .[1] وقد بلغ من الكبر عتيا . وكان لا يزال حيا حتى السنة الماضية . وقد ربي قايدو هذا في معسكر چنگيز خان . وبعد أوگتاي قاآن صار ملازما لمنگو قاآن . وبعده كان يلازم « أريق بوكا » ، وسعى في إجلاسه على عرش الخانية . وعندما مثل أريق بوكا أمام قوبيلاي قاآن ، وأطاع أمره ، استشعر قايدو خوفا من قوبيلاي قاآن .

ورغم أنه لم يكن هناك قانون يسمح لأي مخلوق أن يغير أمر القاآن وإرادته ، ويكون آثما كل من يفعل ذلك ، رغم هذا خرج قايدو على القانون ، وارتكب عدة مخالفات ، وطغى وبغى . ومنذ ذلك الوقت حتى الآن هلك خلق كثير من المغول والتازيك[2] بسبب تمرده وعصيانه ، وخربت الولايات العامرة .

ولم يكن لقايدو أول الأمر جند وأتباع كثيرون ، إذ أنه في الوقت الذي فكرت فيه أسرة أوگتاي قاآن في الغدر بمنگوقاآن ، انتزع أتباعه منهم جندهم إلا جند أنجال كوتان ، فقد عفوا عنهم . ولكن قايدو كان في غاية العقل والكفاءة

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) كان الايرانيون أول من أطلق هذه الكلمة على العرب ، ثم انتقلت إلى الصينيين ، ويحتمل أن تكون قد وصلت أيضا إلى الترك .

ومن المعلوم أن دلالة هذه الكلمة قد تغيرت تماما . ففي القرن الحادي عشر الميلادي كانت تطلق على غير العرب ، وربما على الايرانيين . وأغلب الظن أن الأتراك أطلقوها أولا على العرب وحدهم ، ثم أطلقوها على كل المنتسبين إلى المدنية الإسلامية ، ثم بعد ذلك على الايرانيين خاصة لأن الأتراك كانوا يعرفونهم أكثر من غيرهم من المسلمين (انظر بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ، ص ٣٨) .

والدهاء ، فساس الأمور كلها عن طريق المكر والحيلة ، ودبر أمره ، وجمع ألفين أو ثلاثة آلاف من الجنود من كل ناحية .

ولما كان قوبيلاي يقيم في إقليم الخطا بغية فتح الماچين ، وكانت المسافة بعيدة ، تمرد قايدو . فلما استدعاه قوبيلاي هو وأسرته لحضور القوريلتاي[1] ، تذرعوا بالحجج في السنوات الأولى والثانية والثالثة ولم يذهبوا . وصار قايدو يجمع الجنود شيئا فشيئا من كل جهة . وأخذ يتودد إلى أعقاب جوجي ، وبمساعدتهم استولى على بعض الولايات ، فرأى قوبيلاي قاآن ضرورة إرسال جيش لصدهم ، ونصب ابنه نوموغان على رأس جمع كبير من الأمراء الأنجال والأمراء والجند .

ولكن في الطريق فكر أولاد عم نوموغان في الغدر به ، وقبضوا عليه وعلى قائد الجند « هنتوم نويان » ثم أرسلوا نوموغان إلى منكوتيمور من أسرة جوجي الذي كان ملكا على ذلك الأولوس[2] . كما أرسلوا هنتوم نويان إلى قايدو . وستأتي أخبارهم مفصلة في تاريخ قوبيلاي قاآن . ولا زال قايدو منذ ذلك التاريخ حتى هذا الوقت الذي ازدان فيه العالم بسعادة « سلطان الإسلام »[3] الميمون ـ خلد سلطانه ـ ثائرا على قوبيلاي قاآن وآباقاخان وذريته . وكان يطلق على آباقاخان وذريته اسم « شيغالداش » . كما كان قايدو يدعى بهذا الاسم . وفي الأيام السالفة كانوا يطلقون هذا الاسم على بعضهم البعض . ومعناه اتفاق الواحد مع الآخر في إقامة الولائم . وقد حارب قايدو قوبيلاي قاآن وآباقاخان عدة مرات كما سيأتي في التاريخ .

أما براق بن ييسون توا بن مواتوكان بن چغتاي فقد دربه قوبيلاي قاآن ، وأرسله ليحكم أولوس چغتاي ، ويحارب قايدو . فقدم براق واقتتلا ، ولكن

---

(1) يكتب أيضا قورولتاي ، وهو عبارة عن مجلس الشورى .
(2) أولوس بمعنى قبيلة وطائفة وجماعة (أنظر تاريخ وصاف ، ص ٦٤٥) .
(3) المراد به غازان خان .

انتصر عليه قايدو ، وأخيرا اتفقا ، وخرج الاثنان على القاآن وآباقاخان . وسيأتي ذكر تلك الأحوال في التواريخ .

وفي شهور سنة إحدى وسبعمائة (٧٠١ هـ = ١٣٠١ - ١٣٠٢ م) اتفق قايدو وبايدو بن براق على محاربة جيش تيمور قاآن ، فهزما وجرحا في تلك الحرب . وقد مات قايدو متأثرا بجراحه . أما بايدو فلا يزال مصابا بذلك الجرح ، عاجزا عن مداواته . والآن قد نصّبوا - مكان قايدو - ابنه الأكبر چاپار ، غير أن أحد إخوته « أوروس » وأمراء آخرين لم يرضوا بذلك ، واتفقت معهم في هذا الرأي أختهم « قوتولون چغان » . ويقال إن النزاع قائم بينهم .

ولا يعرف عدد أبناء قايدو على وجه التحقيق . فيقول البعض : إن له أربعين ولدا . لكنه قول مبالغ فيه . أما « نوروز » الذي أقام مدة هناك ، فقد قرر أنهم أربعة وعشرون ولدا . غير أن المعروف والمشهور منهم في هذه النواحي تسعة[1] بهذا التفصيل والترتيب :

الأول - چاپار . ولد من . . .[2] من قبيلة . . .[2] وهو الآن مكان قايدو . ويذكر الأشخاص الذين رأوه أنه كان نحيفا وهزيلا للغاية ، ووجهه ولحيته مثل أهل الروس والجركس .

الثاني - بانكيچار . ولد من . . .[2] قبيلة . . .[2] وهو جميل الطلعة وفاضل . وكان أبوه يحبه حبا جما . وقد انضم إلى جيش كامل العدة ، سار به نحو نايان بن قوينچي من ذرية « أورده »[3] . وهو يعرف أنهما لا يزالان معا ، لأنهما متحدان مع القاآن وسلطان الإسلام - خلد ملكه - .

---

(١) الملاحظ أن المؤرخ قال إن المشهورين من الأبناء تسعة ، على حين أنه ذكر خمسة عشر شخصا من هؤلاء الأبناء .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) المقصود به أورده بن جوچي .

وفي خريف سنة اثنتين وسبعمائة (٧٠٢ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٠٣م) سار الأمير خربنده على رأس جيش إلى سرخس ، وسمع أن جنود ساربان متجمعون في منطقة « مروجوق » فدهمهم وقتل الكثيرين ، وشن عليهم الغارات . وكان ساربان قد اعتزم أن يسير بجيش كبير إلى خراسان في ذلك الشتاء .

وكان أمامه أويغورتاي بن توقلوق بوقا ، وأخو نوروز أوبوداي ، فكانا يحرضانه على الفساد والتمرد ، فقدموا إلى حدود طوس مدفوعين بذلك التهور ، فتقهقر خربنده من سرخس عن طريق باورد ، ونظم جيشه بمعاونة أتباع ايلجيداي . وفجأة داهم الأعداء على حدود طوس .

وعندما تأهب الجيش للمعركة ، كان الوقت ليلا ، فتقهقروا ، ولاذوا بالفرار ليلا ، فتعقبهم الجنود حتى رباط « سنگبشت » ، فأرادوا أن يثبتوا للقتال ، ولكنهم لم يستطيعوا وفروا منهزمين . وقد عملت فيهم الثلوج والرياح ، فهلك خلق كثيرون ، ونفقت دواب عديدة . وقد وصل الأمر إلى حد أن أطراف الأمير « كزيك ساربان » قد عجزت عن الحركة ، واحتضن خادما له فتجمد الاثنان من شدة البرد وهلكا . ووصل بعض الضالين إلى منازلهم ، وكانوا قد قرروا مع قتلوق خواجه بن براق أن يلحقوا به في ضواحي هراة . ولكن لما كانت غور وغرجه وغزنة مغطاة بالثلوج ، لم يتمكنوا من المجيء ، ثم شتت شملهم ، واستأصل شأفتهم إقبال سلطان الإسلام - خلد الله سبحانه وتعالى ملكه - .

وهنا انتهى شرح أحوال أولاده .

ولقايدو بنت اسمها « قوتولون چغان » ، وكان يؤثرها على جميع أبنائه ، وكانت تسلك سلوك البنين . وقد حاربت عدة مرات في « القوات غير النظامية »[1] ، وأظهرت ضروبا كثيرة من الشجاعة . وكانت عند والدها محترمة وبارعة . ولم يزوجها والدها ، فاتهمه الناس قائلين : « لا بد أن له صلة غير مشروعة بابنته » .

وفي المرات العديدة التي كان يفد فيها رسل قايدو على حضرة سلطان

---

(١) ترجمة لكلمة « حريك »

الإسلام ـ خلد ملكه ـ كانت هذه الفتاة تبعث بالسلام والهدايا قائلة : « إني أريد الزواج منك ، ولا أقبل زوجا آخر . وخلال هذه السنوات القريبة زوجها والدها من رجل من الخطا ، لفرط الخجل من طعن الناس .

ولما مات قايدو ، *أظهرت رغبة شديدة في ترتيب الجيش وتدبير الملك* ، وأرادت أن يقوم أخوها « أوروس » مكان أبيه ، فنهرها « دوا » و« چاپار » قائلين : « أولى لك أن تشتغلي بالمقص والإبرة ! فما شأنك بالملك والرعية . . . ؟ » فتضايقت منها بسبب ذلك ، وصارت تتحاشاهما ، وتميل إلى جانب أوروس ، وتثير الفتن والقلاقل .

وقد استولى أحد أحفاد أوگتاي قاآن المسمى قايدو ، والذي سيطر في هذه السنين على لفيف من رعايا أوگتاي قاآن عن طريق التغلب والاستيلاء والكر والفر .

هذا ما ذكرناه على سبيل الإجمال حتى وقتنا هذا . والآن نستأنف الحديث عن سلسلة أبناء القاآن .

الابن السادس ـ قدان اغول

كانت أمه محظية اسمها « اركنه » . وقد ربي في معسكر چغتاي . وكان ملازما لقوبيلاي قاآن إبان تمرد اريق بوكا . وفي المرة الثانية التي كان يرسل فيها القاآن جيشا لمقاتلة أريق بوكا ، جعل قدان أغول على مقدمة الجيش . وقد قتل مقدم جيش اريق بوكا حامل العلم . وبعد ذلك صار يلازم قوبيلاي قاآن .

وكان لقدان ستة أولاد على هذا الترتيب :

الأول ـ دورچي ، وكان له ولدان هما : سوسا واسكبا .

الثاني ـ قپچاق ، وهو الذي كان عند قايدو . وكان بينه وبين براق اتفاق وألفة ، فأرسله قايدو إلى إيران لمساعدة براق ، ولكنه عاد متأثرا محزونا . ولقپچاق ابن اسمه « قورتل » .

الثالث ـ « قدان أبوك » ، وكان له ولدان هما لاهوري ومباركشاه .

الرابع - « يبه » ، وكان أيضا ملازما لقايدو . وكان له ولدان هما : اوركتيمور وايسنتيمور .

الخامس - ييسودر ، وأولاده غير معروفين .

السادس - قورمش ، لم يعرف شيء عن أولاده . وكان قايدو قد أرسل أوركتيمور هذا إلى حدود خراسان . وعندما فر « نوروز » ، اتصل في تلك الجهة بأروكتيمور ، وزوجه من ابنته . ولما عاد بعد فراره اتهم أوركتيمور بمشايعة سلطان الإسلام - خلد ملكه - فاستدعاه قايدو وقتله . وكان لاوركتيمور أحد عشر ولدا هم : كورسيه - توقلوق بوقا - قوتلوق خواجه - توقلوق تيمور اباجي - كوچتيمور - چينتيمور - چين بولاد - أرقون - محمد - علي - كورسيه .

والآن يقيم بعض إخوته في منطقة خراسان ، وهم على وفاق مع ساربان بن قايدو . وهو متهم أيضا عندهم بالسبب المذكور . ويبدو أن چاپار كان قد دعاه ثم أوفده . وكان لايسنتيمور ولد اسمه علي خواجه .

الابن السابع - ملك

كانت أمه محظية . وقد ربّاه « دانشمند حاجب » في معسكر أوكتاي قاآن . . .[1] توقان بوقا بوقان .

---

(١) هكذا في الأصل .

(القسم الثاني) من تاريخ أوگتاي قاآن

في تاريخ ملكه وأحداث عهده، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على سرير الخانية، وذكر الحروب التي قام بها والفتوحات التي تيسرت له

ذكر مقدمات الأحوال في ملكه، وتفاصيل جلوسه على سرير الخانية

لما توفي چنگيز خان بالأجل المحتوم على الخلق في «قاقاييل» أي عام الخنزير، الواقع في شهور سنة أربع وعشرين وستمائة (٦٢٤ هـ = ١٢٢٦-١٢٢٧م) في نواحي تنكقوت. وذلك في الوقت الذي كان قد توجه فيه من هناك إلى ولاية ننكياس. وكما ذكر في تاريخه أحضروا نعشه إلى «كلوران» موطنه الأصلي، وأقاموا مراسم العزاء. ثم تشاور جماعة الأمراء الأنجال والأمراء في شأن الملك، وذهب كل منهم إلى محل إقامته، ومكثوا هناك حسب المقرر.

وقد ظل العرش والملك خاليين من ملك قرابة سنتين. وأخيرا فكروا في أنه قد يحدث أمر ما، وليس هناك رئيس ولا ملك معين، فيتطرق الفساد والخلل إلى أساس الملك. فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية. وبهذا الفهم الدقيق تبادلوا الرسل فيما بينهم من الجهات المختلفة، وانشغلوا بعقد القوريلتاي.

وعندما خفت حدة البرد، وظهرت بشائر الربيع، توجه من كل صوب الأمراء الأنجال والأمراء شطر الموطن القديم، والمعسكر العظيم، فحضر من جهة القپچاق أبناء جوجي: أورده - باتو - شيبان - تنكقوت - «بركه بركچار» -

« بوقاتيمور » . وقدم من قياليغ چغتاي خان مع سائر الأولاد والأحفاد . ومن إيميل وقوبان : أوگتاي قاآن مع أولاده وذريته . ومن نواحي الشرق أعمام أبناء چنگيز خان : أوتچگين ـ « بيلكوتاي نويان » وابن عمهم ايلجيداي نويان بن قاچيون . كذلك حضر من جميع الجهات إلى كلوران عامة الأمراء وقواد الجيش . وكان موجودا هناك تولوي خان الملقب بـ « يكه نويان » و« الغ نويان »[1] . وهو رب الدار ، والمشرف على الموطن الأصلي لأبيه .

وقد ظلت هذه الجماعة المذكورة ثلاثة أيام بلياليها في متعة وأنس وطرب . ثم أخذوا يتبادلون الأحاديث بشأن تدبير شئون الممالك والملك ، إلى أن استقر رأيهم على إسناد منصب « القاآنية » إلى أوگتاي قاآن عملا بوصية چنگيز خان .

وعلى هذا شرع الأبناء والأمراء جميعا في مخاطبة أوگتاي قائلين : « تنفيذا لحكم چنگيز خان ، ينبغي إجلاسك على عرش الملك ـ بعون الله ـ حتى يشد الرؤساء المتمردون منطقة (حزام) العبودية على وسطهم ، وليطيع أوامرك البعيد والقريب من الترك والتازيك .

فرد عليهم أوگتاي قائلا : « ولو أن وصية چنگيز خان تكون نافذة بهذا الإجراء ، غير أن هناك الأخ الأكبر والأعمام ، وخاصة الأخ الأصغر تولوي خان ، فإنه أجدر بتقلد هذا الأمر والالتزام به ، ذلك لأنه ـ حسب تقاليد المغول ورسومهم ـ يقوم الابن الأصغر من البيت الأعظم مقام الأب ، ويتعهد مقامه وداره . وألغ نويان هو الابن الأصغر في المعسكر الكبير . وكان يلازم أباه ليلا ونهارا ، وفي كل الأحوال . وقد رأى وسمع وعرف التقاليد والقوانين . فكيف أجلس على عرش القاآنية مع وجوده وحضورهم ؟ . . . » .

فقال الأمراء الأنجال جميعا : « لقد فوض إليك چنگيز خان هذا الأمر

---

(1) « الغ » بمعنى كبير و« نويان » بمعنى أمير أي الأمير الكبير .

العظيم من بين الأبناء والإخوة ، ووكل إليك الحل والعقد فيه ، فكيف يتسنى لنا أن نغير أو نبدل حكمه المحكم وأمره المبرم ؟!...» .

وبعد الإلحاح والمبالغة في الإصرار ، وجد أوگتاي قاآن أن عليه أن يمتثل للأمر ، وأن يعمل بإشارة أعمامه وإخوته ، فرضي بقبول هذا المنصب . وعندئذ رفع الجميع القلانس عن رؤوسهم ، وألقوا الأحزمة على أكتافهم . وفي «هوكاربيل» أي عام البقرة الموافق شهور سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) ، أخذ جغتاي بيد أوگتاي اليمنى ، وأخذ تولوي خان بيده اليسرى ، وأمسك عمه أوتچگين بمنطقته (حزامه) ، وأجلسوه على سرير الخانية . ثم رفع تولوي خان كأساً ، فرفع الحاضرين بدورهم كؤوسهم داخل البلاط وخارجه ، وباركوا الملك بخانيته ، ولقبوه بالقاآن .

بعد ذلك أشار الخان بإحضار الأموال والخزائن ، وأمر بتوزيعها على كل فرد من الأقارب والأباعد والعشائر التي لا تحصى كل حسب جهده . وعندما فرغ من إقامة الولائم وتوزيع المنح ، أمر بتقديم الأطعمة ثلاثة أيام متتالية صدقة على روح چنگيز خان ، وذلك حسب تقاليدهم القديمة ورسومهم ونظمهم المتبعة عندهم . ثم اختار أربعين فتاة حسناء من نسل الأمراء الذين كانوا يلازمونه ، وألبسوهن ملابس ثمينة ، وزينوهن بالمرصعات والجواهر ، وأرسلوهن على جياد أصيلة إلى روح چنگيز خان[1] .

وحيث أننا قد انتهينا من حكاية جلوس القاآن على سرير المملكة ، نبدأ الآن ونكتب تاريخه عن عدة سنوات ، كل سنة على حدة ، على النحو الذي سطرناه في تاريخ چنگيز خان ، ثم نذكر عقب كل قسم من ذلك التاريخ ، ملوك الأقاليم والأشخاص الذين كانوا من نسله ، وحكموا حكماً مستقلاً . ثم

---

(١) يذكر براون أن وثنية المغول كانت تظهر في أمور تثير النفوس كاختيارهم الفتيات الحسناوات ، ثم قتلهن وتقديمهن قرباناً لروح الأباطرة ، وكقتل جميع الذين يصيبهم الحظ النكد بأن يصادفوا جنازة الإمبراطور أثناء نقلها إلى مقرها الأخير خشية أن يتسرب نبأ موته قبل إعلانه رسمياً (انظر براون : تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ، ص ٥٦٧) .

نعود مرة أخرى إلى سرد تاريخه حتى نهايته . والله المستعان ، وعليه التكلان .

تاريخ أوگتاي قاآن

ابتداء من هوكارييل

وهو عام البقرة الموافق ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م - ١٢٢٩م) وهي سنة جلوسه منذ وفاة چنگيز خان حتى نهاية « مورين ييل » أي عام الفرس ، الموافق جمادي الأولى سنة إحدى وثلاثين وستمائة (٦٣١ هـ = ١٢٣٤م) ، وهي فترة ست سنوات . وخلال هذه المدة ، زحف قاصدا بلاد الخطا بعد ترتيب شئون الملك والجيش ، فاستولى على الولايات التي لم تكن قد فتحت بعد ، وقضى على « التان خان » ، ثم عاد من هناك إلى حاضرة ملكه مظفرا منصورا ، وذلك على النحو الذي تبينه بالتفاصيل حكايات تلك الأحداث .

قصة شروع القاآن في إصدار الأحكام وتقرير القوانين وترتيب مصالح الملك

لما استقر القاآن على سرير الملك ، قرر أولا أن تنفذ جميع الأحكام التي سبق أن أمر بها چنگيز خان ، بحيث تبقى مصونة من التغيير والتبديل ، ثم صرح القاآن قائلا : « قد عفونا عن كل ذنب أو خطأ صدر عن أي شخص ، وذلك حتى يوم جلوسنا . ولكن بعد اليوم إذا تجرأ أحد ، وأقدم على عمل مخالف للقوانين القديمة والحديثة ، فسوف ينال جزاء وفاقا » .

وقبل جلوسه على العرش ، وفي نفس السنة التي حدثت فيها وفاة چنگيز خان ، اجتمع للتشاور مع الأمراء الأنجال والأمراء الذين كانوا في معسكر چنگيز خان . وكانوا قد أرسلوا إيلچيداي نويان ابن أخي چنگيز خان وكيوك خان ابن القاآن إلى نواحي ولاية قورتقان لغزوها ، فأغاروا عليها وفتحوها . وقد تركوا أميرا اسمه « تنكقوت بهادر » مع جيش باسم « تمة » للمحافظة على تلك الولاية . وكان الناس يتحدثون في ذلك .

وعندما جلس القاآن على العرش ، أسكت المخالفين بموجب الياسا[1] المذكورة . بعد ذلك أقام الجيوش على جميع الحدود وأطراف البلاد للمحافظة على الثغور والولايات . ولم تكن الفتن والاضطرابات قد هدأت بعد في ناحية إيران ، إذ كان السلطان جلال الدين لا يزال يقاوم ، فأوفد « جرماغون نويان » وجماعة من الأمراء مع ثلاثين ألف فارس لإجلائه . كذلك أرسل كوكتاي وسونداي بهادر بمثل ذلك الجيش إلى القپچاق وسقسين والبلغار ، وأوفد إلى نواحي الخطا والتبت وسلنكه وجورجه وتلك المناطق طائفة من الأمراء الكبار (نوينان بزرگ) على رأس جيش . وتوجه هو بنفسه مع أخيه الأصغر « منگوقاآن »[2] - في إثر ذلك الجيش - إلى جهة الخطا ، التي لم تكن قد خضعت بعد . وكان ملكها لا يزال مسيطرا على تلك المناطق . والسلام .

حكاية تحرك القاآن مع أخيه تولوي خان إلى ولاية الخطا ، وفتح ما زال متمردا منها

قصد القاآن ولاية الخطا في « يارس ييل » أي عام الفهد الموافق ربيع الأول سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٣٠ م) مع أخيه « الغ نويان » ، إذ أنه في عهد چنگيز خان - كما سبق أن ذكرنا في تاريخه - كان « التان خان » ملك الخطا ، المسمى شوسه قد غادر مدينة چونگدو التي كانت إحدى حواضره . كما ترك بلدانا كثيرة من توابعها ، وذهب إلى مدينة « نمكينك » ، والمناطق المجاورة لها ، وجمع حوله جيشا كبيرا ، وكان لا يزال يحكم حتى ذلك الوقت . كما كانت الولايات التي فتحها چنگيز خان وجنوده لا زالت خاضعة للمغول . فأراد القاآن أن يقضي على ملك الخطا ، ويستولي على كل تلك البلاد .

---

(١) للوقوف على مزيد من التفصيلات عن الياسا انظر كتاب المغول في التاريخ ، الجزء الأول ، تأليف الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، ص٣٣٨ وما بعدها .

(٢) صحة هذا الاسم « تولوي خان » .

وقد اصطحب معه تولوي خان وكلكان ونفرا من إخوته الآخرين ، وبعض أبناء إخوته وأبنائه هو ، وسار جيش كثيف للغاية . ثم أوفد تولوي خان في « تومانين »[1] من الجنود عن طريق التبت ، وسار بنفسه في الطريق الأيمن صوب إحدى ولايات الخطا ، يدعى أهلها « هولان بكلتاق » يعني القوم الذين لهم أقبية حمراء . ولما كان طريق القاآن بعيدا ، شعر تولوي خان بالتعب في الطريق خلال تلك السنة .

وفي السنة التالية أي عام الأرنب الموافق شهور سنة ثمان وعشرين وستمائة (٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ - ١٢٣١ م) نفدت نفقات الجند ومؤنهم ، فهزلوا كثيرا ، وجاعوا أشد الجوع . وقد بلغ بهم الأمر إلى حد أنهم كانوا يأكلون اللحوم البشرية ، وكل الحيوانات والعلف الجاف . وكانوا يسيرون في السهل والحزن طلبا للمراعي حتى بلغوا في بادىء الأمر مدينة اسمها خانجو نفوينقين على ضفة نهر « قراموران » فحاصروها . وبعد أربعين يوما طلب أهل المدينة الأمان وسلموها . وقد استقل ما يقرب من عشرة آلاف جندي السفن وهربوا ، وحمل نساؤهم وأطفالهم أسرى . ثم نهب المغول الولاية ورحلوا .

قصة وصول تولوي خان إلى موضع تونكقهال قهلقه حيث كان يرابط جنود التان خان واحتلال تولوي ذلك الموضع المماثل للحصن

عندما اقترب تولوي خان من موضع « تونكقهال قهلقه » فكر في أنه لو يسيطر عدو على مثل ذلك الموضع الذي هو عقبة كئود بين جبل وحصن منيع ويحرسه ، فإنه في هذه الحالة لا يمكن اجتيازه . فلما بلغ تولوي خان ذلك المكان ، وجد مائة ألف فارس من جند التان خان في طليعتهم « قداي رنكو » و « قمر تكودر » مع طائفة من الأمراء الآخرين . وقد رابطوا في الصحراء وعلى

---

(١) أي ٢٠٠٠٠ جندي إذ أن التومان في الأعداد المغولية يساوي ١٠٠٠٠ .

سفوح الجبال ، ونظموا صفوفهم ، ووقف الجنود متأهبين للقتال . وكانوا في غاية الغرور والثقة بأنفسهم لكثرتهم وقلة المغول .

فلما رأى تولوي خان كثرتهم ، استدعى الأمراء « شيكي قوتوقونويان » ، واختلى به ، وتشاور معه قائلا : « حيث أن الأعداء قد سيطروا على مثل هذا الموضع ، ونظموا صفوفهم ، ووقفوا متأهبين للقتال ، كانت محاربتهم أمرا عسيرا . فالمصلحة تقضي أن نحوم بالقرب منهم مع ثلاثمائة فارس ، لنرى ما إذا كانوا يتحركون من مكانهم أم لا » .

فتقدم قوتوقو نويان بموجب الفرمان ، ولكن الخطا لم يتحركوا أبدا ، ولم يبرحوا مكانهم حتى لا يحاصروا ، ويبقوا منظمين . وبسبب كثرتهم وغلبتهم وقلة عسكر المغول ، سيطر على أذهانهم التكبر والغرور . وكانوا ينظرون إلى جيش المغول نظرة احتقار وازدراء ، ويصرحون بتصريحات خطيرة قائلين : « سنحدق بهؤلاء المغول وملكهم ، ونقبض عليهم وسنفعل بنسائهم كذا وكذا » .

وهكذا أبدوا معاني شنيعة وأماني مبتذلة ، فلم يرض الحق تعالى عن جبورتهم وغرورهم ، وجعل عاقبة أمرهم القهر والهزيمة . وحيث أنهم لم يكترثوا بتحركات قوتوقو نويان وجنوده ، ولم يبرحوا مكانهم ، قال تولوي خان : « ما دام أنهم لم يتزحزحوا عن موقفهم لا يمكن محاربتهم . وإذا انسحبنا فإن جيشنا يمنى بالهزيمة ، ويزداد هؤلاء جرأة ، فمن المصلحة أن نسير شطر الولايات والمدن التي يميل إليها حقا ملكهم . وإذا تيسر الأمر لنا ، فسوف ننضم إلى أوگتاي قاآن وجيشه الكبير » .

ثم كلف « توقولقو چربي » الأخ الأصغر لبورغوجين نويان من قبيلة « ارلات » بأن يسير في المؤخرة مع ألف فارس لحراسة الطريق ، فتقدم هؤلاء على الجانب الأيمن . وعندما رأى جنود الخطا أن أعداءهم قد انصرفوا عن القتال ، وتوجهوا إلى مكان آخر ، صاروا يصيحون فيهم قائلين : « نحن

هاهنا واقفون ومستعدون للقائكم ، فهلموا إلينا كي نقاتلكم » . لكنهم لم يلتفتوا إليهم ، بل ظلوا سائرين . فاضطر الخطائيون إلى أن يبرحوا مكانهم ويتعقبوهم . وظل جنود المغول يسيرون ثلاثة أيام ، وهم في أعقابهم .

ولما كان جيش الخطا كثير العدد ، كان جنود المغول يسيرون خائفين وجلين . وفجأة داهم الخطائيون توقولقو چربي الذي كان يحرس المؤخرة ، وكان أمامهم نهر ووحل ، فألقوا هنالك بأربعين رجلا من المغول وقتلوهم . ثم لحق توقولقو چربي بجنوده ، وعرض عليهم الوضع ، فأمر تولوي خان بأن يعملوا سحرا ، وهو نوع من السيميا يشتمل على عدة أحجار متنوعة من خصائصها أنها إذا أخرجت ووضعت في الماء وغسلت هبت الريح في الحال ، وظهر البرق ، ونزلت الثلوج والأمطار ، وثارت الأعاصير ، حتى ولو كان الوقت صيفا قائظا . وكان من بينهم رجل « قنقلي » يعرف تلك الطريقة جيدا ، فشرع يعمل حسب هذا الأمر ، وارتدى تولوي خان وسائر جنده ملابس المطر ، ولم ينزلوا عن جيادهم ثلاثة أيام بلياليها .

وأخيرا وصل جنود المغول إلى قرى من بلاد الخطا كان أهلها قد فروا وتركوا أنعامهم ، ودوابهم ، فشبعوا منها واكتسوا بجلودها وظل ذلك القنقلي يزاول السحر بصورة طفق المطر معها يهطل خلف المغول ، ثم استحال ثلجا في اليوم الأخير إلى جانب الأعاصير والريح الزمهرير ، فتحير جنود الخطا ودهشوا لمشاهدتهم بردا في الصيف ، لم يكونوا قد شهدوا مثله قط في الشتاء .

بعد ذلك أمر تولوي خان بأن ينزل كل ألف جندي في قرية ، وربطوا الخيول في المنازل ودثروها ، إذا أنه نظرا لشدة الأعاصير وغزارة الثلوج إلى أقصى حد ، لا يكون من الممكن أن يضطر جنود الخطا إلى الاقامة وسط الصحراء . وقطعا لم يتيسر التحرك مدة ثلاثة أيام .

وعندما رأى تولوي خان أن جنوده قد شبعوا واستراحوا ، ولم يلحق بهم ولا بدوابهم أذى من البرد ، وأن الخطائيين ـ من شدة البرد ـ ضموا رؤوسهم ووقفوا بجوار بعضهم البعض كقطيع من الغنم ، وقد تجمدوا جميعا في ملابسهم

الضيقة وأسلحتهم الكثيرة . لما رأى تولوي ذلك ، أمر في اليوم الرابع ـ على الرغم من أن تساقط الثلوج كان لا يزال مستمرة ـ بقرع الطبول ، وبأن يلبس الجنود جميعا المعاطف المصنوعة من اللباد ، ثم يسيروا للقتال . بعد ذلك صاح قائلا : « لقد حل وقت الحرب وإحراز السمعة الطيبة فينبغي إظهار الشجاعة » .

عندئذ صار المغول كالأسود التي تهاجم قطعان الغزلان ، وداهموا الخطائيين ، وقضوا على أكثرية هؤلاء الجنود . وقدْ تفرق بعضهم فهلكوا في الجبال . ولكن نجا كلا القائدين المذكورين مع خمسة آلاف رجل ، وألقوا بأنفسهم في الماء ، فسلم قليل منهم من الغرق . ولأنهم كانوا قد استهزأوا بالمغول ، وخاطبوهم بعبارات ضخمة جوفاء ، وفكروا أفكارا فاسدة ، صدر الأمر بأن يفعل المغول مع جماعة الخطائيين ـ الذين كانوا قد أسروهم ـ فعل قوم لوط .

ولما تم هذا الفتح أوفد تولوي خان الرسل ـ مبشرين ـ إلى حضرة القاآن ، ثم توجه إليه بنفسه أيضا مظفرا منصورا . ولكن لم يكن من المستطاع مطلقا عبور نهر قراموران الذي ينبع من جبال كشميروالتبت ، ويفصل بين الخطا ونكياس ، فوجد تولوي من الضروري أن يرسل « شين چغان بوقا » من قبيلة « أوروت » لكي يبحث عن معبر . وتصادف أن هطلت سيول غزيرة في تلك السنة ، وجرفت معها كثيرا من الحصا والرمال تراكمت في كل موضع من ذلك النهر . ولهذا السبب تسرب الماء إلى الصحراء ، وانساب في أخاديد بعرض فرسخ . فوجد چغان بوقا النهر المذكور ملائما للعبور . وعندئذ سار تولوي خان في الطليعة حتى عبروا النهر بسلام . وكان القاآن في قلق عظيم لانقضاء مدة على مفارقة تولوي خان إياه ، ولسماعه أن الأعداء[1] قد تغلبوا عليه ، والجيش الرئيسي بعيد عنه .

فلما بلغته بشائر الفتح والسلامة ، ابتهج وسر للغاية . وعندما وصل تولوي بالغ في إعزازه وأثنى عليه كثيرا . ونظرا لحصول هذا الفتح غير المتوقع ، ترك تولوي خان هناك توقولقو چربي ، وبعضا من الأمراء الآخرين مع جيش

(١) ترجمة للكلمة المغولية ياغيان ، مفرد ياغي .

معد إعدادا تاما لكي يقضوا قضاء مبرما على « التان خان » ، ويستولوا على كل بلاد الخطا . وقد عاد هؤلاء باليمن والبركة فائزين .

بعد ذلك استأذن تولوي في التقدم لمواصلة الزحف . ولكن المنية فاجأته في الطريق . ويروى أن القاآن كان قبل ذلك قد مرض عدة أيام ، وبلغ حالة الاحتضار ، فجاء تولوي خان لعيادته . وكان السحرة قد قرأوا له الرقي والتمائم كعادتهم ، وغسلوا مرضه بالماء في قدح خشبي . ولفرط ما كان من حب تولوي لأخيه ، تناول ذلك القدح ، وناجى ربه بتضرع تام قائلا : « أيها الإله الأزلي ! . . . أنت مطلع ، وتعلم أنه لو كان السبب في مرض أخي هو عصيانك ، فأنا قد عصيتك أكثر ، إذ أنني قد أزهقت أرواح كثير من الخلائق في البلاد ، وأسرت نساءهم وأبناءهم وأبكيتهم . وإن كنت تذهب بالقاآن للطيبة والفضيلة ، فأنا أكثر طيبة وفضيلة ، فدعه وادعني إليك عوضا عنه » .

تفوه تولوي بهذه الكلمات في خشوع تام ، وشرب ذلك الماء الذي كانوا قد غسلوا فيه المرض ، فشفي أوكتاي قاآن ، واستأذن تولوي وسار ، وبعد عدة أيام مرض ومات . وهذه الحكاية مشهورة . وكانت « سيور قوقتيتي بيگى »[1] زوجة تولوي خان تقول دائما : « لقد رحل الذي كان فيه دلالي ومناي ضحية لأوكتاي قاآن ، وفداه بنفسه » . أما عن أوكتاي قاآن فقد اصطاف في موضع « التان كدا » ثم رحل بعد ذلك إلى أن بلغ عاصمته مظفرا منصورا في . . .[2] عام . . .[2] .

حكاية محاربة توقولقو جربي جيش الخطا وانهزامه وإرسال القاآن مددا إليه ، ووصول أهل ننكياس لنصرته ، وهلاك التان خان ، وفتح كل بلاد الخطا

بعد مدة تجمع جنود الخطا ، وحاربوا توقولقوجربى ، فغُلب وهزم ،

---

(١) تكتب بطرق مختلفة : سرقوتي وسرقوتني وسرقوقيتي وسرقويتي . وهي بنت جاكمبو أخي أونك خان ملك قبيلة كرايت . وقد زوجها چنگيز خان في حياته من ابنه الرابع تولوي . وكانت أحب الزوجات إلى تولوي ووالدة أبنائه الأربعة المشهورين : منگوقاآن وقوبيلاي قاآن وهولاگوخان واريق بوكا (انظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ، حاشية ٦) .

(٢) هكذا في الأصل .

وعاود الهجوم مرارا دون جدوى ، فأرسل رسولا إلى حضرة القاآن يطلب المدد .

فصرح القاآن بقوله : « لقد حاربنا جنود الخطا - منذ عهد جنگيز خان - عدة مرات ، فتغلبنا عليهم دائما ، واستولينا على أكثر بلادهم . والآن إذا كانوا قد غلبوا جنودنا فإن هذا دليل على فنائهم . فهم - طبقا لما ترويه كتبهم - كالسراج الذي يزهو ويتوهج ضوؤه ، ثم يحترق وينعدم » . وعلى أثر ذلك أمر بإرسال جيش لإمداد توقولقو . ولأنه كان يوجد عداء قديم بين ملوك الماچين - الذين يسميهم المغول ننكياس - وبين ملوك الخطا الذين كانوا من نسل جورچه ، أرسل القاآن يرليغا[1] بأن يأتي النتكياسيون من جهتهم لإمداد المغول ، ويجيء جنود المغول من جهتهم ، ثم يحاصروا المدينة معا .

فسيروا - بموجب الفرمان - جيشا جرارا إلى مدينة نمكينك . ويقال إن محيط تلك المدينة أربعون فرسخا ، ولها ثلاثة أبراج ، ويجري على جانبيها نهر « قراموران » . فحاصر جنود ننكياس والمغول المدينة مشتركين ، ووضعوا المنجنيقات الكثيرة والسلالم على الأبراج ، وأقاموا النقابين بالمعاول أسفل هذه الأبراج ، ثم اشتغلوا بالقتال . فتحقق لأمراء الخطا وجنودهم أن المغول سيحتلون المدينة ، وفكروا في الأمر وقالوا : « إن ملكنا ضعيف القلب ، فلو أخبرناه لهلك من فرط الوهم والخوف ، وعندئذ يخرج الأمر من يدنا نهائيا » . وعلى هذا ظلوا يخفون عنه الحقيقة .

أما هو فكان - حسب عادتهم - يلهو مع الخواتين والجواري في الدور والقصور . فلما تبين لهن أن المدينة سيحتلها المغول ، أخذن في البكاء ، فسأل « التان خان » عن السبب . فعرضن عليه حال المدينة . ولكنه لم يصدقهن ، وصعد فوق البرج ، وشاهد الحالة عيانا . فلما تيقن فكر في الهرب ، وركب سفينة مع جمع من الخواتين ، وسار في جدول كبير كانوا قد أجروه في المدينة من نهر قراموران ، ومنها يصل إلى ولاية ثانية ، فأبحر التان خان إلى أن بلغ مدينة

---

(1) اليرليغ هو الأمر الملكي أو المرسوم . يقول القلقشندي : « إن اليرالغ هي المراسيم » (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣) .

أخرى ، فلما علم المغول والتنكياسيون بذلك ، أرسلوا الجيوش وراءه ، وحاصروا تلك المدينة ، ففر من هناك ، وذهب إلى مدينة أخرى فتعقبوه مرة ثانية وحاصروه .

ولما كان طريق الهرب بعيدا ومسدودا ، أضرم جنود المغول وتنكياس النيران في تلك المدينة ، فعرف التان خان أن المغول يحتلون المدينة . وعندئذ خاطب الأمراء والخواتين قائلا : « لا أرغب بعد طول هذه المدة من الحكم والسيطرة والتمتع بضروب الشهرة في أن أقع أسيرا في يد المغول ، فأموت ملطخا بالعار » . ثم ألبس سلاحداره ملابسه ، وأجلسه مكانه على العرش ، وخرج من بين الجمع ، وشنق نفسه فمات ودفن .

وقد ورد في بعض التواريخ أنه لبس الخرقة على طريقة القلندرية (الدراويش) ثم اختفى . وذكر في تاريخ الخطا أنه احترق عندما أضرمت النيران في المدينة . ولكن كلتا الروايتين غير صحيحة ، إذ المحقق أنه شنق نفسه ومات .

بعد ذلك بيومين ، فتحوا المدينة ، وقتلوا ذلك الشخص الذي كان قد أجلسه مكانه . ثم دخل جنود تنكياس المدينة . وعرف المغول أن الذي قتلوه لم يكن التان خان ، فأخذوا يبحثون عنه . فقيل لهم إنه احترق . فلم يصدق المغول ذلك ، وظلوا يطالبون برأسه .

ولما تبين لجند تنكياس صورة تلك الحال ، ساعدوا على منع إخراجه من القبر وتسليم رأسه ، على الرغم من أنهم كانوا أعداءه ، واتفقوا مع الخطائين في انتحال العذر ، وقالوا : إنه احترق . وظل المغول يطالبون برأسه تأكيدا لموته . وقد أيقن هؤلاء التنكياسيون أنهم لو سلموا المغول رأسا آخر ، فلن يستطيعوا معرفة أنه ليس برأسه . وفي نهاية الأمر أعطوهم يد آدمي . ولهذا السبب استاء المغول من التنكياسيين ، إلا أن النزاع معهم في ذلك الوقت كان أمرا متعذرا .

وصفوة القول أن توقولقو چربي وجنوده قد استولوا على كل بلاد الخطا حسب ما ذكر . وقد تم هذا الفتح في « مورين ييل » أي عام الفرس الموافق جمادي الأولى سنة إحدى وثلاثين وستمائة (٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م) وفي هذه

السنة أيضا أخرج تورقاقان عددا لا يحصى من الكزيكبانية من ولاية « سولانقه » ، وأرسلهم إلى حضرة القاآن . وكان مقدمهم هو « أونك سو » .

وبعد أن كتبنا - على سبيل التفصيل - تاريخ ست سنوات من حكم القاآن ابتداء من « هوكاريبل » أي عام البقرة الموافق ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) حتى انتهاء « مورين ييل » أي عام الفرس الموافق جمادي الأولى سنة إحدى وثلاثين وستمائة (٦٣١ هـ = ١٢٣٣ - ١٢٣٤ م) نستأنف الكتابة - على سبيل الإجمال - في تاريخ الخواقين والخلفاء والملوك والسلاطين والأتابكة في أقاليم الشرق والغرب والأشخاص الذين كانوا مستقلين بالحكم في بعض الولايات من قبل القاآن ، ثم نعود ثانية إلى تاريخ القاآن ، ونذكر كل ما رقع بعد اليوم إن شاء الله .

* * *

تاريخ خواقين الخطا والماچين والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة في ممالك إيران والشام ومصر وغيرهم ، والأمراء الذين كانوا حكاما على بعض الولايات ، ومعاصرين للقاآن ابتداء من هوكاريبل أي عام البقرة الموافق ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) حتى انتهاء مورين ييل أي عام الفرس الموافق جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وستمائة (٦٣١ هـ = ١٢٣٣ - ١٢٣٤ م) مع سنة أخرى من حكاياتهم ، وهي قولقنه ييل أي عام الفأر الموافق شهور سنة « خمس وعشرين وستمائة »[1] (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ - ١٢٢٨ م) وهو عام وفاة جنگيز خان وجلوس القاآن على سبيل الإجمال والاختصار .

تاريخ ملوك الخطا الذين ذكروا خلال هذه المدة « شو » و« سو » .

تاريخ ملوك الماچين الذين ذكروا خلال هذه المدة : ليزون . . .[2] إحدى وأربعين سنة . . .[3] سبع سنوات .

---

(١) سبق أن ذكر المؤلف أن وفاة جنگيز خان كانت في سنة ٦٢٤ هـ (انظر ص ٢٨ من هذا الكتاب . .

(٢) هكذا في الأصل ويبدو من السياق أن الكلمة الساقطة هي « حكم » .

(٣) هكذا في الأصل .

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة وأمراء المغول الذين حكموا بعض الولايات خلال هذه المدة المذكورة .

تاريخ الخلفاء في بغداد : حكم خليفة العباسيين « الناصر لدين الله »[1] مدة ثم مات في أوائل سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ - ١٢٣١ م) ، وجلس مكانه ابنه « الظاهر »[2] ومات سنة ثمان وعشرين وستمائة (٦٢٥ هـ = ١٢٣٠ - ١٢٣١ م) فأجلس مكانه « المستنصر بالله »[3] .

تاريخ السلاطين في العراق وآذربيجان : حكم السلطان جلال الدين مدة ، وقد عاد من إصفهان ، وقدم إلى تبريز في أوائل سنة خمس وعشرين وستمائة (٦٢٠ هـ = ١٢٢٧ - ١٢٢٨ م) . ثم قصد جورجيا (كُرجستان) . ولما كان سلطان الروم وملوك الشام والأرمن وتلك الجهات يخشون تغلبه وسيطرته ، نهضوا جميعا لمقاومته وقد احتشد جنود الكرج والأرمن والآلان والسرير واللكزيين والقپچاق والسوسان والأبخاز والخانيين جميعا في صعيد واحد . ونزل السلطان بالقرب منهم في « مندور » . وكان قلقا مضطربا لكثرة خصومه ، فتشاور مع « يولدوزجي » الوزير وأعيان المملكة في ذلك الأمر . فقال يولدوزجي : « حيث أن تعداد رجالنا لا يبلغ الواحد في المائة بالنسبة إلى خصومنا ، فإن المصلحة تقضي أن نغادر « مندور » ونغتصب منهم الماء والحطب ، ونحاصرهم ، حتى يضعفوا بسبب الجوع والعطش ، وتهزل خيولهم ، وعندئذ نتجه إلى القتال بفكر وروية . فانتفض السلطان غاضبا من هذا الكلام ، وضرب رأس الوزير بالمحبرة ، وقال : « هؤلاء قطعان غنم ، فأي شكوى للأسد من كثرة القطعان ؟! . . . » وقد دفع يولدوزجي خمسين ألف دينار جزاء على تلك الخيانة ، ثم قال السلطان : « رغم أن الأمر خطير ، فإنه يجب القتال توكلا على الله » .

وفي اليوم التالي نظم جلال الدين صفوفه . وكان جنود الأعداء يعتبرون السلطان بين جيوشهم كجبل في ميدان . ثم ارتقى السلطان هضبة ليطلع

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص٤٤٨ وما بعدها .
(٢) نفس المصدر ، ص٤٥٨ وما بعدها .
(٣) نفس المصدر ، ص٤٦٠ وما بعدها .

عليها ، فرأى أعلام « قپچاق » مع عشرين ألف رجل ، فأوفد إليهم « قوشقر » مع رغيف من الخبز وقدر من الملح ، وذكرهم بالحقوق السابقة . فعلى الفور لوى القپچاقيون العنان ، وتركوا ميدان القتال ، وانتحوا جانبا .

ثم تقدم جنود الكرج ، فأرسل إليهم يقول : « لقد وصلتم اليوم متعبين ، فليشتبك الآن الشباب من الجانبين على سبيل الطراد والنزال ، ونشاهدهم نحن عن بعد » . فاستحسن الكُرج ذلك ، واستمر الفريقان في الكر والفر حتى عشية ذلك اليوم ، وفي النهاية تقدم أحد الشجعان من الناورية والسلطان غير مبال .

شعر

برز من بين الجند كالأسد . . . ،

وتقدم الشجاع للقاء البطل « هجير »[1]

مثنوى

فطعن السلطان ذلك الشجاع على منطقته

حتى تقطع درعه وحمالته . . .

وكان له ثلاثة أولاد قدموا مترجلين على انفراد الواحد بعد الآخر ، فأهلك السلطان كل واحد منهم بحملة واحدة . ثم برز من الناورية بطل آخر مهيب الهيئة للغاية ، واقتحم الميدان ، وكاد ينتصر لأن فرس السلطان كان متعبا . وفي لحظة واحدة قفز السلطان من فوق جواده وطرح خصمه أرضا بطعنة من رمحه وقتله . ولما رأى السلطان ذلك أجبر الجميع على الفرار بحملة واحدة .

بعد ذلك تقدم السلطان إلى أخلاط[2] فأغلق الأهالي البوابة وأبوا قبول النصح فحاصرها السلطان مدة شهرين حتى أشرف سكان المدينة على الموت جوعا . ثم أمر السلطان جنوده بأن يهجموا دفعة واحدة من كل جانب ونزل السلطان في قصر الملك الأشرف ودخل أخوه مجير الدين وغلامه عز الدين أيبك

---

(١) ولد قارن بن كاوه .

(٢) أنظر النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٩٩ ، ٣٢٠ وما بعدها .

الحصن الداخلي من غير زاد . ثم سارع مجير الدين بالخروج فأكرمه السلطان أيما إكرام . ومن بعده ، خرج أيضا أيبك ، وأصبحت خزانة السلطان عامرة بأموال الملك الأشرف .

وهكذا بسبب هزيمة السلطان للكرج واستيلائه على أخلاط ذاع صيت عظمته وشوكته ، وأرسل ملوك مصر والشام الرسل إلى بلاطه مع التحف والهدايا اقتداء بخلفاء مدينة السلام ، وعلا شأنه مرة أخرى .

ومن هناك ذهب إلى « خرتبرت » فاعتراه ضعف . ونظرا لأن سلطان « أرزن الروم »[1] كان قد أمد جيش السلطان بالعلف وقت حصار أخلاط ، اختصه جلال الدين بأنواع العطف والتكريم . ثم إن هذا السلطان أخبر جلال الدين قائلا : « إن علاء الدين ملك الروم قد جدد الصلح مع ملوك حلب والشام ، واتفقوا على مهاجمة السلطان وقاموا بحشد الجنود . وهم يهددونني دائما قائلين لو لم يكن السلطان قد وجد منك المدد بالعلف على باب أخلاط لما استطاع التوقف هناك » .

فلما سمع السلطان ذلك الكلام ركب على الفور على الرغم من ضعفه حتى إذا بلغ صحراء « موش » صادف في طريقه ستة آلاف رجل كانوا ذاهبين لإمداد تلك الجماعة فقضى عليهم جميعا بحملة واحدة . وبعد عدة أيام اقتربت الجيوش بعضها من بعض واتصل سلطان الروم والملك الأشرف وملوك الولايات الأخرون بعضهم ببعض ، ومعهم الكثير من الآلات والعدد التي لا حصر لها ، واصطفوا فوق ربوة . وفي المقدمة وقف النفاطون ورماة العجلات بتروس من جلود الثيران ، ومن ورائهم الفرسان والمشاة .

ولما حان وقت القتال أراد السلطان أن يخرج من المحنة ، ويمتطي الجواد ، غير أنه لم يستطع أن يمسك بعنانه لتمكن العلة منه ، وعاد جواده بمفرده ، فقال الخاصة : « يجب أن يستريح السلطان قليلا » ، ولهذا السبب تراجعت الراية الخاصة ، فتصور جنود الميمنة والميسرة الانهزام ، فانهزموا . لكن الخصوم ظنوا

---

(١) هو ركن الدين جهانشاه بن طغرل وابن عم علاء الدين كيقباد سلطان سلاجقة الروم وكان بينه وبين ابن عمه عداء مستحكم (انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٢٧ ؛ النسوي سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٣٢٩) .

أن السلطان يحتال عليهم ليستدرجهم إلى السهل فنادى منادٍ في جنودهم بألا يبرح أي واحد منهم مكانه ، وقد سيطر الرعب الشديد على السلطان علاء الدين ملك الروم[1] بحيث أنه فقد ماسكة السكون والثبات . فأمر الملك الأشرف بوضع القيد في أرجل بغلته .

ولما حلت الهزيمة بجنود السلطان ، تفرقوا في كل مكان ، فاضطر السلطان إلى التوجه صوب أخلاط ، واستدعى الجماعة الذين كان قد كلفهم بالحراسة هناك ثم رحل إلى « خوى » وأعاد مجير الدين أخا الملك الأشرف في إعزاز بالغ وبإكرام تام . وبسبب شفاعة الخليفة المستنصر بالله ، أذن لتقي الدين بالعودة . وقد فر حسام الدين القيمري ، وأعاد السلطان زوجته بنت الملك الأشرف بكل أنواع التكريم وفي ستر وعصمة . أما عز الدين أيبك فكان مسجونا ومقيدا في قلعة « أزمار » وتوفي في سجنه .

وفي أثناء تلك الأحوال وصل خبر يفيد بأن « جرماغون نويان » قد عبر نهر جيحون ومعه جيش جرار قاصدا جلال الدين . فعين السلطان الوزير شمس الدين يولدوزجي لحراسة قلعة كيران وأودع حريمه لديه وقدم هو إلى تبريز .

وعلى الرغم من الخلاف الذي كان بينه وبين الخليفة وسلاطين الروم والشام ، فقد أرسل رسولا إلى كل واحد منهم وأخبرهم بوصول المغول ، وقال : « إن التتار كثرة هائلة ، وهم في هذه الفترة أكثر من كل مرة . وجنود هذه النواحي مستوحشون منهم . وإذا لم تمدوني بالعدد والعدة فإني أنا الذي بمثابة السد لكم ـ سوف أهزم ويخلو مكاني من بينكم . ولن تستطيعوا مقاومتهم . فليبادر كل منكم بإمدادي بفوج من الجنود ومعهم علمهم ، وذلك من أجل الدفاع عن نفسه وأولاده والمسلمين حتى إذا بلغهم نبأ اتفاقنا واتحادنا ، ارتدعوا وانزجروا . وعندئذ تقوى عزائم جنودنا ، أما إذا تهاونتم في هذا الأمر فسترون بأنفسكم ما تئول إليه الأمور » .

---

(١) أنظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٣١ .

شعر

إن كل واحد منكم يعمل من أجل نفسه فقط ،
وأنتم بهذا العمل تلغون عقولكم وتقضون عليها

ولكن دولة چنگيز خان القوية ودولة أسرته قد أوقعت كلمة الاختلاف فيما بينهم . فآل حال السلطان إلى التدهور . وفجأة علم أن جيش المغول قد داهمه . فتوجه السلطان إلى بيشكين . وحدث أن القسم العلوي من القصر الذي حل فيه قد تهدم ليلا . فتشاءم السلطان من ذلك الحادث . لكنه أبدى تجلدا وثباتا . وفي اليوم التالي توجه إلى « موغان » . وبعد أن أقام فيها خمسة أيام ، اقترب منه جيش المغول ، فترك السلطان رحله ، ولجأ إلى جبل « قبان » . ولما وجد المغول مقره خاليا ، عادوا من حيث أتوا .

أمضى السلطان شهور الشتاء من سنة ثمان وعشرين وستمائة (٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ - ١٢٣١ م) في موضع أرمية وأشنية . وقد اتهم الوزير شرف الملك بأنه إبان غياب السلطان وانقطاع أخباره ، طمع في حرمه وخزائنه . فلما وصل السلطان إلى تلك الجهات ، خرج الوزير من القلعة خائفا ، وطلب الأمان . فأرسل إليه السلطان « بوقوخان » راجيا إياه أن يخرج ، وقال له : « لقد رفعت يلدوزجي من حضيض الذل إلى أوج العز ، وهو مع هذا يؤدي حق النعمة على هذا الوجه » . فلما سلم الوزير نفسه ، سجنه السلطان في قلعة في عهدة أحد الحراس ثم نهب دياره ، ومات[1] الوزير في ذلك السجن .

وبعد ذلك توجه السلطان إلى ديار بكر . وعندما وصل جنود المغول إلى « جورماغون » عنفهم قائلا : « لماذا عدتم ، ولم لم تبذلوا غاية السعي والاجتهاد في طلب السلطان ؛ إذ كيف يجوز أن يمهل مثل هذا الخصم وقد أصبح ضعيفا؟! . . . »

ثم أرسل « جورماغون » الأمير « نايماس » وطائفة من الأمراء مع جيش جرار لتعقب السلطان .

---

(١) يذكر النسوي أن السلطان أمر بقتله وهو في سجنه ، فقتله أعوان السلطان خنقا . (انظر سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦)

في ذلك الوقت كان جلال الدين قد أرسل « بوقاخان » كطليعة لاستقصاء الأخبار عن جيش المغول . فلما حل بتبريز بلغه من العراق نبأ تفرقهم ، وأنه ليس هناك أثر من أولئك القوم في هذه الجهات .

فعاد بوقاخان دون أن يتخذ الحيطة والحذر ، وبشر السلطان برجوعهم .

وبدافع ذلك الفرح والاستبشار ، انشغل السلطان وجمهور الأمراء والجنود بالأنس واللهو والطرب ، وقضوا يومين أو ثلاثة في غرور وسرور .

وفي منتصف إحدى الليالي داهمهم جنود المغول . وكان السلطان يغط في نومه ، وهو في سكر شديد . أما أورخان فقد علم بوصولهم ، فسارع إلى مخدع السلطان ليوقظه ولكنه رغم مناداته إياه لم يستيقظ ، فصبوا على وجهه ماءا باردا حتى عاد إلى صوابه ، وشاهد تلك الحال ، فولى هاربا بعد أن أمر أورخان بألا يحرك العلم من موضعه ، وأن يقاوم بقدر الإمكان حتى يتقدم هو ويرحل . وقد قاوم أورخان فترة قصيرة ثم لاذ بالفرار ، فتعقبه المغول ظنا منهم أنه السلطان ، لكنهم عادوا بعد أن عرفوا الحقيقة ، وقتلوا كل من رأوه .

أما السلطان فكان يسير بمفرده بأقصى سرعة . وهناك اختلاف في نهايته ، فيقول البعض : إنه كان ينام ليلا تحت شجرة ، فأدركه طائفة من الأكراد ، شقوا بطنه طمعا في جواده وملبسه ، وارتدوا تلك الملابس ، وحملوا تلك الأسلحة ، ودخلوا المدينة ، فعرف بعض خواص السلطان ملابسه وأسلحته ، فقبضوا على الأكراد ، وقتلهم صاحب « آمد » بعد أن علم بجرمهم . ثم نقل جثمان السلطان إلى آمد حيث دفن ، وأقيمت قبة على قبره .

ويقرر البعض أن السلطان أعطى الأكراد أسلحته وملابسه باختياره ، وأخذ ملابسهم الخشنة ، وصار يطوف في الولايات في زي المتصوفين . ومهما يكن من أمر فقد انتهى عهد سلطنته .

وأما عن أحوال السلطان غياث الدين ، فإنه في شهور سنة أربع وعشرين وستمائة (٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ - ١٢٢٧ م) عندما كان الخوارزميون يحاربون المغول في ظاهر أصفهان ، ترك متعمدا ميسرة الجيش التي كان أخوه قد عهد بقيادتها إليه ، وقصد خوزستان متخذا طريق لرستان . فأرسل إليه الخليفة

الناصر التشريفة ، وعهد السلطنة ثم عاد غياث الدين من هناك ، وتوجه إلى الموت في الوقت الذي كان فيه السلطان جلال الدين في بلاد الأرمن والكرج ، فاستقبله علاء الدين بالإجلال والتعظيم ، وأدى له خدمات جليلة . وبعد مدة قصد خوزستان ثانية ، وأرسل رسولا إلى براق الحاجب بكرمان يطلعه على أحواله ، وأبرمت بينهما مرة أخرى العهود والمواثيق ، وتقرر أن يستقبله براق عند صحراء « أبرقوه » .

ثم توجه السلطان مع والدته إلى كرمان ، فقدم براق إلى الموضع المذكور لاستقباله ، ومعه ما يقرب من أربعة آلاف فارس ، وأدى مراسم الخدمة يومين أو ثلاثة حسب القواعد المتبعة . ولأن السلطان لم يكن معه أكثر من خمسمائة فارس ، رغب براق في أن يتزوج من والدته ، وقدم ذات يوم ، وجلس مع السلطان على سجادة صغيرة ، وأخذ يخاطبه بلفظ « ولدي »[1] ، ووضع كل واحد من أمرائه في موضع أرباب المناصب . وبعد ذلك بعث برسالة إلى السلطان يطلب الزواج من والدته . ولما لم يجد السلطان أمامه من سبيل ، وافق على ذلك العرض ، ورضيت أمه بعد تمنع وإباء حتى أبرم العقد . وبعد مزيد من الإلحاح ذهبت مع جمع من الخدم مرتدين دروعا تحت أقبيتهم . وهكذا تم الزفاف . ولما بلغوا مدينة « كواشير » حاضرة كرمان ، ومضت عدة أيام قدم إلى السلطان اثنان من أقارب براق وقالا له : « لا ينبغي الاعتماد على براق ، لأنه غادر ماكر ، وقد وجدنا هذه فرصة سانحة ، فلو أننا تخلصنا منه ، لأصبحت أنت السلطان ونحن العبيد . وهذا هو عين المصلحة ، إلا أن أصله الطاهر لم يرض بنقض العهد والميثاق . ولكن لما كانت شمس إقبال تلك الأسرة قد آذنت بالمغيب ، أسرّ أحد المقربين إليه بهذا الكلام إلى براق ، فبادر بالتحقيق مع أقاربه ، ومع غياث الدين بخصوص هذا الموضوع . فاعترف هؤلاء بتلك الواقعة ، فأمر براق بأن تقطع أعضاء قريبيه إربا إربا في حضرة السلطان ، وحبس السلطان في القلعة . وبعد ذلك أرسل لكي يضعوا وتر القوس في رقبته ، ويقضوا عليه . فصرخ السلطان قائلا : « ألم نبرم العهد أخيرا ، بألا يعتدي أحدنا على الآخر . فلماذا نبيح نقضه دون مبرر؟!.. » .

(١) كان هذا الصيغ سمة من سمات التعبير اللغوي في هذا العصر ، وهو يعبر عن صلة الحاكم بالمحكوم

فلما سمعت الأم صوت ابنها ، صرخت . ولكنهم خنقوا الاثنين . وعلى هذا النمط قضوا على جميع جنود السلطان . ثم بعث براق الحاجب برأس السلطان غياث الدين إلى حضرة القاآن قائلا : « إن لكم عدوين : جلال الدين وغياث الدين . وقد أرسلت رأس أحدهما دليلا على الولاء » .

هذه كانت أحوال سلاطين الخوارزمشاهية . أما في بلاد الروم فكان السلطان علاء الدين . وقد ذكرت حكاياته خلال هذه المدة ضمن تاريخ جلال الدين .

وفي الموصل كان السلطان بدر الدين لؤلؤ .

تاريخ الملوك والأتابكة

أولا ـ في مازندران . . .[١]

ثانيا ـ في ديار بكر : كان الملك مظفر الدين مسيطرا على أربيل وبقية المدن ما عدا الموصل ونواحيها .

ثالثا ـ في الشام : كان الملك المعظم الملك الأشرف من أبناء الملك العادل ابن أيوب . وقد ذُكر شطر من أحوال الملك الأشرف ضمن تاريخ السلطان جلال الدين .

رابعا ـ في مصر : كان يحكم إلى حد ما الملك الكامل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر

خامسا ـ في المغرب . . .[١]

سادسا ـ في فارس : كان الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكي . وفي سنة . . .[١] توفي في البيضا.[٢] وقد أخفى وفاته الخواجه غياث الدين اليزدى

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) بلدة صغيرة في إقليم فارس : تربتها بيضاء ، ولهذا سميت « البيضاء » تحيط بها المزارع التي تنتج كثيرا من أنواع الفواكه ، وهواؤها معتدل (انظر ابن البلخي : فارسنامه ، ص ١٠٥) وإلى هذه البلدة ينسب القاضي المشهور والمفسر المعروف أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي .

الذي كان الوزير والمدبر للملك ، وأرسل خاتمه إلى قلعة « سبيد » . ثم أخرج ابنه الأتابك ، من السجن وأحضره وأجلسه في السرادق ، وقال للأمراء والجنود : « إن الأتابك يقول : ان أبا بكر هو ولي العهد » . فألقى الأمراء الأحزمة على رقابهم . وبهذا صار أبو بكر أتابكا .

سابعا - في كرمان : كان براق الحاجب يسيطر إلى حد ما . وقد ورد شرح أحواله ضمن تاريخ السلطان غياث الدين .

ثامنا - في سجستان . . .[1]

تاريخ أمراء المغول الـذين كانوا حكاما للولايات

في خراسان عين چينتيمور من قبائل القراخطاي حاكما على ذلك الإقليم ، وعلى إقليم مازندران . والسبب في ذلك هو أنه لما تم الاستيلاء على خوارزم ، تركه فيها « توشي خان »[2] باسم الشحنة .

وفي عهد القاآن أوگتاي عندما أرسل جورماغون إلى ايران ، أمر بأن يسير الرؤساء و « حكام الولايات »[3] بأنفسهم مع الأفواج ، ويعاونوا جورماغون .

فسار « چينتيمور » من خوارزم حسب الفرمان عن طريق شهرستانة ، وقدم من الجهات الأخرى زعيم من قبل كل أمير . ونصب جرماغون أيضا مع چينتيمور قائدا من قبل كل أمير ، ومن قبل القاآن عين « كلبلاد » ، كما عين « نوسال » من قبل باتو ، وقزل بوقا من جانب چغتاي ، و « بيكه » من قبل سيور قوقتيني بيگي والأمراء الأنجال .

ولما كان جورماغون قد ترك شئون خراسان مهملة ، كان الأراذل والأوباش يثيرون في كل لحظة الهرج والاضطرابات ، وصار اثنان من أمراء السلطان جلال الدين وهما « قراچه » و « يغان سنقور » يهاجمان نيسابور وتلك

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) المقصود به جوجي خان .

(٣) ترجمة لكلمة باسقاق أو باشقاق المغولية بمعنى الشحنة (انظر تاريخ وصاف ، ص٦٦٦) .

النواحي ، ويقتلان الحكام الذين كان جرماغون قد تركهم على تلك الولايات .

كما كانا يعتقلان كل الأشخاص الذين يظهرون ولاء للمغول . فما كان من جرماغون إلا أن أرسل كلبلاد وچيتتيمور إلى مناطق نيسابور وطوس للقضاء على قراجه . ثم عاد كلبلاد بعد هزيمة قراجه .

وعندما علم القاآن نبأ الاضطرابات في خراسان ، امر بأن يزحف « طاير بهادر » ، بالجيش من بادغيس ، وأن يقضي على قراجه ، ويلقي بالماء داخل مساكن الأهالي ، وديارهم . فسار حسب الفرمان . وفي الطريق ، سمع أن قراجه قد انهزم من كلبلاد ، ولجأ الى قلعة « أرك سيستان » ، فذهب طاير بهادر لمحاصرتها . وقد استمر في نقبها مدة عامين حتى استولى عليها .

بعد ذلك بعث « طاير بهادر » من سجستان رسولا إلى چيتتيمور يقول : « لقد فوّض إليّ إدارة شئون خراسان ، فكف يدك عن التصرف فيها » .

فأجاب چيتتيمور قائلا : إن نبأ عصيان أهل خراسان كان خلافا للواقع . وكيف يمكن أن تفنى عدة ولايات وسكانها بجرم قراجة ؟! . . . سوف أرسل رسولا إلى حضرة القاآن لإبلاغه هذه الحال ، وسأقوم بتنفيذ ما يشير به الفرمان » .

فعاد طاير بهادر غاضبا ، وأرسل جرماغون أيضا رسولا لاستدعاء چيتتيمور والأمراء ، وترك شئون خراسان ومازندران لطاير بهادر .

وقد عين « چيتتيمور » « كلبلاد » الذي كان من خواص القاآن ليكون مع أمراء خراسان ومازندران في خدمة القاآن .

وفي أثناء تلك الحال ، نزل من القلعة بهاء الدين صعلوك بشرط أن يرسله أخوه إلى حضرة القاآن ، وعاد چيتتيمور من مازندران . وكذلك أظهر الخضوع والطاعة أكثر أهل قلاع خراسان عندما سمعوا نبأ تسليم الملك بهاءالدين .

وعندما وصل بهاء الدين إلى چيتتيمور ، اختصه بمزيد من الإعزاز .

وعين من مازندران الاسپهبد « نصرة الدين كبود جامه » ، وتوجه الاثنان في صحبة كلبلاد إلى حضرة القآن في شهور سنة ثلاثين وستمائة (٦٣٠ هـ = ١٢٣٢/١٢٣٣) .

ولما لم يكن قد ذهب إلى هناك ـ قبل ذلك ـ أحد من أمراء تلك البلاد ، استبشر القآن ، واهتز سرورا بوصولهما ، وأمر بإقامة الولائم ، وشملهما بمزيد من الرعاية .

ولهذا السبب اختص چينتيمور وكلبلاد بأنواع الاعتزاز والتكريم ، وقال : « خلال هذه المدة التي ذهب فيها جورماغون ، واستولى على عدة ولايات عظيمة ، لم يبعث إلينا بأي ملك . أما چينتيمور فقد أظهر هذا الولاء على الرغم من قلة العدد والمدد فأعجبنا ذلك » .

وبناء على هذا أقر القآن چينتيمور حاكما على خراسان ومازندران ، وأمر بألا يتدخل جرماغون والأمراء الآخرون في شئون هاتين الولايتين ، وجعل كلبلاد شريكا له في الحكم ، ومنح الاسپهبد ملكا يمتد من حدود « كبود جامه » الى « استراباد » ، وأقر الملك بهاء الدين على بلاد خراسان واسفراين وجوين وبيهق وجاجرم وجوربذ وارغيان ، وأنعم على كل منها بپايزه ذهبية ومرسومين مختومين « بالختم الأحمر »[1] .

ولما استقرت الأمور لچينتيمور حسب الفرمان ، اختار « شرف الدين » للوزارة بسبب خبرته وأسبقيته ، وعين « بهاء الدين محمد الجويني »[2] في منصب صاحب الديوان ، وأرسل الأمراء الآخرون كاتبا من قبل كل أمير منهم ، وبهذا أزدهرت شئون الديوان وانتظمت .

بعد ذلك أوفد چينتيمور « كوركوز » مرة أخرى برسالة إلى حضرة

(١) يقابلها الكلمة المغولية المركبة « آل تمغا » . (آل يعني أحمر وتمغا يعني ختم) وهو ختم مربع الشكل تختم به المراسيم والفرمانات والأحكام والرسائل الرسمية بالمداد الأحمر . أما إذا كان الختم بمداد ماء الذهب ، فإنه يطلق عليه « التون تمغا » أي الختم الذهبي . وأما إذا كان بالمداد الأسود ، فإنه يطلق « قرا تمغا » أي الختم الأسود

(٢) هو والد المؤرخ عطا ملك الجويني مؤلف كتاب تاريخ جهانگشاي أي تاريخ فاتح العالم والمراد به جنگيز خان (أنظر مقدمة العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني على كتاب تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص يح وما بعدها)

القاآن ، غير أن كلبلاد كان يعارض في ذلك ويقول : : « إنه أويغورى ، ويؤدي الأعمال لمنفعته الشخصية . وإذن فليس من المصلحة إيفاده إلى القاآن » . ولكن جيتيمور لم يستمع لنصحه . وعندما وصل كوركوز إلى هناك ، وسئل عن أحوال الولايات ، أجاب بما يتفق مع رأيه ، فنالت طريقة كلامه إعجاب القاآن ، وأعاده وفقا لرغبته والتماسه .

أما جيتيمور فلم يلبث أن توفي . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وبعد أن كتبنا تاريخ الخواقين والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة والأمراء المغول الذين كانوا معاصرين لأوگتاى قاآن خلال هذه السنوات الست المذكورة ، نعود ثانية ونستأنف كتابة تاريخ أوگتاى قاآن بالتفصيل بعد هذه المدة إن شاء الله العزيز .

(تاريخ أوگتاى قاآن)

ابتداء من «قونين ييل» وهو عام الخروف الواقع في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ - ١٢٣٥م) حتى انتهاء « هوكارييل » أي عام البقرة الموافق شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨هـ = ١٢٤٠ - ١٢٤١م) .

وهي تبلغ سبع سنوات .

خلال هذه المدة انعقد القوريلتاي . مرتين ، وأرسل القاآن الأمراء الأنجال والأمراء إلى ولايات القپچاق والماچين والأماكن الأخرى . وفي كل موضع كان يأمر بتشييد العمارات العالية التي تتمثل في بناء المدن وإقامة القصور . وهكذا إلى أن توفي في السنة الأخيرة التي تصادف الثالثة عشرة من حكمه والخامسة عشرة لوفاة چنگيز خان .

تاريخ انعقاد القوريلتاي من قبل القاآن ، وإيفاده الأمراء الأنجال والأمراء إلى الأطراف والجهات

بعد أن عاد القاآن من فتح بلاد الخطا في عام الحصان ، شكل اجتماعا في موضع « طالان دبسنك » وعقد مجلس الشورى .

وفي عام الخروف رغب في أن يجمع مرة أخرى كل الأولاد والأقارب والأفراد ، ويعيد على أسماعهم القوانين والأحكام ، فحضروا جميعا حسب الفرمان . وقد خصهم بأنواع الإنعام والتكريم ، واستمر شهرا كاملا مع الأقارب يصل الصبوح بالغبوق والولائم والحفلات . وعلى حسب العادة المألوفة التي كانت شيمة تلك الحضرة ، منح تلك الجماعة الأموال التي كانت قد جمعت في الخزائن .

وبعد أن فرغ من إقامة الولائم والتمتع باللهو والأنس ، اتجه إلى تنظيم مهام الملك والجند . ولما كان بعض الأقاليم لم تفتح بعد ، كما أنه كانت هناك طائفة تمارس التمرد والعصيان في بعض الولايات ، اشتغل بمعالجة تلك الأمور ، فعين كل واحد من أقاربه على جهة من الجهات ، وعزم على السير بنفسه إلى القپچاق ، إلا أن مكَنوقاآن على الرغم من انه كان لايزال في عنفوان الشباب ـ اعترض على مسير القاآن بماله من كمال العقل وسداد الرأي ، وقال له : « إننا نحن جميع الأبناء والإخوة نقف مترقبين صدور الأوامر النافذة لكي نضحي بأنفسنا في سبيل كل إشارة تصدر إلينا . أما القاآن فله أن ينعم بالمتعة والسرور واللذة ، ولا يتحمل مشاق الأسفار ومتاعبها وإلا فما الفائدة من الأقارب والأمراء والجند الذين لا حصر لهم ؟ » .

فاستحسن جمهور الحاضرين ذلك القول الصائب ، وجعلوه دستورا ملزما لاوگتاي . وهكذا استقر رأى القاآن المبارك على أن يتوجه من الأمراء الأنجال « باتو » و« منگوقاآن » و« كيوك خان » مع جماعة آخرين من الأمراء وجند كثيرين إلى ولايات القپچاق والأروس والبولو والماچار والباشغرد والآس والسوداق وتلك النواحي ، ويستولوا عليها جميعا . فأخذ هؤلاء يتأهبون للقتال .

وفي تلك السنة أيضا أوفد أوگتاي قاآن وهو في صحراء اسيجانك ابنه كوچو والأمير قوتوقو بن چوچي ؛ إلى ناحية الماچين التي تسمى ننكياس ، فسارا واستوليا على مدينتي سنگ يمو وكريمو ، ونهبا بركيزر في ولاية التبت .

كما أرسل في تلك السنة « هوقاتور » مع جيش إلى كشمير والهند ، فاستولوا أيضا على بعض الولايات ونهبوها . وأيضا في هذه السنة قرروا

« ضريبة على الماشية »[1] ، وذلك بأن يؤخذ عن كل مائة رأس منها ، رأس واحدة . وأمر القاآن بأن يعطى الفرد على كل عشرة تغارات من الغلة « تغارا » واحدا ليصرف على المساكين .

وأقيمت دور البريد في جميع أنحاء الممالك ، إذ أنه دعت إليها ضرورة تردد الرسل بين الأمراء وحضرة القاآن من أجل إنجاز المصالح وإبرام المهام الضرورية ، وأطلقوا عليها اسم « تايان ماه » . وللإشراف على إقامة تلك الدور عينوا الرسل من قبل الأمراء على هذا التفصيل المدون فيما يأتي :

١ - الكاتب « قور يداي » من قبل القاآن .

٢ - ايملكچين تايچيوتاى من قبل چغتاى .

٣ - سوقو مولچتاى من قبل باتو .

٤ - الچيقه من قبل تولوى خان . وقد سار بأمر سيور قوقتيتى بيگى .

وهكذا ذهب الأمراء المذكورون ، وأقاموا دور البريد في كل الولايات والممالك من أقصاها إلى أقصاها . وقد أوفد القاآن الرسل إلى أطراف الممالك بتعليمات تقضي بألا يتعرض أي أنسان لآخر بأذى ، وألا يضطهد القوي الضعيف ظلما وعدوانا ، ولا يتطاول عليه . وبهذا استراح الناس ، وذاع صيت عدل القاآن .

حكاية الحروب التي قام بها الأمراء وجنود المغول في « دشت القپچاق » والبلغار والآروس والمكس والآلان والماچار والبولار والباشغر والآروس والاستيلاء على تلك الولايات

الأمراء الذين عهد إليهم بفتح دشت القپچاق وتلك النواحي هم :

أولا - من أبناء تولوي خان : ابنه الأكبر منگوقاآن وأخوه بوچك .

---

(١) ترجمة لكلمة قوبچور .

ثانيا - من أسرة أوكتاي قاآن : ابنه الأكبر كيوك خان وأخوه قدان .

ثالثا - من أبناء چغتاى : بورى وبايدار .

رابعا - گولكان أخو القاآن .

خامسا - أبناء جوجى : باتو واورده وشيبان وتنكقوت .

سادسا - من الأمراء المشهورين : سوبادای بهادر مع نفر من الأمراء الآخرين .

وقد سار الجميع متضامنين في ربيع « پيچين ييل » أى عام القرد الموافق جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (٦٣٣هـ = ١٢٣٥ - ١٢٣٦م) وواصلوا سيرهم في الصيف .

وفي وقت الخريف انضموا في منطقة البلغار إلى معسكر باتو واورده وشيبان وتنكقوت الذين كانوا قد أرسلوا إلى تلك الجهة .

ومن هناك سار « باتو » مع شيبان وبورولداي على رأس جيش قاصدا ولاية البولو والباشغرد ، فاستولى عليها في وقت وجيز ، ودون مشقة تذكر ، وأعمل فيها القتل والغارة .

وشرح ذلك هو أن البولو كانوا جموعا كثيرة من النصارى ، وتتاخم ولايتهم بلاد الفرنجة . وعندما بلغهم نبأ تحرك باتو والأمراء ، تأهبوا وساروا للقائهم في « أربعين تومانا »[1] من الجنود المدربين . وكان شيبان مع عشرة آلاف فارس في الطليعة ، فأرسل يقول : « إنهم أضعاف جنود المغول ، وكلهم شجعان . وعندما وقف الجيشان في صفوف متقابلة ، اعتلى باتو ربوة جريا على عادة چنگيز خان ، ومكث يوماً وليلة يتضرع متوسلاً إلى حضرة الحق تعالى ، وأمر المسلمين بأن يدعوا له مخلصين .

وكان هناك نهر عظيم بين الجيشين . وفي الليل عبر النهر باتو وبورولداى ، واشتبكا في القتال . وسار شيبان أخو باتو بنفسه ، واشترك في

---

(١) أي ٤٠٠,٠٠٠ جندي .

المعركة . ثم حمل الأمير بورولداى مع كل الجنود حملة واحدة ، وتوجهوا إلى سرادق ملكهم « كلر » ، وقطعوا الحبال بالسيوف ، فارتاع جنود الأعداء وانهزموا ، فصار المغول يتعقبونهم كالأسود الكاسرة التي تهاجم فريستها ، وأعملوا فيهم الطعن والقتل ، إلى أن قضوا على أكثر هذا الجيش . وبذلك تم الاستيلاء على تلك الولاية . وكان ذلك الفتح من جملة الأعمال العظيمة .

والبولو والباشقرد ولاية عظيمة ، وفيها مواضع منيعة . ومع هذا فقد استولى عليها المغول ، ثم تمرد سكانها مرة أخرى ، ولم تفتح تماما حتى الآن . ويلقب الملوك هناك بلقب « كلر » .

بعد ذلك اجتمع الأمراء الأنجال والأمراء في الشتاء عند نهر « چامان » ، وأرسلوا الأمير « سوبادای »[1] مع جيش إلى ولاية الآس ومنطقة البلغار ، وتقدموا حتى مدينة كرنك وباقي الولايات في تلك الجهات ، وتغلبوا على جيوش تلك البلاد ، وأجبروهم على الدخول في طاعتهم . ثم حضر « بایان » و « چیقو » أميرا تلك الناحية ، فأكرمهما المغول ، ووجدا منهم العطف والرعاية ، ثم عادا . ولكنهما تمردا ثانية . فأرسل المغول « سوبادای » مرة أخرى ليعتقلهما .

وبعد ذلك تشاور الأمراء في أن يذهب كل منهم مع جنوده إلى حلبة الصيد ، ويحاربوا الولايات التي تقع في طريقهم ، ويستولوا عليها . وكان منكوقاآن يسير من الجهة اليسرى على شاطىء البحر إلى حلبة الصيد ، وقبض على پچمان الذي كان من كبار أمراء تلك الناحية ، ومن جماعة الچينچاقيين من قبيلة اوليريك . كما قبض على « قاچیر اوكوله » من جماعة الآس .

وتفصيل ذلك هو أن پچمان هذا كان قد نجا من السيف مع طائفة أخرى من اللصوص ، واتصل به جماعة من الهاربين الآخرين . وفي كل جهة كان يسطو عليها ، كان يسلب منها شيئا . وهكذا كانت الفتنة التي أثارها تزداد يوما بعد يوم .

ولم يكن له مستقر معلوم ، ولم يستطع جنود المغول أن يقبضوا عليه . وكان يختفي نهارا في غابات ساحل « ایتیل »[2] .

(١) يكتب أيضا « سبتاي » .

(٢) هو نهر الفلجا المعروف ، ويقال له أيضا اتل واديل .

فأمر منگوقاآن بأن يصنعوا مائتي سفينة ، وأن يضعوا في كل سفينة مائة رجل مغولي مدجج بالسلاح .

وأخذ هو وأخوه يسيران على الشاطىء ليصطادا فوجدا في غابة من غابات ايتيل قطعا من الروث وغيره مما يدل على أثر أسرة معروفة كانت قد رحلت لتوها . ومن بين ما وجداه امرأة عجوزا عرفا منها أن پچمان[1] قد انتقل إلى إحدى الجزر ، وأن كل ما حصل عليه خلال تلك المدة عن طريق السلب والنهب موجود في تلك الجزيرة . ونظرا لعدم وجود سفينة ، لم يكن ممكنا عبور نهر ايتيل .

ولكن فجأة هبت ريح عاصف ، تموج بسببها الماء ، وانساب من ممر الجزيرة إلى الجانب الآخر ، فظهر اليبس بإقبال منگوقاآن الذي أمر جنوده بالمسير فقبضوا على پچمان ، وقضوا على جنوده ، إذ ان المغول في مدة ساعة من الزمن دفعوا ببعض أعدائهم إلى الماء ، وقتلوا طائفة منهم ، وساقوا نساءهم وأولادهم أسرى ، وأخرجوا غنائم وأموالا طائلة . ولما عزم جنود المغول على العودة ، تموج الماء ثانية حتى إذا مروا من هناك ، عاد الماء إلى مجراه ، دون أن يغرق أحدا من الجند .

وعندما مثل پچمان أمام حضرة منگوقاآن ، التمس إليه أن يضع حدا لحياته بيده المباركة ، فأمر منگوقاآن أخاه « بوچك » أن يقده نصفين . كما قتلوا « قاچير اوكوله » من أمراء الآس . وفي ذلك الصيف أقام هناك منگوقاآن .

بعد ذلك في « تاقيقوييل » أي عام الدجاجة الموافق شهور سنة أربع وثلاثين وستمائة (٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ ـ ١٢٣٧م) ، سار لقتال « بوقشي » و« برطاس » أبناء جوجى خان : باتور واورده وبركه ، وولدا أوگتاي قاآن : قداق وكيوك خان ، ومعهم منگوقاآن ، وبورى حفيد چغتاي خان ، وكولكان ابن چنيگز خان فقبضوا عليهما في وقت قصير .

وفي خريف السنة المذكورة ، عقد جميع الأمراء الذين كانوا هناك ـ القوريلتاي ـ وساروا متضامنين لحرب الأوروس ، فحاصر باتو واورده وكيوك

خان ومنكوقاآن وكولكان وقدان وبورى متفقين - مدينة « ريازان » ، واستولوا عليها في ثلاثة أيام . ثم فتحوا أيضا مدينة « ايكه » . ولكن جرح « كولكان » ومات .

بعد ذلك تقدم من أمراء الاوروس المدعو « اورمان على رأس جيش ، فهزمه المغول وقتلوه ، وفتحوا كذلك مدينة « مسكوا » متضامنين في مدة خمسة أيام ، وقتلوا أميرها المدعو « اولاي تيمور » ، وحاصروا مدينة « يوركي » الكبيرة مدة ثمانية أيام ، ثم فتحوها . وكان جنود المغول يقاتلون قتالا مريرا ، وأظهر منكوقاآن نفسه ضروبا من الشجاعة الفائقة إلى أن ألحق بهم الهزيمة .

كذلك فتح أمراء المغول متضامنين - مدينة قيرنقلا المدينة الرئيسية في ولاية « وزيرلاو » في مدة خمسة أيام ، وفر « يوركو » أمير تلك الولاية ، وذهب إلى إحدى الغابات فقبضوا عليه أيضا وقتلوه .

ثم عادوا من هناك ، وتشاوروا في أن يسيروا للصيد توماناً فتوماناً ، ويستولوا على كل مدينة أو ولاية أو قلعة تصادفهم في طريقهم ويدمروها . وقد وصل باتو أثناء سيره إلى مدينة « كيف ماتشكه » فحاصرها مدة شهرين ، ولكنه عجز عن فتحها . ثم وصل قدان وبورى وفتحاها في ثلاثة أيام . وعندئذ نزل المغول في بيوتها واستراحوا فيها .

بعد ذلك في « نوقاييل » أى عام الكلب الموافق شهور سنة خمس وثلاثين وستمائة (٦٣٥هـ = ١٢٣٧ ـ١٢٣٨م) ، وفي وقت الخريف سار منكوقاآن وقدان إلى ناحية « الجركس » وقتلا ملكها في الشتاء . أما المدعو بوقان وشيبان وبوجك وبوري فقد زحفوا إلى جهة « ولاية مريم » التي كانت في قبضة جماعة من أتباع الجينجاقيين حتى استولوا عليها استيلاء تاما . وأما بركه فقد تحرك صوب « القبچاق » . وبفضل إقباله قبض على « ماس » وقيران من قواد « مكروق » .

ثم إنه في « قاقاييل » أى عام الخنزير الموافق شهور سنة ست وثلاثين وستمائة(٦٣٦هـ =١٢٣٨ ـ١٢٣٩م) سار كيوك خان ومنكوقاآن وبورى وقدان إلى مدينة « منكس » وفتحوها في الشتاء بعد محاصرتها شهرا وخمسة عشر يوما .

وبينما هم سائرون للقتال ، حلت سنة الفأر ، فقرروا استئناف الحرب في

الربيع ، وعهدوا بالقيادة إلى « قوقداي » ، وأرسلوه إلى « تيمور قهلقه » ، فقبض عليه وفتح ولايته .

وفي خريف عام الفأر عاد كيوك خان ومنكوقاآن بناء على أمر القاآن ، ونزلا مع جنودهما في عام البقرة الموافق شهور سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨هـ = ١٢٤٠ ـ ١٢٤١م) .

حكاية العمارات التي مر بها أوكتاي قاآن خلال المدة التي كان قد ذهب فيها الأمراء الأنجال إلى ناحية القپچاق حتى عودتهم ، وذكر ديـاره ورحلاته ومصايفه ومشاتيه

وذلك من ابتداء « قونين بيل » (أي عام الخروف) الموافق شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (٦٣٢هـ = ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥ م) عندما أرسل أوكتاي قاآن الأمراء الأنجال إلى ناحية دشت القپچاق ، حتى « هوكاريبل » أي عام البقرة الموافق شهور سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨هـ = ١٢٤٠ ـ ١٢٤١ م) .

حين عاد كيوك خان ومنكوقاآن ـ استمر القاآن سبع سنوات في الأنس والمتعة ، وكان ينتقل من المصايف إلى المشاتي ، ومن المشاتي إلى المصايف سعيدا مسرورا . كما كان دائما مع النسوة الحسان ، والمعشوقات الجميلات ، منهمكا في استيفاء أصناف الملذات . وكان يصرف كل وقته المبارك في إفاضة العدل والإحسان ، وإزاحة الظلم والعدوان ، وتعمير البلاد والولايات ، وإنشاء أصناف العمارات .

ولم يكن يهمل بحال من الأحوال أية ناحية تتصل بتمهيد قواعد الملك وتشييد مباني العمران .

ولما كان قد أحضر معه ـ من قبل ـ من بلاد الخطا مختلف طبقات الأساتذة لكل صناعة وحرفة ، أمر بأن يشيدوا في منطقة « قراقورم » ـ حيث كان يمضي أغلب أوقاته المباركة ـ قصرا عالي البنيان ، رفيع الأركان إلى أقصى حد ، ويليق بالهمة العالية لملك مثله ، طول كل ضلع من أضلاعه ، يبلغ قذفة سهم بعيد المرمى . وشيدوا في وسطه جوسقا في غاية العلو والارتفاع ، وأنجزوا تلك

العمارات بأبهى نسق وأكمل نظام ، وزينوها بفنون النقش والتصوير .

وقد أطلقوا على ذلك القصر اسم « قرشى » . واتخذه القاآن مقرا لحكمه المبارك .

ثم صدر فرمان يقضي بأن يبني كل من الإخوة والأبناء وسائر الأمراء - الذين كانوا يلازمونه - دورا فخمة عالية حول القصر ، فامتثلوا جميعا للأمر . وبعد أن شيدت تلك المباني ، واتصل بعضها ببعض ، بدت مجمعا من العمارات المكتظة والبالغة حد الروعة والترف .

كذلك أمر الصياغ المهرة بأن يصوغوا لمجلس الشراب أواني من الذهب والفضة على هيئة الحيوانات كالفيل والأسد والحصان وغير ذلك ، وأن يجعلوها بمثابة دنان الخمر . وكانوا يملأونها بالشراب والقميز[1] ،وصنع أمام كل منها حوض من اللجين ، فكان الشراب يسيل من منافذ تلك الحيوانات ، وينساب في تلك الأحواض .

بعد ذلك سأل أوكتاي قاآن عن أبهى المدن وأطيبها على ظهر البسيطة فقالوا : بغداد . فأمر بتشييد مدينة عظيمة على ضفاف نهر اورقون ، أطلق عليها اسم قراقورم . وفي المسافة ما بين بلاد الخطا حتى تلك المدينة أسسوادارا للبريد غير المسماة « تايان يام » أطلقوا عليها اسم « نارين يام » . وعلى بعد خمسة فراسخ أقيمت دار للبريد ، فبلغ عددها سبعا وثلاثين دارا . وأقاموا على كل مرحلة فرقة مكونة من ألف جندي للمحافظة على تلك الدور .

كذلك أصدر القاآن أمرا بأن يورد إليها كل يوم من الولايات خمسمائة عربة مملوءة بالأطعمة والأشربة ، توضع في المخازن ، ليقتات المقيمون بتلك الدور .

وبالنسبة للحمل والنقل أعدت عربات كبيرة يجر كل منها ستة ثيران . وأمر أيضا بأن ينشيء مسلمو « أوران » على مسيرة يوم من قراقورم جوسقا في الموضع الذي كان قديما خاصا بحراس أفراسياب ويسمى « كرچاغان » .

---

(١) اللبن الحامض . وهو في الأصل عبارة عن ألبان الأفراس ، توضع في قراب ، ثم تخض بشدة ، وتترك حتى تخمر ، فتصبح صالحة للشرب ، وتكون لها خاصية الخمر .

وفي فصل الربيع كان القاآن يقيم هناك نظراً لوفرة الحيوانات . أما في الصيف فيقيم في موضع « أور مكتوا » حيث كان يضرب سرادقا كبيرا يتسع لألف شخص .

وهو مقام على الدوام . وكان مزدانا من الخارج بمسامير ذهبية . أما داخله فكان موشى ومبطنا بالنسيج ، ويطلق عليه « سره اوردو » . وفي الخريف كان القاآن يقيم في ناحية « ناوور »على مسيرة أربعة أيام من قراقورم ، حيث كان يمضي أربعين يوما . أما مشتاه فكان في موضع « اونك قين » .

وكان يقضي وقته متصيدا في جبال بولنكو وجالينكو ، ويقيم فصل الشتاء .

وقصارى القول أن أوكتاي قاآن كان يقضي الربيع بالقرب من قراقورم ، والصيف في مروج « اورمكتوا » والخريف في ناحية تقع ما بين « ناوور » و « اوسن قول » على مسافة يوم من قراقورم ، والشتاء في اونك قين . وعندما يعتزم السير إلى قراقوم ، كان ينزل في جوسق فخم ، أقامه على بعد فرسخين من المدينة وسماه « تزغو باليق » أو « تزغو شهر » .

وكان القاآن يمضي يومه هناك في الطعام والشراب والأنس والمتعة . وفي اليوم التالي كان الناس جميعا يرتدون ملابس من لون واحد . ومن هناك يتوجه القاآن إلى القصر الكبير « قرشي » . ثم يقف أمامه الشبان الملاح المرفهون . وفي القصر كان ينهمك مدة شهر في الأنس والمتعة .

وكانت أبواب خزائنه مفتوحة لينال من إنعامه الخاص والعام . وكل ليلة كان يأمر رماة السهام والعجلات والمصارعين بالاشتراك في مباريات ، ويشمل كل من فاز، بعطفه ورعايته وعطائه .

كذلك أمر القاآن بأن يقيموا في مشتى « اونك قين » جدارا من الأخشاب والطين على مسافة يومين ، وصنعوا له الأبواب ، وسموه « چيهيك » . وفي وقت الصيد كانوا يخبرون الجنود في الأطراف لكي يشتركوا جميعا في الصيد ، فكانوا يتوجهون نحو الحائط حيث يدفعون بحيوانات الصيد . وعلى مسافة شهر من الطريق ، كانوا يزاولون الصيد لحظة فلحظة ، ويطاردون حيوانات الصيد

إلى چيهيك ، ثم يحدق بها الجنود ، وهم وقوف جنبا إلى جنب .

وكان أوگتاي يدخل ـ أولا ـ مع خاصته ، ويشاهد المباريات مدة من الزمن ، ويزاول الصيد بنفسه حتى إذا تعب ، اعتلى ربوة في وسط الساحة . ثم يدخل الأمراء الأنجال والأولاد حسب ترتيبهم ، ويأخذ العامة والجنود في الرمي . وعندئذ كان يطلق سراح بعض الحيوانات من قبيل الرحمة والشفقة على حين أن « المشرفين على الطبخ »[1] كانوا يقومون بتوزيع كل حيوانات الصيد على كافة طبقات الأمراء الأنجال وقواد الجيش ، بحيث أنه لا يبقى هناك أحد بغير نصيب . وكانت تلك الطائفة تنال كافة ضروب « الإعزاز والتكريم »[2] . وبعد تسعة أيام من الولائم والاحتفالات ، أخذت كل جماعة تعود إلى مواطنها وديارها .

حكاية مرض القاآن ووفاته

كان القاآن ولوعا إلى حد أقصى بالشراب والإدمان على الخمر ، وكان يسرف في ذلك ، فيزداد ضعفا يوما بعد يوم . ولم يكن يتيسر للخاصة ولا للأصفياء منعه من ذلك ، رغم ما كانوا يبذلونه من جهود . وعلى هذا صار يكثر من الشراب رغما عنهم ، فعيّن أخوه چغتاي أميرا باسم الشحنة للمحافظة عليه ومراقبته ، بحيث أنه لا يدعه يتناول أكثر من عدة الكؤوس معينة . ولما لم يكن يستطيع مخالفة أمر أخيه ، صار يحتسي الكؤوس الكبيرة بدلا من الصغيرة إلى أن تساويها في العدد .

والعجيب في الأمر أن ذلك الأمير المستحفظ صار يقدم الشراب للقاآن ، وينادمه كذلك ، حتى صيّر نفسه من خواصه « المقربين »[3] . وعلى هذا لم تؤد ملازمته القاآن أية فائدة .

وكان ثمة ابن « أبيقه بيكي » أخت سيوقوقتيتي بيگي التي كان چنگيز

---

(١) ترجمة لكلمة بكاولان .

(٢) ترجمة لكلمة تيكشميشي المغولية .

(٣) ترجمة لكلمة « اينافان » مفرد « أيناق » المغولية . ولتطور معنى هذه الكلمة أنظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني ـ الجزء الأول ، الترجمة العربية ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ؛

Pavet De Courteille. Dictionnaire Turk Oriental. P 138

خان قد وهبها لكهتي نويان . وكان هذا الابن طاهيا (باروجي) .وكانت أبيقه بيگي هذه تأتي كل سنة من موطنها « ولاية الخطا » للتشاور مع سيور قوقتيتي بيگي والمثول أمام حضرة القاآن ، والتمتع بالمشاركة في الولائم والشراب وجريا على عادتها جاءت في السنة الثالثة عشرة من جلوس القاآن وبالاتفاق مع ابنها - الذي كان يعمل طاهيا - قدمت لأوگتاي قاآن كأسا ، فتوفي وهو نائم بسبب الإفراط في الشراب .

وفي الصباح ادعى الخواتين والأمراء أن ابيقه وابنها قدما للقاآن كأسا ، ولا بد أن يكونا قد سقياه سما . فقال « ايلچيداي نويان » الذي كان أخا في الرضاعة للقاآن ، وأميرا كبيرا من قبيلة « الجلاير » : « ما هذا الكلام الهراء ؟؟!! . إن ابن ابيقه بيگي طباخ ، وكان يقدم الشراب دائما . وإن القاآن - دوما - يفرط في الشراب . فلماذا نبيح لأنفسنا بأن نسيء إلى القاآن ، ونقول : انه مات بفعل الآخرين . لقد انتهى أجله ، وإذن فيجب ألا يخوض أي شخص في هذا الحديث » .

ولما كان ايلچيداي نويان رجلا عاقلا ، عرف أن سبب الوفاة هو الإفراط في الشراب والإدمان عليه . كما أيقن أن عاقبة الشراب بهذا الإفراط تكون وخيمة إلى هذا الحد .

واستناداً إلى روايات المغول ، يكون القاآن قد جلس في « هوكار ييل » (أي عام البقرة)، ومات في عام «هوكار» آخر موافق لشهور سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨ ه = ١٢٤٠ - ١٢٤١ م) أي في السنة الثالثة عشرة من حكمه .

وجاء في تاريخ الخواجه علاء الدين صاحب الديوان أن أوگتاي قاآن توفي في عام الحصان الموافق الخامس من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩هـ = ١٢٤١ - ١٢٤٢م) .

وكان لأوگتاي قاآن طبيب اسمه .....[(١)] من أصل .....[(١)] نظم تاريخ وفاته رمزا ، وأرسله إلى أحد أصدقائه فيما وراء النهر على هذا النمط .....[(١)] .

---

(١) هكذا في الأصل

ولما كنا قد فرغنا من كتابة تاريخ أوگتاي قاآن بأكمله منذ بداية « قونين ييل » أي عام الخروف الموافق شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (٦٣٢ = ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥ م) حتى نهاية « هوكار ييل » أي عام البقرة الموافق شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩هـ = ١٢٤١ ـ ١٢٤٢ م) ، وهي مدة سبع سنوات كان في آخرها وفاته ، فإننا نبدأ الآن ، ونذكر على سبيل الإيجاز تواريخ خواقين الماچين والخلفاء وبعض السلاطين الذين كانوا أحياء ، وتواريخ الملوك والأتابكة في ايران ، وبعض الأمراء الأنجال وأمراء المغول الذين كانوا حكاما على نواحي الأقاليم . والله المستعان .

تواريخ خواقين الماچين والخلفاء وبقية السلاطين والملوك وأتابكة ايران والروم والشام ومصر وغيرهم ، وبعض الأمراء الأنجال الذين كانوا في دشت القيجاق ، وأمراء المغول في خراسان والولايات الأخرى الذين كانوا معاصرين للقاآن طوال مدة السبع سنوات المذكورة ، والتي تبدأ من قونين ييل أي عام الخروف الموافق شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (٦٣٢ هـ ١٢٣٤ ـ ١٢٣٥ م) وغرائب الحوادث ونوادرها التي وقعت في غضون هذه السنوات المذكورة ، وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى .

* * *

تاريخ ملوك الخطا والماچين الذين كانوا في هذه المدة المذكورة

ليزون : إحدى وأربعون سنة .....[1] بعد مضي سبع سنوات ....[1] سبع سنوات .

تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة الذين كانوا في هذه المدة المذكورة

(تاريخ الخلفاء)

في بغداد كان « المستنصر بالله » خليفة آل عباس . وخلال هذه السنوات أسس المدرسة المستنصرية ، وأتم بناءها .

(١) هكذا في الأصل .

(تاريخ السلاطين)

١ - في الموصل : كان بدر الدين لؤلؤ ......[١]

٢ - في بلاد الروم : السلطان علاء الدين ......[١]

٣ - في كرمان : السلطان ركن الدين قتلغ ابن براق . وتتلخص أحواله في أن أباه « براق الحاجب » قد أوفده خلال هذه المدة في سنة ...[١] وثلاثين وستمائة لتقديم الولاء إلى حضرة القاآن ، فبلغه نعي أبيه وهو في الطريق . وعندما وصل إلى مقصده ، شمله القاآن - جرياً على عادته الملكية - بأنواع العطف والتكريم . ونظراً لأنه سارع إلى تقديم الطاعة ، سماه « السلطان قتلغ »[٢] ، وأصدر يرليغا بأن يكون حاكماً على كرمان ، وأن يسارع أخوه قطب الدين - الذي كان يباشر مهام الحكم بعد وفاة أبيه - إلى تقديم الولاء للقاآن ، وملازمته . وفي الوقت الذي وصل فيه ركن الدين إلى كرمان ، سار قطب الدين عن طريق خبيص لتقديم الولاء للقاآن . فلما وصل إلى هناك ، ظل مدة يلازم محمود يلواج ، واشتغل ركن الدين بمباشرة الحكم .

(تاريخ الملوك والأتابكة)

١ - في مازندران ....[٣]

٢ - في ديار بكر ....[٣]

٣ - في الشام ....[٣]

٤ - في مصر ....[٣]

٥ - في المغرب ....[٣] .

٦ - في فارس : كان الأتابك أبو بكر بن سعد . وفي أثناء هذه المدة المذكورة[٣] ...

٧ - في سجستان .....[٣] .

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) قتلغ بمعنى ميمون أو مبارك
(٣) هكذا في الأصل .

(تاريخ بعض الأمراء في صحراء القپچاق وأمراء خراسان والولايات الأخرى)

(تاريخ أمراء دشت القپچاق)

في خريف « قولقنه ييل » أي عام الفأر الموافق شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧هـ = ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠ م) حينما عاد گيوك خان ومنگوقاآن من دشت القپچاق حسب مرسوم القاآن ، نهض الأمراء الأنجال باتو وإخوته وقدان وبورى وبوچك قاصدين ولاية « الاوروس » وأصحاب القلانس السوداء ، واستولوا في تسعة أيام على مدينة الاوروس الكبيرة التي كانت تسمى « منكر قان » كما أنهم استولوا بعد ذلك على كل مدن أولادمور .

بعد هذا كانوا يذهبون للصيد في فرق مكونة من عشرة آلاف جندي ، وصاروا يستولون على القلاع والولايات التي كانت تصادفهم في الطريق ، وحاصروا بجموعهم مدينة « اوج اوغل اولادمور » ، واستولوا عليها في ثلاثة أيام . وفي « هوكار ييل » أي عام البقرة مات القاآن .

وفي خلال شهور الربيع اجتازوا جبل « يابراق تاق » متجهين نحو البولار والباشغرد . وسار « اورده » نحو اليمين ، واجتاز ولاية « ، « ايلاوت » فواجهه جنود معادون في « زرنبام » وهزموه . أما قدان وبوري فقد سارا إلى قبيلة ساسان ، فتغلبا عليها بعد ثلاثة اشتباكات . وسار بوچك عن طريق « قراولاغ » ، واجتاز الجبال الموجودة في تلك الجهات ، وهزم قبائل أولاغ . ومن هناك نفذ من غابة وجبل « يابراق تاو » إلى نواحي « ميش لاو » ، وهناك هزم الأعداء الذين كانوا قد وقفوا مستعدين . وقد سلك الأمراء هذه الطرق الخمسة المذكورة ، واستولوا على كل ولايات الباشغرد والماجار وساسان ، وطاردوا ملكهم « كلر » ، وأمضوا الصيف في وادي نهري « تيسه » و « تنها » .

ثم انطلق قدان على رأس جيش ، واستولى على ولايات ماقوت وايرق وسران ، وطارد « كرل » ملك تلك البلاد حتى ساحل البحر . ولأنه ركب سفينة في مدينة « مليكين » الواقعة على ساحل البحر ، وأبحر ، عاد قدان ، واستولى على مدينتي « اولاقوت قرقين » و « قسله » بعد معارك عديدة . ولم يكن نبأ وفاة القاآن قد بلغه بعد .

بعد ذلك في « پارس ييل » (أي عام الفهد) ، كان قد قدم خلق كثيرون من القپچاق لمحاربة كوتن وشينكقور بن جوجي ، فانهزم القپچاقيون ، ولكنهم عادوا مرة أخرى وقت الخريف ، واجتازوا مناطق « تيمور قهلقه » وتلك الجبال ، وأعطوا « ايلاودر » جيشا ، وأرسلوه . فذهب وقبض على القپچاقيين الذين كانوا قد هربوا والتجأوا إلى تلك الناحية . كذلك أخضع المغول ولاية « اورو نكقوت باداج » ، وأحضروا سفراءهم . وقد انتهى العام أثناء جريان هذه الحوادث .

وفي أوائل « تولي ييل » أي عام الأرنب الموافق شهور سنة أربعين وستمائة (٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م) عاد المغول بعد أن فرغوا من أمر الاستيلاء على تلك البلاد ، وقضوا الصيف والشتاء وهم في الطريق .

وفي « موغا ييل » أي عام الحية الموافق شهور سنة احدى وأربعين وستمائة (٦٤١ هـ =١٢٤٣ م) وصلوا إلى موطنهم ، ونزلوا في معسكراتهم . والله أعلم بالصواب .

(تاريخ أمراء خراسان)

عندما توفي چينتيمور أُرسل رسول لإبلاغ حضرة القاآن نعيه ، فصدر الفرمان بأن يقوم مقامه الأمير « نوسال » في خراسان والعراق . وكان مغوليا مسنا إذ تجاوز عمره المائة . وبموجب الفرمان انتقل الأمراء وكتاب الديوان من منزل چينتيمور إلى منزله ، واشتغلوا بتنظيم شئون الديوان .

ثم توجه شرف الدين الخوارزمي للالتحاق بخدمة باتو . وظل كوركوز يروح ويجيء كالمعتاد . وفجأة وقع نزاع بين بهاء الدين ومحمود شاه السبزواري ، فتوجه بهاء الدين إلى حضرة القاآن ، وعرض عليه الواقعة . فصدر فرمان يقضي بأنه لا يمكن الحكم في غيبة الخصوم ، وأن على الجميع أن يحضروا للتحقيق معهم .

فلما عاد بهاء الدين ، وبلّغ الأمر ، لم يرض « نوسال » و « كلبلاد » عن استدعاء كوركوز . فسار كوركوز ، وحصل لنفسه على رئاسة الحكومة ، على حين أن « نوسال » قنع بإمارة الجيش إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ - ١٢٤٠ م) .

وقد أحضر كوركوز الكتاب والعمال، واشتغل بتصريف الأعمال، ونظم شئون خراسان ومازندران، وأحصى السكان، وحدد الضرائب، وأجاد تنظيم المصانع، وتوخى العدل والإنصاف على خير الوجوه.

بعد ذلك عاد شرف الدين من لدن «باتو». ولما لم تكن له ولا للطائفة الأخرى نفوذ عند كوركوز، حرضوا «ادكو تيمور» الابن الأكبر لجينتيمور على أن يطالب بمنصب والده، فأرسل «تنقوز» إلى حضرة القاآن ليعرض عليه سير الأحوال في خراسان، فانتهز جماعة من خصوم «چينقاي»[1] وزير القاآن الفرصة، وعرضوا على اوكتاي كلام ادكو تيمور، فصدر فرمان يقضي بأن يذهب الأمير «ارغون آقا» و «قور بوقا»، و «شمس الدين كركي» للوقوف على تلك الأوضاع.

وما أن علم كوركوز بهذا الخبر، حتى توجه إلى حضرة القاآن، وأدرك سفراء القاآن في «فناكت»[2]. ولكنه رفض أن ينزل على كلامهم فيعود إلى خراسان فتشبث به تنقوز، وكسر نابه. وفي الليل أرسل كوركوز مع تيمور، ثوبه الملوث بالدم إلى حضرة القاآن، واضطر هو إلى العودة. فلما بلغ خراسان اجتمع كلبلاد وادكو تيمور ونوسال، وطردوا الكتاب من منزل كوركوز بضرب العصا، وأحضروهم إليهم، وشرعوا في التحقيق معهم. فصار كوركوز يماطل حتى عاد تيمور بعد خمسة وأربعين يوما، وأحضر معه فرمانا يقضي باستدعاء جميع الأمراء والملوك، وألا يحقق معهم هناك. ولأنه كان قد عرض على القاآن ثوب كوركوز الملطخ بالدم، أخذه الغضب، وأرسل إلى كوركوز رسالة توجب عليه الحضور طبقا للفرمان، فسار في الحال مع جماعة من الثقات والكفاءة. كما سار «ادكو تيمور» مع طائفة من «الوشاة»[3]. وفي بخارى استضافهم

---

(١) يكتب ايضا چغتاي.

(٢) تكتب ايضا بناكت، وهي إحدى المدن في إقليم ما وراء النهر، وإليها ينسب أبو سليمان البناكتي مؤلف كتاب روضة أولي الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب الذي ألفه باللغة الفارسية في العصر المغولي (انظر مؤرخ المغول الكبير، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ص ٣١٠ وما بعدها)

(٣) ترجمة للكلمة ايغاقان، مفرد ايغاق، وتكتب أيضا ايقاع وايغاغ وايعاق، بمعنى واش أو ساع أو نمام (انظر جهانگشاي، ج ٣، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، حواشي وإضافات)

« صاين ملكشاه » . ثم خرج « كلبلاد » لقضاء حاجة ، فطعنه الفدائيون الذين كانوا يتعقبونه ، وقتلوه .

وعندما بلغوا حضرة القاآن ، أقاموا خيمة أكبر من تلك التي كان چينتيمور قد أقامها . وفيها انهمك القاآن بالمشاركة في الولائم والحفلات . ثم خرج لقضاء حاجة ، فهبت ريح شديدة اقتلعت الخيمة ، فأصيبت بسبب ذلك إحدى المحظيات . فما كان من القاآن إلا أن أمر بقطع تلك الخيمة قطعا قطعا ، ونهب ما كان بداخلها .

وبعد أسبوع أقيمت الخيمة التي كان كوركوز قد أحضرها ، فاستمتع فيها القاآن أيما استمتاع . وكان من ضمن الهدايا التي قدمت له منطقة مرصعة بحجر اليرقان ، فتمنطق بها على سبيل الزينة ، وزال الوجع البسيط الذي كان يشعر به في وسطه بسبب التخمة ، فتفاءل بذلك .

وعلى هذا ارتفع شأن كوركوز . أما خصومه فقد ظل المحققون يحققون معهم ثلاثة أشهر ، ولكن لم يسفر التحقيق عن نتيجة حاسمة . وفي النهاية باشر القاآن بنفسه التحقيق فثبتت التهمة على ادكو تيمور وأتباعه . وعندئذ قال له القاآن : « لأنك من أتباع باتو ، سأبعث إليه باعترافاتك ليرى رأيه فيك » . فقال چينغاي وزير القاآن « إن القاآن هو الحاكم على باتو . ومن هو هذا الكلب الذي يحتاج الملوك إلى التشاور بشأنه ؟؟!!!. . . . إن القاآن وحده يعرف الجزاء » .

فعفا القاآن عن ادكو تيمور ، وأصلح بين المتخاصمين ، وأعادهم جميعا في صحبة كوركوز ، وقال : « إن القانون العظيم الذي وضعه چنگيز خان يقضي بأن يقتل النمَّام والكذاب . وإذن كان من الواجب قتلكم جميعا ، لكنني عفوت عنكم لأنكم أتيتم من مكان بعيد ، ولأن زوجاتكم وأبناءكم ينتظرونكم . فلا تقدموا بعد ذلك على مثل هذه الأعمال . وقولوا أيضا لكوركوز : إنك سوف تكون مذنبا لو عاملتهم بجرائمهم السابقة » .

ثم صدر فرمان يقضي بأن يشرف كوركوز إشرافا تاما على الولايات الكثيرة التي أخضعها جيش جورماغون مما يلي نهر جيحون . فأرسل الرسل في

المقدمة إلى خراسان ، ثم ذهب بنفسه إلى « تنكقوت » أخي باتو . ومن هناك توجه إلى خراسان عن طريق « خوارزم » . وفي جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ - ١٢٤٠ م) ، نزل بداره ، واستدعى الأمراء والكبراء ، وأسمعهم الأحكام التي صدرت من القاآن .

كذلك أوفد ابنه إلى العراق وأران واذربيجان . وبعد حديث طويل مع أمراء جورماغون ، بسط سيطرته على الولايات بموجب الفرمان . وأقر الضرائب المفروضة . وقد اختار كوركوز مدينة طوس مقرا له ، وشرع في تشييد العمارات هناك . بعد ذلك اعتقل « شرف الدين » وقيده ، وأسند الوزارة إلى أصيل الدين الروغدي ، وأرسل رسوله « تيمور » إلى حضرة القاآن لإبلاغه ما آل إليه حال شرف الدين ، ثم ذهب في إثره أيضا .

وعندما عاد إلى منطقة ما وراء النهر ، ثار جدل بينه وبين المدعو « كجاور » من أمراء چغتاي بسبب أحد المواقع المتقدمة . فقال ذلك الأمير : « لو عرضت هذا الأمر ! . . . . » . فأجاب كوركوز : « فعلى من غيري سوف تعرض هذا الأمر ؟؟!!!! . . . »

وكان چغتاي قد مات قبيل تلك الواقعة ، فبكى ذلك الأمير أمام زوجته قائلا : « إن كوركوز قال كيت وكيت » . فأرسلت تلك الخاتون إلى حضرة القاآن تقول : « لأن چغتاي قد مات ، تجرأ غجري مثل كوركوز ، وقال مثل هذا الكلام الفظيع » .

فأمر القاآن باعتقاله ، وملء فمه بالتراب حتى يموت . وكان كوركوز قد جاء إلى خراسان ، فقدَّم رسل تلك الخاتون مرسوم القاآن إلى ابن كلبلاد ، لكي يعتقل كوركوز ، ويسلمه لهم .

ولكن كوركوز فر هاربا ، ولجأ إلى قلعة طوس . وبعد قتال دام ثلاثة أيام ، أخرج من القلعة ، وقيد بالسلاسل ، وسلم لرسل الخاتون ، فحملوه ووضعوا التراب في فمه ، وقتلوه .

والحمد لله رب العالمين

(القسم الثالث) (من تاريخ أوكتاى قاآن)

في سيره وأخلاقه ، والنصائح الغالية والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها ونصح بها . والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده مما لم يرد في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص

كان القاآن متصفا بمحاسن الأخلاق ومكارم الصفات والعادات . وكان دائما يتفضل بكامل الإنعام والإكرام على كافة الناس . وكان حب العدل والجود يغلب على طبعه إلى درجة أنه لم يكن يغفل طرفة عين عن إشاعة العدل وإفاضة الكرم .

وكان أركان الدولة وأعيان الحضرة - أحيانا - ينكرون عليه إسرافه في الكرم . فكان يقول : « لقد تبين للناس وتحقق لهم أن الدنيا لا تفي لأي مخلوق . وإذن فيقضي منطق العقلاء بأن يخلد الإنسان ببقاء الذكرى الطيبة .

شعر

سمّى الحكماء الذكر الخالد عمرا ثانيا ،
وهذه الذخيرة تكفيك كالباقيات الصالحات .

وكلما ورد ذكر عادات السلاطين والملوك الأولين ورسومهم ، وعندما كان الكلام يتناول الكنوز والأموال ، كان أوكتاى قاآن يقول : « إن هؤلاء الذين جدوا في هذا الباب (أى الذين يكتنزون الذهب والفضة) ، لم يكن لهم أدنى نصيب من العقل . إذ انه ليس هناك تفاوت بين المال المدفون والتراب، لأن كليهما في المنفعة سواء » .

« وحيث أنه وقت حلول الأجل ، لاتفيد الكنوز أية فائدة ، كما أنه

لايمكن العودة من العالم الآخر ، فإننا سوف نودع كنوزنا في زوايا قلوبنا ، سوف نمنح المرؤسين وأرباب الحاجات كل ما هو موجود ومعد لدينا ، أو ما يصل إلينا ، وذلك حتى تدخر الذكرى الطيبة » .

وتأييدا لهذه الأخبار التي تضمنت ـ على سبيل الإجمال ـ أفعاله وأقواله ، نورد بالتفصيل عدة حكايات [١] كواحد من ألف وقليل من كثير .

الحكاية الأولى ـ تقضى القوانين والتقاليد عند المغول بألا يستحم الإنسان في الربيع والصيف نهارا ، وألا يغسل [٢] يده في الغدير ، وألا يحمل الماء في أواني الذهب والفضة ، وألا ينشر الملابس المغسولة في الصحراء ، إذ أن هذا يسبب ـ في زعمهم ـ زيادة الرعود والصواعق ، وهم من ذلك في خوف شديد وفرار دائم .

وذات يوم كان القاآن مع چغتاى في الصيد . وبينما كانا يسيران ، شاهدا رجلا مسلما يستحم في النهر ، فغضب چغتاى الذي كان دقيقا إلى أقصى حد فيما يتعلق بشئون الياسا ، وأراد أن يقتل ذلك المسلم . فقال القاآن : « إن الوقت غير مناسب ، ونحن متعبون ، فليوضع تحت الحراسة هذه الليلة ، على أن يحقق معه في الغد ، وينفذ عليه حكم الإعدام » .

ثم سلمه إلى « دانشمند حاجب » ، وأمره في السر بأن يلقي « صرة » [٣]

---

(١) هذه الحكايات منقولة برمتها من كتاب تاريخ جهانگشاي (انظر الجزء الأول ، ص ١٦١ وما بعدها) .

(٢) العجيب في الأمر أن المغول المسلمين ، كانوا لا يزالون متمسكين بكثير من عادات التتر وتقاليدهم المتبعة في مغوليا مما تضمنته الياسا . فمن ذلك عادة تتعارض مع تقاليد الإسلام ، وهي عدم استعمال مياه النهر لا للغسل ولا للاغتسال . وقد نبه على السفراء الذين كان يرسلهم السلطان الظاهر بيبرس إلى بلاط « بركه » لتوثيق الروابط بين الطرفين ـ بألا يغسلوا ملابسهم في الأوردو ولكنهم كانوا يغسلونها خفية إذا ما اشتدت حاجتهم إلى ذلك . (انظر : ابن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ١١٦ وما بعدها ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ، ص ١٧٨) .

(٣) ترجمة لكلمة بالش بمعنى صرة أو بدرة أو كيس من الذهب أو الفضة . وقد ورد في كتاب تاريخ جهانگشاي للجويني (ج ١ ، ص ١٦) أن البالش عبارة عن ٥٠٠ مثقال من الذهب أو الفضة . وقيمة البالش الفضي في المناطق التي كان يسيطر عليها المغول تبلغ ٧٥ دينارا .

من فضة في موضع استحمام الرجل ، وأن يوحى إليه أن يقول عند التحقيق : « إنني رجل فقير، وقد سقط في الماء رأس مالي الذي كنت أمتلكه ، فغطست في الماء لأخرجه » .

وفي اليوم التالي تذرع بتلك الحجة عند التحقيق . فلما أرسلوا هناك أناسا للوقوف على الحقيقة ، وجدوا صرة من النقود في الماء . فقال القاآن : « لمن الجرؤة حتى يستطيع الخروج على القانون العظيم ؟! . . . ولكن هذا المسكين لشدة عجزه وحاجته ضحى بنفسه من أجل هذا الشيء الحقير » ثم عفا عنه ، وأمر بأن يعطى من الخزانة عشرة أكياس من النقود ، واخذوا عليه إقرارا بألا يقدم بعد ذلك على مثل هذه المخالفة المتسمة بالجرؤة والجسارة .

من أجل ذلك صار أحرار العالم عبيداً لخلقه الحميد الذي هو أفضل من الكنوز الوفيرة .

والحمد لله رب العالمين .

حكاية أخرى : في بادىء الأمر كان المغول قد أصدروا قانونا بألا يذبح[1] أي شخص الخراف والحيوانات الأخرى التي يؤكل لحمها ، بل تشق صدورها وأكتافها حسب عرفهم . فاشترى رجل مسلم خروفا من السوق ، وأخذه إلى البيت ، وأوصد الأبواب . ثم سمى ، وهم بذبحه داخل البيت . واتفق أن رآه في السوق رجل من القپچاق فتعقبه ، وصعد فوق السطح ، وبمجرد أن رآه يضع السكين على حلق الخروف ، هبط من السطح ، وقيد ذلك المسلم ، وسحبه إلى بلاط القاآن ، فأرسل القاآن نوابه للتحقيق . فلما أطلعوه على ما حدث ، قال : إن هذا الرجل الفقير قد احترم القانون ، على حين أن هذا التركي خرق القانون ، لأنه صعد فوق سطح منزله . وبهذا نجا المسلم ، وقتل القپچاقي .

حكاية أخرى : كان قد قدم من الخطا جماعة من الحواة . وكانوا يخرجون

---

(١) يذكر المقريزي خلال حديثه عن الياسا أن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ، ثم يؤكل لحمه ، وأن من ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين قتل (انظر الخطط ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، ص ١٤٦) .

الألاعيب العجيبة من بين الستار . ومن جملتها نوع من صور كل طائفة . وقد أخرجوا من بين الصور ، صورة لشيخ ذي لحية بيضاء مربوط بشال عمامته إلى ذيل حصان ، ومسحوب على وجهه . فقال القاآن : لمن هذه الصورة ؟ ! . . قالوا : للمسلم المتمرد الذي يخرجه الجنود من المدن على هذه الهيئة . فقال: دعوا هذه اللعبة . وأمر بأن يحضروا من الخزانة نفائس الملابس والمرصعات التي تستورد من بغداد، وبخارى ، كما يحضروا الجياد العربية والأشياء الأخرى القيمة من الجواهر والذهب والفضة وغيرها مما هو موجود في هذه الجهات . وأحضروا أيضا من تلك الأصناف الخطائية ، ووضعوها في مقابل بعضها البعض ، فكان الفرق بين تلك الأنواع شاسعا .

بعد ذلك قال القاآن : « إن أحقر فقير من المسلمين التازيك ، يقف على خدمته عدة أشخاص من العبيد الخطائيين ، على حين أنه لم يكن لواحد من كبار الأمراء الخطائيين أسير واحد من المسلمين » .

« ويمكن عد هذا الأمر حكمة إلهية ، لأن الله مطلع على منزلة كل قوم من الأقوام في مختلف الأزمان ، وأن الياسا المباركة التي وضعها جنگيز خان لتتفق أيضا مع هذا المعنى ، إذ جعلت دية دم المسلم أربعين بدرة من الذهب ، على حين أنها جعلت دية الخطائي حمارا . فكيف يجوز أن يوضع أهل الإسلام في معرض الاستخفاف مع كل هذه الدلائل والبراهين الساطعة ؟! . . . والواجب معاقبتكم جزاء فعلتكم . ولكني عفوت عنكم هذه المرة ، فانصرفوا من حضرتنا ، ولاتقدموا على مثل هذه التصرفات بعد ذلك » .

حكاية أخرى : كان أحد ملوك إيران قد أرسل رسولا إلى حضرة القاآن ، يعلن الولاء له والدخول في طاعته . ومن بين التحف التي ورثها عن آبائه وأجداده ، أرسل إلى القاآن جوهرة من اللعل المصقول ، كان قد نقش في اعلاها الاسم المبارك للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحته أسماء أجداد ذلك المرسل . فأمر أوگتاى النقاش بأن يترك اسم الرسول صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا ، وأن تمحى الأسماء الأخرى ، وينقش اسم القاآن تحت اسم الرسول عليه السلام . ثم ردها إليه بعد ذلك .

حكاية أخرى: قدم إلى حضرة القاآن أعرابي من المنكرين لدين الإسلام، وجثا على ركبتيه ، وقال : « لقد رأيت جنيگز خان في المنام ، فقال لي : « أبلغ ابني أن يكثر القتل في المسلمين ، لأنهم أناس في غاية السوء » . ففكر القاآن برهة ، ثم قال : « هل تكلم معك بواسطة مترجم أو بلغته ؟! . . . » . قال : «بلغته» فسأله القاآن : « أتعرف المغولية ؟! . . . » أجاب : « لا » . فقال القاآن : « أنت تكذب دون ريب ، إذ أنني على يقين من أن جنگيز خان لم يكن يعرف لغة أخرى سوى اللغة المغولية » . وأشار بقتله .

حكاية أخرى : كان هناك رجل فقير عاجز عن الكسب . ولم يكن يعرف أية حرفة . غير أنه كان يصنع من بعض القطع الحديدية سهاما على هيئة مخاصف الإسكافي ، ويضعها في القسي ، ويجلس في طريق القاآن منتظرا فوقع نظره المبارك على هذا الرجل من بعد ، فأرسل شخصا ليعرف حاله . فقال له الفقير: « إنني رجل ضعيف الحال ، قليل المال ، كثير العيال . وقد أحضرت هذه المخاصف إلى الحضرة . ثم سلمها له .

فعرض ذلك الأمير حال الفقير على القاآن . ولكنه لم يطلعه على تلك المخاصف لشدة حقارتها ورداءتها . فأشار القاآن قائلا : « أرني الشيء الذي أحضره » . ثم أمسك بتلك المخاصف بيده المباركة ، وقال : « إن هذا النوع من الإبر يصلح للرعاة ليخيطوا به خروق قراب القميز » . ثم أنعم على الفقير: بصرة من النقود عن كل مخصف لم يكن يساوي حبة شعير .

حكاية أخرى : قدم إلى حضرة القاآن رجل في غاية الضعف والهرم ، والتمس إليه أن يعطيه مائتي بدرة من الذهب على سبيل « التجارة »[1] . فأمر بإعطائه تلك النقود . فقال الخواص : إن هذا الرجل قد بلغ نهاية عمره ،

---

(١) ترجمة للكلمة التركية اورتاقي أو ارتاقي أو ارتاغي . وتأتي كلمة ارتاغ أو ارتاق بمعنى تاجر أو شريك . (أنظر كتاب تاريخ جهانگشاي ، ح ١ ، ص ١٦٥ ، حاشية ٩) ويقول بارتولد . كان المغول يطلقون على التجار جميعهم الكلمة التركية « اورتاق » بمعنى شريك والظاهر أن السبب في ذلك هو تجمع التجار في شكل شركات ليستطيعوا تجهيز القوافل (أنظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، الترجمة العربية ، ص ١٦٢) .

وليس له مسكن ولا أولاد ولا أقارب ، ولم يطلع أحدا على أحواله » .

فقال القاآن : « لقد أمضى مدة عمره يحلم بهذه الأمنية . وكان يتحين مثل هذه الفرصة . وإذن فليس من علو الهمة إرجاعه خائبا من ساحتنا . وإنه لجدير بمثل هذا الملك الذي قد منَّ الله به علينا أن نسارع الى إنجاح ملتمسه .ولا ينبغي أن يبلغ أجله قبل أن يحقق مقصوده » .

وبموجب الفرمان أخذوا في تسليم الصرر له . ولكن فاضت روحه قبل أن يتسلمها .

حكاية أخرى : التمس شخص أن يعطى من الخزانة خمسمائة بدرة من الذهب كرأس مال يتاجر به . فأمر القاآن بإعطائها له . فقال الخواص : إن هذا الرجل غير معروف الأصل ، ولا يمتلك شروى نقير ، وهو مدين بهذا المبلغ . فقال القاآن : اعطوه ألف بدرة حتى يعطي للدائنين نصفها ، ويتخذ نصفها الآخر رأس مال له .

حكاية أخرى : عثر على وثيقة بالقرب من تلك الجهات التي يقطنونها تفيد بوجود كنز في المكان الفلاني ، قد وضعه أفراسياب . وقد ورد في هذه الوثيقة أن الدواب الموجودة في تلك الجهات لا تستطيع حمله . فقال القاآن : « لسنا في حاجة إلى كنوز الآخرين . وما نملكه من المال نؤثر به عباد الله ورعايانا » .

حكاية أخرى : قدم تاجر إلى حضرة القاآن ، وأخذ من الخزانة مائة بدرة من الذهب كرأس مال له . وعاد بعد مدة ، وذكر عذرا غير مقبول مؤداه أن تلك البدرات قد نفدت . فأمر القاآن بإعطائه خمسمائة بدرة مرة ثانية . ولكنه عاد في السنة التالية أشد إفلاسا مما كان ، وانتحل عذرا آخر . فقال القاآن : أعطوه مرة ثالثة . ولكنه عاد بعد ذلك وقدم عذرا آخر . فخاف الكتاب من عرض مطلبه على القاآن .وفي النهاية أبلغوه أن الشخص الفلاني يبدد الأموال في المدن ويأكلها . فقال : كيف يمكن أكل الأموال ؟! . . . » قالوا : « يعطيها الأوباش ، وينفقها في المأكل والمشرب » . فقال : « مادامت الأموال نفسها

موجودة ، والذين يأخذون منها هم رعايانا . فهي إذن لا تزال في أيدينا . أعطوه مثلما أعطيتموه في المرات السابقة ، وأوصوه بألا يسرف .

حكاية أخرى : عرض أهل طاينفو من مدن الخطا على القاآن قائلين : إن علينا دينا قدره ثمانية آلاف صرة من النقود ستكون سببا في تشتتنا ، لأن الدائنين يطالبوننا بها . فلو صدر الأمر بالتضامن معنا وإمهالنا ، فسوف نسدد ما علينا بالتدريج ، ولا نصبح معدمين . فقال القاآن : « إن الزام الدائنين بإمهال المدينين يسبب لهم الخسارة . كما أن الإهمال يسبب اضطراب الرعايا . فالأولى أن نقوم بسداد هذا الدين من الخزانة » .

ثم أمر بأن ينادي المنادون حتى يحضر المدينون مستنداتهم ، ولكي يستدعوا دائنيهم لأخذ أموالهم من الخزانة . وكثيرا ما كان يدعي شخص بأنه مدين وآخر بأنه دائن . وهكذا كانوا يأخذون بالكذب صرة من النقود ، ويحصلون على أضعاف ما ذكروه .

حكاية أخرى : قدم شخص ثلاث شمامات إلى أوگتاي قاآن وقت الصيد . ولما لم يكن هناك شيء من الذهب واللباس ، أشار على « موكا خاتون » بأن تعطي ذلك الشخص الدرتين اللتين كانتا تتحليان بهما في أذنيها . فقيل له : إن هذا الدرويش لا يعرف قدر هاتين الدرتين ، فليحضر في الغد ، ويتسلم من الخزانة ما يصدر به الفرمان من الذهب والملابس . فقال : لا طاقة للدرويش بالانتظار . وسوف تعود إلينا هاتان اللؤلؤتان .

وحسب الأمر أعطى الدرويش تلك الدرتين ، وعاد مبتهجا . ثم باعهما بثمن بخس . فقال المشتري لنفسه : إن مثل هذه الجواهر الثمينة ، يليق بحضرة الملوك . وفي اليوم التالي قدم الدرتين إلى حضرة القاآن على سبيل الهدية ، فصرح القاآن بقوله : « لقد قلت إن مثل هذه الأشياء سوف تعود إلينا ، ولا يحرم الدرويش . ثم أعاد الدرتين إلى موكاخاتون ، وشمل الشخص الذي أحضرهما بأنواع الإعزاز والتكريم .

حكاية أخرى : أحضر رجل غريب زوجا من السهام إلى أوگتاي قاآن ، وجثا على ركبتيه ، فلما سئل عن حاله ، أجاب : « إن مهنتي هي صقل السهام »

وعليّ دين قدره سبعون كيسا من النقد . فلو أن الفرمان صدر بإعطائي هذا المبلغ من الخزانة ، فإني سوف أحضر في كل سنة عشرة آلاف من السهام المصقولة » . فقال القاآن : « إن سوء حال هذا المسكين قد بلغ أشده ، فعليك أن تقبل أيضا هذه الأكياس من النقد ثمنا لتلك الكمية من السهام » . ثم أعطوه مائة كيس أخرى من النقد كي يرتب أموره . فسلموها إليه على الفور . ولكنه عجز عن حملها . فضحك القاآن ، وأمر بإعطائه زوجا من الثيران وعربة حمل عليها ذلك الحمل وانصرف .

حكاية أخرى : عندما أمر أوكتاى قاآن بتأسيس قراقورم ، دخل ذات يوم دار الخزانة ، فرأى ما يقرب من عشرين ألفا من أكياس النقد ، فقال : ماذا نستفيد من ادخار هذه النقود ، ولماذا ينبغي المحافظة عليها دائما . نادوا بأن يحضر كل شخص له رغبة في الحصول على أكياس النقد هذه ليأخذ منها ما يشاء . فتوجه إلى الخزانة أهل المدينة : شريفهم ووضيعهم ، غنيهم وفقيرهم، ووجد كل شخص منهم نصيبا وافرا .

حكاية أخرى : لما لم تكن هناك زراعة في منطقة قراقورم بسبب شدة البرد ، بدأوا بتجربة الزراعة في عهد القاآن ، فزرع أحد الاشخاص فجلا ، ونتج بعض المحصول ، فأحضره إلى حضرة القاآن . فأمر بإحصاء اوراق الفجل ، فكانت مائة ، فأشار بإعطاء هذا الشحص مائة كيس من النقد .

شعر

لو كان القلب واليد بحرا ومنجما ،

لـكـانـا قلـب مولانا ويـده . . .

حكاية أخرى : غرس شخص بعض أشجار الصفصاف واللوز بالقرب من الجوسق الذي كان القاآن قد أمر ببنائه على بعد فرسخين من قراقورم ، وسماه « تزغوباليق » ولم يكن الشجر ينمو في تلك النواحي لشدة البرد . ولكن تصادف أن اخضرت تلك الأشجار ، فأمر القاآن بأن يعطى الزارع صرة من الذهب عن كل شجرة .

حكاية أخرى : نظرا لأن صيت بذل القاآن وإحسانه قد ذاع في الآفاق ،

صار التجار من مختلف الأقطار يتوجهون إلى بلاطه ، فكان يأمر بشراء أقمشتهم الجيدة والرديئة ، وإعطائهم أثمانها كاملة . وأكثر من هذا كان يمنح التجار أثمان هذه الأشياء دون أن يراها . فصار هؤلاء التجار يقومون الواحد بعشرة .

وكانوا يكثرون من العرض . وقد فطن التجار جميعهم إلى هذا الأمر ، فكانوا - بعد يومين أو ثلاثة - يستردون القماش قبل عرضه ، فيأمر القاآن بصرفه لهم . ثم إنهم كانوا يجيئون بعد ذلك فيقدمون أقمشتهم وفق رغبتهم . وكان فرمان القاآن يقضي بأن كل ما يقوم بعشرة يدفع عنه أحد عشر .

وذات يوم قال كفاة الحضرة : « إنه لا داعي لزيادة ما يقوم بعشرة إلى أحد عشر ، إذ أن سعر أقمشتهم يزيد على ثمن المثل . فقال القاآن : « إن معاملة التجار مع الخزانة إنما هي من أجل زيادة الاستفادة والتمتع . ومن المسلم به أن لتلك الطائفة واجبا عليكم أنتم أيها الكتاب ، وهو دينكم الذي أؤديه عنكم حتى لايعودوا من حضرتنا خاسرين » .

حكاية أخرى : أحضر جماعة من الهند نابي فيل ، فسألهم القاآن عن ملتمسهم في مقابل ذلك . فأجابوا بلا مبالاة أو تردد : خمسة آلاف كيس من النقد .

فأمر بإعطائهم ما طلبوه . فاستنكر أعيان الحضرة ذلك استنكاراً بالغاً ، وقالوا : كيف يجوز إعطاء هذا المال الكثير في مقابل شيء حقير ، لا سيما وأنهم قدموا من ولاية أعلنت التمرد والعصيان ؟؟ !! . . . فقال القاآن : « ليس هناك شخص قط يتمرد عليّ ، أعطوهم لكي ينصرفوا » .

حكاية أخرى : قدّم شخص قلنسوة للقاآن على هيئة القلنسوة الإيرانية ، فأمر وهو سكران بأن يكتب له صك بصرف مائتي كيس من النقد . فلم ينفذ المسئولون الأمر المهور بالختم الأحمر ظناً منهم أن القاآن قد أمر به تحت تأثير السكر .

وفي اليوم التالي وقع نظره على ذلك الشخص ، فعرض النواب عليه مسألته . فأمر بأن يعطي ثلاثمائة كيس من النقد . فامتنعوا عن التنفيذ لنفس

ذلك السبب . وهكذا صار يأمر بالزيادة في كل يوم حتى بلغ المقدار ستمائة كيس .

بعد ذلك استدعى الأمراء والكتاب وسألهم : « هل يخلد أيّ شيء في الدنيا أو لا ؟ . . . » فأجابوا جميعاً : « لا » . فالتفت إلى الصاحب يلواج ، وقال : « إن هذا الكلام خطأ ، لأن السمعة الطيبة والذكر الحسن يخلدان دائماً » .

وأخيراً توجه إلى الكتاب محذراً فقال : أنتم أعدائي حقا ، لأنكم لا تريدون أن يبقى مني ذكر بالخير وسمعة طيبة ، وتؤخرون العطاء ظناً أني منحته وأنا في حالة السكر ، وتحرمون بذلك المستحق . وإنكم لن تعتبروا ما لم يلق واحد أو اثنان منكم جزاء فعله ، فيكون عبرة للآخرين .

حكاية أخرى : عندما أعلنت شيراز التمرد والعصيان ، قدم منها شخص إلى القاآن ، وجثا على ركبتيه ، وقال : « إنني رجل معيل ، وعليّ دين قدره خمسمائة صرة من النقد وأتيت من شيراز على صيت كرمكم أيها الملك . فأمر بإعطائه ألف صرة من النقد .

فامتنع الكفاة وقالوا : إن الزيادة على ملتمسه يمكن أن تعد إسرافاً . فقال : « إن هذا المسكين ـ بسبب ذيوع صيتنا ـ قد قطع العديد من الجبال والصحارى ، واحتمل الحر والبرد ، وإن إجابته إلى ملتمسه لا يفي بدينه ونفقاته ، فإذا لم يُضَفْ إليها شيء ، فإنه كمن يعود محروماً ، ولا يمكن استساغة ذلك . فاعطوه كل ما أشرت به كي يعود جذلاً مسروراً .

حكاية أخرى : جاء رجل فقير إلى حضرة القاآن ، وقد ربط عشرة من السيور الجلدية في عصا ، ولهج لسانه بالدعاء للقاآن ، وقال : « كانت لي عنزة صغيرة ، أطعمت أولادي لحمها ، وصنعت من جلدها سيورا للمحاربين ، وأحضرتها لكم » .

فأخذها القاآن ، وأمسكها بيده المباركة ، وقال : « إن المسكين قد أحضر إلينا ما هو خير من العنزة » . ثم أشار بإعطائه مائة كيس من النقد وألف رأس

من الغنم ، وقال : « ليعد هذا الرجل عندما تنفد هذه النفقة حتى نعطيه غيرها » .

حكاية أخرى : كانت عادة القاآن أن يشتغل بالصيد في أشهر الشتاء الثلاثة من كل سنة . أما خلال التسعة الأشهر الأخرى ، فإنه يجلس كل يوم على كرسي خارج البلاط ، بعد أن يفرغ من الطعام . وكانت توضع أمامه أنواع السلع الموجودة في الدنيا أكواماً أكواماً ، فيمنحها طوائف المغول والمسلمين .

وكثيراً ما كان يأمر الأقوياء بأن يأخذوا من الأصناف التي يريدونها كل ما يقدرون على حمله .

وذات يوم حمل واحد من تلك الطائفة كومة كبيرة . وفي الطريق سقط منه ثوب واحد . فعاد ليحمله . فقال القاآن : كيف يتحمل قدم إنسان التعب من أجل ثوب واحد ؟؟ » وأشار عليه بأن يحمل - مرة ثانية - كل ما يستطيع حمله .

حكاية أخرى : قدّم شخص إلى القاآن مائتي عود من العناب لصنع السياط . وفي هذه الجهات يحرق الناس تلك الأعواد كالحطب . فأمر القاآن بأن يعطى مائتي كيس من النقد .

حكاية أخرى : أحضر شخص للقاآن مائتي عظمة لصنع الرماح ، فمنحه مثلها أكياساً من النقد .

حكاية أخرى : كان القاآن يمر بديار قراقورم ، فوقع نظره على دكان مملوء بالعناب ، فتاقت نفسه إليه . فلما ترجّل ، أمر « دانشمند حاجب » بأن يشتري عناباً ببدرة واحدة من هذا الدكان . فذهب وأتى بطست مملوء بالعناب ، ونقد صاحبه ربع بدرة كان يساوي أضعاف قيمته .

ولما أحضر العناب ، قال القاآن : « إن بدرة واحدة ثمن قليل جداً لهذا العناب الكثير . فأخرج « دانشمند حاجب » بقية البدرة ، وقال : « إن ما أعطيته هو أكثر من عشرة أمثال قيمته . فأنّبه القاآن وقال له : « لقد أتيح لهذا الرجل طيلة حياته مشتر واحد فقط مثلنا » . وأشار على « دانشمند حاجب » بأن يعطيه الصرة بأكملها مع عشرة صرر أخرى .

حكاية أخرى : أمر القاآن لرجل فقير بمائة كيس من النقد . فقال الكفاة : لا شك أن القاآن يظن أن المائة كيس من النقد مائة درهم . ثم وضعوا هذا المقدار في طريقه . فقال : ما هذا ؟ قالوا : تلك هي الأكياس التي سوف تعطى للدرويش .

فقال : إنها قليلة جداً وحقيرة . أعطوه ضعفي هذا المقدار .

حكاية أخرى : تعامل شخص مع أمراء القاآن وخزنته بمائة كيس من النقد .

فقال : انقدوه الأكياس .

وفي اليوم التالي : وقف رجل فقير على باب « قصر »[1] القاآن . فلما رآه ، ظن أن ذلك الشخص هو التاجر ، فقال : « لماذا لم تعطوه حقوقه حتى الآن ؟ ! . . » فحملوا إليه في الحال مائة كيس من النقد قائلين : هذا ثمن بضاعتك .

فقال الدرويش : أنا لم أبع أية بضاعة . فعادوا ، وأبلغوا القاآن أن هذا ليس هو الشخص المقصود . فقال : « حيث أنكم أخرجتم الأكياس من الخزانة ، لا يجوز إعادتها ثانية . إنه رزق هذا الرجل . اعطوها كلها له » .

حكاية أخرى : ذات يوم رأى القاآن امرأة هندية ، كانت تحمل طفلاً على كتفها . فأمر بأن تعطى خمسة أكياس من النقد . فسلم لها المعطي أربعة ، وحجز واحداً . فصاحت المرأة استنكاراً . فسأل القاآن أتباعه . « ماذا كانت تقول تلك المرأة ؟ ! . . » فقالوا : « إنها إمرأة معيلة ، وأنها كانت تدعو لك » .

فقال : « ألها أطفال ؟ ! . . » قالوا : بلى . فذهب إلى الخزانة ، ونادى تلك المرأة ، وصرح لها بأن تحمل ـ بقدر ما تستطيع ـ ما تريده من كل نوع من

---

(١) ترجمة للكلمة المغولية « قرشي » (بفتح القاف وسكون الراء المهملة وكسر الشين المعجمة والياء في نهاية الكلمة حرف أصلي) معناها قصر خان المغول (انظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، حاشية ١)

الأقمشة المنسوجة ، فأخذت كثيراً منها ما يوازي رأس مال رجل ثري .

حكاية أخرى : ذات يوم أحضر أحد البزاة صقرا إلى القاآن ، وقال : « إن الصقر مريض ، وعلاجه لحم الدجاج . فقال القاآن : « أعطوه كيساً من النقد ، ليشتري به دجاجا » . فأعطى الخازن ذلك الكيس للصراف لكي يدفع له ثمن عدد من الدجاج ثم سأل القاآن الخازن عن حال صاحب الصقر ، فقال : « لقد أخذ كفايته » . فغضب القاآن ، وقال : « لقد وضعت كل أموال العالم ـ التي لا حصر لها ـ في يدك . أو ليس يكفيك هذا ؟؟ ! . . » .

إن صاحب الصقر هذا لم يكن يريد دجاجاً ، بل كان يطلب ـ بتلك الوسيلة ـ شيئاً لنفسه . وكل شخص يقصدنا إنما هو من التجار الذين يقولون : إننا نأخذ أكياس النقد حتى نربح . وأنا لا أدري أن الذين يحضرون لنا الأمتعة ، أو ممن يتوجهون إلى هذه الحضرة من كل طبقة من الناس قد نصبوا لنا شركا ، أو أخذوا منا شيئاً . ولكني أود أن يكونوا في راحة من ناحيتنا ، وأن ينالوا نصيباً من دولتنا . ثم أمر بأن يعطى صاحب الصقر عدة أكياس من النقد .

حكاية أخرى : كان هناك صانع أقواس يصنع أقواساً رديئة للغاية . وقد اشتهر في مدينة قراقورم بأنه لم يشتر منه أي شخص قوساً .

وذات يوم علق هذا الصانع عشرين قوساً في طرف عصا ، وأحضرها إلى القصر ، ووقف على بابه . وعندما خرج القاآن ، ورأى ذلك الرجل ، أمر بالتحري عن حاله .

فقال الرجل : أنا صانع الأقواس الذي لم يكن يشتري منه أحد قوساً ، إلى أن صرت في غاية الفقر . وقد أحضرت تلك الأقواس العشرين للحضرة . فأمر القاآن بأن تؤخذ منه ، ويعطي عشرين صرة من الذهب .

حكاية أخرى : أُهدي إلى القاآن منطقة (حزام) مرصعة ثمينة ، من التحف اللطيفة . فتمنطق بها . ولكن انفك مسمار في طرف منها . فأعطوها صائغا ليحكم مسمارها . ولكنه أتلفها . وكلما طالبوه بها ، كان ينتحل الأعذار .

وفي النهاية ضيقوا عليه الخناق ، فاعترف بأنه أتلفها ، فكبلوه بالقيود ، وجاءوا به إلى الحضرة ، فعرض على القاآن حقيقة الموقف . فقال القاآن : « رغم أنه ارتكب جرماً شنيعاً ، إلا أن الإقدام على مثل هذه الفعلة ، دليل على غاية العجز والاضطرار . فأعطوه مائة وخمسين كيساً لكي يصلح أحواله ، ولا يجرؤ على مثل هذا بعد ذلك » .

حكاية أخرى : قدّم شخص إلى القاآن كأسا من الصفيح ، فأخذها المقربون وعرضوها على القاآن في غيبة الرجل . فقال : لقد تحمل الشخص الذي أحضرها متاعب كثيرة حتى أتى إلينا بمثل هذه الجوهرة اللطيفة فأعطوه مائتي كيس من النقد . وكان صاحب تلك الكأس جالساً عند الباب يفكر فيما إذا كانوا قد عرضوا بضاعته على القاآن أم لا ؟؟ ! . . وفجأة بشروه وسلموه الأكياس في الحال .

وفي نفس اليوم كانوا يتحدثون عن الغلمان الأحباش فقال : اسألوا هذا الشخص : هل يستطيع الحصول على خدم أم لا ؟ فقال : إن هذه مهنتي . فأمر بأن يعطى مائتي كيس أخرى ، وكتبوا له مرسوماً لتسهيل مروره في الطريق . ولكنه ذهب ، ولم يعد أبداً .

حكاية أخرى : كان هناك شخص في قراقورم في غاية الفقر . وقد صنع كأساً من قرن ماعز جبلي ، وجلس في طريق القاآن حتى إذا ما وصل ، نهض الرجل ، وقدّم له الكأس ، فأخذها ، وأمر بأن يعطى خمسين كيساً من النقد . فصار أحد الكتّاب يكرر العدد معترضاً . فقال القاآن : « إلى متى أقول لكم لا تعترضوا على عطاياي ، ولا تحرموا السائلين من مالي . أعطوا الرجل ـ على الرغم من هذا ـ مائة كيس » .

حكاية أخرى : اقترض شخص مسلم أربع صرر من الفضة من أمير أويغوري ، وعجز عن أداء هذا الدّين . فألقوا القبض عليه ، وصاروا يحاسبونه . فأجبر على أن يختار واحداً من اثنين : إما أن يرتد عن الدين الإسلامي الحنيف ، ويتمنطق بالزنار ، ويدخل في دين الوثنية ، وإما أن يطاف به في السوق عارياً ، ويضرب مائة عصا . فطلب مهلة ثلاثة أيام . ثم قدم إلى بلاط القاآن ، وعرض عليه حاله . فأمر بإحضار غرمائه ، وأدانهم بسبب

العبء الذي كانوا يحملونه لذلك الرجل المسلم ، ومنحه زوجة الأويغوري وداره . كما أمر بأن يضرب الأويغوري في السوق مائة عصا . وهو عريان ، وأعطى المسلم مائة كيس من النقد .

حكاية : كان هناك رجل علوي من أهالي « جرغ بخاري »[1] يدعى بالعلوي الجرغي قد اقترض من الخزانة كيساً من النقد للتجارة . وفي موعد أداء الدّين ادعى قائلاً : « إني قد سددته » . فطلبوا منه حجة السداد . فقال : « لقد سلمت المبلغ ليد الخان » . فلما أحضروه إلى البلاط ، قال : « أنا لا أعرفك . فأين وبحضور من ، ومتى سلمتني هذه النقود ؟ » . فأجاب الرجل : « أنت كنت وحدك » . ففكر القاآن ساعة ثم ذكر أن الأمر واضح له ومحقق لديه ، وهو أنه إذا طولب هذا الرجل برد المبلغ ، فسيقول الناس : « لقد أنكر القاآن ، وعاد يطالب بالدين » . وأخيراً قال لأتباعه : « دعوا هذا الرجل وشأنه ، ولكن لا تأخذوا منه ما أحضره من بضاعة ، ولا تتعاملوا معه » .

وفي ذلك اليوم ، كان جماعة من التجار قد قدموا إلى الحضرة ، ليبيعوا أقمشتهم . فكان القاآن ينقد كلا منهم أكثر من ثمنها .

وفجأة قال للحاضرين : أين ذلك السيد ؟ فلما أحضروه له ، قال : « لا شك أنه قد ضاق صدرك ، لأنهم لم يأخذوا بضاعتك » . فأخذ العلوي في البكاء والتضرع . فسأله القاآن قائلاً : « ما ثمن بضاعتك ؟ ! . . . أجاب : « ثلاثون كيساً من النقد » . فأمر بإعطائه مائة كيس .

حكاية أخرى : ذات يوم دخلت أميرة مغولية من قريبات القاآن ، وشاهدت ثياب خواتينه ، وجواهرهن ولآلئهن . فقال القاآن ليلواج : « أحضر اللآلىء الجاهزة » . فأحضر اثنتي عشرة مجموعة كانوا قد اشتروها بثمانين ألف دينار . فأمر القاآن بأن تصب كلها في كمّ تلك السيدة وحجرها . ثم قال لها : أما وقد شبعت من اللآلىء ، فإن عليك أن تلقي عدة نظرات على الأخريات .

حكاية أخرى : أهدى شخص رمانة إلى القاآن ، فأمر بأن تعد حباتها ،

---

(١) جرغ بفتح أوله وسكون ثانيه ، وغين معجمة عرفت « شرغ » وهي قرية كبيرة قرب بخارى ينسب إليها قوم من أهل العلم قديما وحديثا (انظر ياقوت . معجم البلدان)

ثم قسمها على الحاضرين ، ومنح مهديها عن كل حبة كيساً من النقد .

حكاية أخرى : أحضر إلى القاآن رجل مسلم من الموضع المعروف بقراتاش بناحية « تنكقوت » ثمرة جوز ناضجة . ثم استأذن في العودة إلى ولايته ، فأذن له ، وأعطاه صرة من الذهب .

حكاية أخرى : سرق شخص كأساً ذهبية من المعسكر في يوم مأدبة ، عندما وقع جميع « الحراس »[1] سكارى . ورغم البحث عنها لم يعثر عليها . فأمر القاآن بأن ينادوا أن أي شخص اختطفها ، عليه أن يحضرها وله الأمان ، وسوف يجاب إلى كل ما يلتمسه .

وفي اليوم التالي أحضر ذلك اللص القدح ، فسئل : « لماذا أقدمت على ارتكاب هذه الوقاحة ؟ » فأجاب : « حتى يتنبه القاآن ملك الدنيا ، ولا يعتمد على الحراس » . فقال القاآن : « لقد أعطيناه الأمان ، فلن نستطيع أيضاً قتل مثل هذا الشخص ، وإلا لكنت آمر بشق صدره حتى أرى أي قلب وأي كبد له !! . . » ثم أمر له بخمسمائة كيس من النقد وجواد وثياب كثيرة ، وأمره على بضعة آلاف من الجنود ، وأرسله إلى ناحية الخطا .

حكاية أخرى : حدث في إحدى السنوات أن نزل صقيع أتلف القمح وقت نموه . وفي قراقورم لم يتيسر الحصول على منّ من القمح بدينار واحد بسبب اشتداد هذه الأزمة .

فأمر القاآن بأن ينادوا بألا يدع الأشخاص الذين كانوا قد زرعوا قمحاً للهم سبيلاً إلى نفوسهم ، لأننا سنعوضهم من الخزانة عن كل ما خسروه . فليسقوا زرعهم مرة واحدة ، فإذا لم يأت المحصول ، فسوف يأخذون عوضه كاملاً من المخزن . وكذلك فعلوا . وفي تلك السنة أنتج الزرع محصولاً وافراً لا نهاية له .

حكاية أخرى : كان القاآن يميل إلى مشاهدة المصارعة ميلاً شديداً . وفي بادىء الأمر كان المصارعون من المغول والقپچاقيين والخطائيين . وبعد ذلك

---

(١) ترجمة للكلمة المغولية تورقاقات أو طرقاقات ، مفرد تورقاق بمعنى محافظ أو حارس (أنظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، حاشية ٣)

أخذوا يتحدثون عن شهرة المصارعين في خراسان والعراق . فأرسل القاآن رسولاً إلى جورماغون ليوفد المصارعين الأكفاء . فبعث من همدان بالبطلين « فيله »[1] و « محمد شاه » مع ثلاثين مصارعاً بدوابهم وعلفهم .

فلما بلغوا حضرة القاآن ، سر غاية السرور بمنظر فيله وهيكله ، وتناسب أعضائه . وكان الأمير « ايلچيداي من قبيلة « الجلاير » حاضراً . فقال مستهزئاً : « مما يؤسف له أن دوابهم وعلفهم ومؤنهم قد تلفت وضاعت هباء » فقال القاآن : أحضر مصارعيك ليتصارعوا مع هذا الفريق . فإذا فاز أتباعك منحناهم خمسمائة كيس من النقد ، وإن غلبوا دفعت أنت خمسمائة حصان . واتفقا على ذلك .

وفي الليل استدعى القاآن « فيله » ، وأعطاه كأساً ، وطيب خاطره ، فوضع فيله جبهته على الأرض ، وقال : « تيمنا بإقبال الملك الوهاب آمل أن يكون القضاء الإلهي في هذه القضية موافقاً لرغبته ورضائه » .

أما إيلچيداي فقد استدعى من فرقته شخصاً يدعى « أورغانه » . وفي الصباح حضر المتصارعان . فقال إيلچيداي : يشترط أن يمسك كل منهما برجل الآخر ، ثم أخذا يتصارعان . فأمسك « أورغانة » بفيله من أطرافه الأربعة . فقال له فيله : « استمر ممسكاً بي بكل ما تملك من قوة وقدرة ، ولا تدعني أفلت منك » .

بعد ذلك احتال فيله ، ودار « بأورغانة بوكه » كما تدار العجلة ، ثم ضرب به الأرض ضربة شديدة ، بحيث أن قعقعة عظامه المحطمة قد بلغت القريب والبعيد . فقفز القاآن من مكانه كالأسد ، وقال لفيله : « خذ حذرك ، وراقب خصمك جيداً » . ثم قال لإيلچيداي : « أرأيت هل كان يستحق الدواب والعلف أم لا . . . . ؟؟ !! » ثم أجبره على تسليم خمسمائة حصان ، وأمر لپيله بخمسمائة كيس من النقد عدا التشريف والإنعام . كما أمر لمحمد شاه بخمسمائة كيس ، ولكل من أتباعهما بمائة كيس . ثم قال لمحمد شاه: «هل تصارع پيله ؟ ! . . » قال أصارعه . فقال القاآن : أنتما من مدينة واحدة وأسرة واحدة .

---

(١) يكتب أيضا پيله .

وبعد مدة منح بيله فتاة جميلة . ولكنه لم يمسسها جرياً على عادته في صيانة قوته . وصار يتجنب مجامعتها . وذات يوم جاءت الفتاة إلى المعسكر ، فسألها القاآن على سبيل المزاح : « كيف وجدت الإيراني ؟ لا بد أن تكوني قد أخذت منه نصيباً وافراً من اللذة ! . . . » وكان هذا المزاح شائعاً بين المغول ، وهو أنهم كانوا يصفون الإيرانيين بضخامة الأيور . فردت عليه الفتاة قائلة : « إنني لم أجد منه متعة حتى هذه اللحظة ، لأن كلا منا منفصل عن الآخر » . فاستدعى القاآن فيله ، وتباحث معه بخصوص هذا الموضوع . فقال فيله : « لما كنت قد اشتهرت بالبطولة في حضرة القاآن ، ولم يتغلب عليّ أحد ، فإنني أخشى أن تنهار قوتي إذا ما شغلت بهذا الأمر ، ولا ينبغي أن أتخلى عن منزلتي في حضرة القاآن » . فقال القاآن : إن الغرض من ذلك هو أن تنجب أولاداً ، وسأعفيك بعد اليوم من المباهاة بالمصارعة .

حكاية أخرى : كان في ولاية الروم شخص فقير يحصل على قوته بالتهريج . وكان صيت بذل القاآن وإحسانه قد ذاع في الآفاق . فثارت في هذا الشخص رغبة قوية في الذهاب إلى حضرة القاآن . ولكن لم يكن لديه زاد ولا راحلة . فأسهم زملاؤه في شراء حمار له حتى سار إلى القاآن ، ثم عاد بعد ثلاث سنوات .

وفي السوق رأى أحد أصدقائه ، فترجل ، ورحب به ، واصطحبه إلى منزله . وقدم له أجود أنواع الطعام والشراب في أوان وأوعية من الذهب والفضة ، وكان الغلمان الخطائيون يقفون على خدمته . وقد ربطت الخيول والإبل الكثيرة في الإصطبل . وكان المضيف يسأل ذلك الصديق بحماس بالغ . على حين أن الصديق لم يكن يعرفه .

وبعد ثلاثة أيام ، سأله ذلك الصديق أن يكشف عن شخصيته . فقال : « أنا ذلك المهرج الذي سافر على حمار » . فاستوضح الصديق كلامه . فقال : أجل ! . . . لقد ذهبت إلى حضرة القاآن على ذلك الحمار ، وأنا أتسول . وكان معي قدر من الفاكهة الجافة . ثم جلست على ربوة في طريق القاآن . ومن بعد وقع نظره المبارك عليّ ، فأرسل شخصاً يتقصى أحوالي . فقلت : « لقد قدمت من بلاد الروم على صيت عطاء القاآن ، وبذله ونواله ، وطفقت أسير مع مائة

ألف حالة من الفقر والحرمان ، حتى وقع عليّ نظره الذي يهب السعادة » .

وقد سعد طالعي عندما قُدّم طبق الفاكهة إلى القاآن مع شرح حالي . فوضع بعضاً من الفاكهة في « وعاء »[1] . فاستنكر أركان الدولة هذا التصرف في قرارة أنفسهم . فقال لهم القاآن : إن هذا الرجل قدم إلى هنا من طريق بعيد ، وحل بكثير من المزارات المقدسة ، والمواضع المباركة ، ونال شرف خدمة العظماء . فالتيمن بأنفس مثل هذا الشخص يعد غنيمة . ولهذا السبب أخذت الفاكهة كي أوصلها أيضاً إلى أولادي ، فتقاسموها أنتم كذلك . ثم قاد جواده .

ولما بلغ معسكره ، سأل « دانشمند حاجب » عن أحوال الدرويش . فأجاب : لا أدري . فقال القاآن : « كيف تكون مسلماً ، والحال أن رجلاً فقيراً يقصد حضرتنا من مكان قصي ، وأنت غافل عما يصيبه من خير وشر ؟ » . ولا تعرف شيئاً عن مقامه وطعامه وشرابه ؟ !! . . « اطلبه بنفسك ، وأنزله منزلاً حسناً ، وتعهده وراعه بكافة السبل » .

وكنت قد حللت بالسوق الكبرى . وكان « دانشمند حاجب » قد أسرع في البحث عني يمنة ويسرة حتى أدركني شخص ، اصطحبني إلى منزله . وفي اليوم التالي ركب القاآن ، وشاهد عربة تحمل عدة أكياس من النقد إلى الخزانة ، عددها سبعمائة كيس . فقال لدانشمند حاجب : « استدع ذلك الشخص » .

فلما حضرت أعطاني الأكياس كلها ، وأغدق عليّ صلات أخرى . وبهذا تحولت أحوالي من مضيق الفاقة إلى فسحة الثروة .

حكاية أخرى : قدم رجل من بغداد . وعندما وصل القاآن ، سأله عن حاله . فقال : إنني رجل هرم وضعيف وفقير ، ولي عشر بنات لن أستطيع تزويجهن بسبب فقري المدقع . فقال القاآن : لماذا لا يعطيك الخليفة شيئاً ، ولم لا يعاونك حتى تزوج بناتك ؟؟ فأجاب الرجل : « كلما طلبت صدقة من

---

(1) ترجمة للكلمة المغولية « سولوق » بمعنى مطلق وعاء أو بمعنى الإناء الذي يحفظ فيه الماء (انظر الجويني · « تاريخ جهانگشاي » ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، حاشية ٢) .

الخليفة ، أعطاني عشرة دنانير من الذهب ، وهي لا تكفي لنفقة أسبوع » .

فأمر القاآن بإعطائه ألف كيس من الفضة . فقال الفقير : كيف أنقل هذه الأكياس العديدة ؟؟ فأمر بأن يزود بجواد ، وبكل وسائل السفر والاستعداد له . فقال الشيخ : الشقة بعيدة ، والمطيعون والعصاة كثيرون في الطريق . فكيف أوصل هذه الأكياس سالمة إلى ولايتي ؟؟ فأعطاه القاآن عشرة رجال من المغول لحراسته ، ولكي يوصلوه سالماً مع ذلك المال إلى البلد الآمن .

لكن مات ذلك الرجل في الطريق ، فأخبروا حضرة القاآن بموته . فأمر بأن تحمل الأكياس إلى بغداد ، وتسلم لأفراد أسرته ، ويقال لهم : لقد أرسل الملك هذه الهبة كي تتزوج أولئك البنات .

حكاية أخرى : زوجت فتاة من قريبات القاآن . فأمر لها بصندوق من اللؤلؤ كان يحمله ثمانية أشخاص لجهازها . ولما أحضروه ، كان القاآن مشغولاً بالأنس والمتعة ، فأمر بفتح غطاء الصندوق ، ووزع على الحاضرين كل اللآلىء التي كانت من اللآلىء الفريدة ، والتي تزن الواحدة منها ما بين مثقال ومثقالين . فأخبروه أنهم كانوا قد أحضروا هذا الصندوق لجهاز الفتاة الفلانية ، كما سبق أن أمر بذلك . فقال : أعطوها صندوقاً آخر مثله .

حكاية أخرى : أرسل أتابك فارس أخاه « تهمتن » إلى حضرة القاآن بالتحف والهدايا . وكان من بين هذه التحف قربتان من اللؤلؤ في غاية اللطف والجمال . ولما عرضوهما عليه ، أدرك أن للؤلؤ في نظر أهل الموصل قيمة كبيرة . فأمر بإحضار صندوق كبير الحجم ، مملوء بالدر الفريد ، فدهش الرسول والحاضرون من مشاهدته . ثم أشار بإلقاء ذلك اللؤلؤ في أقداح الشراب ، أثناء المادبة حتى وزع كله على الحاضرين .

حكاية أخرى : كان هناك رجل مغولي اسمه « مينغولي بوكه » ، وكان له قطيع من الأغنام . وذات ليلة ، وقع ذئب على هذا القطيع ، وافترس أكثرها . وفي اليوم التالي ، قدم ذلك المغولي إلى الحضرة ، وعرض عليه حال قطيعه . فقال القاآن : أين ذهب الذئب ؟؟ !! . . . .

في ذلك الوقت تصادف أن قدم المصارعون المسلمون ، ومعهم الذئب

حيا ، ومكمما فمه ، وكانوا قد اقتنصوه في تلك النواحي . فاشترى منهم القاآن الذئب بألف كيس من النقد ، وقال للمغولي : « إنك لن تفيد شيئاً من قتل الذئب ، ثم أمر بإعطائه ألفا من الخراف ، وقال : لنطلق سراح هذا الذئب حتى يخبر زملاءه بما حدث ، فيرحلوا عن هذه النواحي » .

وعندما أطلقوا سراح الذئب ، هجمت عليه الكلاب وافترسته . فغضب القاآن من ذلك ، وأمر بأن يقتص للذئب من الكلاب ، ودخل المعسكر مغموماً مهموماً . ثم توجه إلى أركان الدولة والخواص قائلاً : « إن الغرض من إطلاق الذئب هو أنني كنت أشعر بضعف قد طرأ عليّ ، ففكرت في أنني لو أنقذت حيواناً من الهلاك ، فسوف يمن الله الأزلي عليّ أيضاً بالشفاء ، لكن هذا الحيوان لم ينج من أيدي مفترسيه . وعلى هذا فلن أخرج أنا كذلك من هذه الورطة دون ذئب » .

ولا يخفى على المرء أن الملوك إنما يرتفعون بالتأييد الإلهي ، وعندئذ يلهمون حتى يقفوا على بواطن الأمور .

ولما كنا قد ذكرنا جانباً من كرم القاآن وسخائه وحلمه وعفوه ، تلك الصفات التي اختصه بها واهب الوجود ـ حتى يصير معلوماً ومحققاً لدى الجميع أن ليس في العالم فضيلة قط أعظم من اكتساب السمعة الطيبة ، إذ أنه بعد مرور سنوات عديدة ، لا يزال ذكر جود حاتم وأنو شروان ونوالهما وإحسانهما وعدلهما جارياً على ألسنة أبناء الدنيا والزمان .

شعر

يا سعدى إن النفس ذات السمعة الطيبة لن تموت أبداً
إنما الميت هو من لا يذكر اسمه بالخير .....

والآن نسجل أيضاً حكاية تتعلق بسياسته وهيبته وصولته حتى يعلم كمال حاله من الناحيتين اللتين تتوطد بهما أسس الحكم والسلطان .

حكاية : أشيع في وقت ما في قبيلة اويرات من قبائل المغول أن بنات تلك القبيلة قد خطبن للجماعة الفلانية بموجب الفرمان . فأقدم هؤلاء ـ بسبب

الخوف على تزويج أكثر أولئك البنات فيما بينهم ، وسلموا بعضهن ، فبلغت تلك الحكاية سمع القاآن ، فأمر بالتحري عن تلك الواقعة ، فكانت الحقيقة كما بلغته .

فأمر أتباعه بأن يجمعوا كل بنات القبيلة اللائي جاوزن السابعة ، وأن يطلقوا اللائي زوجن في تلك السنة . فأحضروا أربعة آلاف فتاة . ثم أمر القاآن بأن يعزل منهن بنات الأمراء ، وأصدر قراراً بأن يجامعهن كل الحاضرين ، فهلكت بنتان منهن . أما الباقيات فقد وقفن في صفين . ومن كن لائقات بالقصر ، أرسلهن ليلحقن بحريمه . وأعطى مروض الفهود والحيوانات بعضهن ، ووهب بعضهن لكل واحد من حاشيته ، وأرسل بعضاً منهن إلى الحانات والمواخير ورجال التشريفات .

ومن بقي بعد ذلك أمر الحاضرين من المغول والمسلمين بخطفهن .

حدث هذا في الوقت الذي كان ينظر فيه آباؤهن وإخوتهن ، وأزواجهن وأقاربهن . ولم يجرؤ أي واحد منهم على أن ينبس ببنت شفة .

حكاية : كان القاآن قد « فوض »[1] إلى الصاحب « محمود يلواج »[2] حكم كل ممالك الخطا ، وعهد إلى ابنه « مسعود بيك » بحكم

---

(١) ترجمة للفعل المركب « توساميش فرموده بود » من مصدر « توساميش فرمودن » ، مكوّن من كلمتين : « توساميش » بمعنى تفويض (انظر تاريخ وصاف ، ص ٦٨٢) . و« فرمودن » (فعل مساعد) .

(٢) هو محمود الخوارزمي ، كان قد التحق بخدمة چنگيز خان قبل هجومه على أملاك الدولة الخوارزمية . ولما كان هذا الرجل يقوم بمهمة السفير والرسول لجنگيز خان إلى السلطان محمد خوارزمشاه ، لقب بلقب « يلواج » . وهو لفظ تركي معناه السفير والمبعوث . وكانت أول سفارة لمحمود الخوارزمي في سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧م) حينما حمل رسالة چنگيز خان إلى السلطان محمد ، ونقلها إلينا النسوي في كتابه . ومنذ ذلك التاريخ بقي محمود في خدمة چنكيز خان . وكان بمثابة مستشار ووزير له ، حتى استطاع الخان المغولي وأولاده الاستيلاء نهائيا على ممالك خوارزمشاه .

فكان محمود يتمتع دائما بعطف جنگيز خان لدرجة أنه عينه نائبا عنه في منطقة ما وراء النهر . وفي عهد ابنه أوگتاي ، عهد إليه بحكم كل ممالك الخطا . وقد استمر يتقلد أعباء هذا المنصب في عهد كيوك خان ومنگوقاآن . وقد بذل محمود جهودا كبيرة في تعمير ما خربه المغول وإصلاح=

الولايات ابتداء من « بش باليق »[1] وقراخوجو ـ اللتين كانتا ولاية أيغورية ـ والختن وكاشغر وألماليق وقاياليق وسمرقند وبخارى حتى شاطىء جيحون . وولى الأمير كوركوز حكم الأقاليم الممتدة من خراسان حتى حدود الروم وديار بكر . وكان هؤلاء الولاة يجمعون ثروات كل هذه الولايات ، ويرسلونها إلى خزانة القاآن .

وإلى هنا انتهى تاريخ أوكتاي قاآن بن جنگيز خان

* حال الناس ، وإدارة هذه الممالك أحسن إدارة . واستطاع بحسن تدبيره وتوخيه العدل ـ أن يخفف من آلام الضربة القاسية التي أوقعها المغول بالرعايا في تلك المنطقة . (انظر بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، الترجمة العربية ، ص ٩٩ ؛ المغول في التاريخ ، تأليف الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، الجزء الأول ، ص ١٥٥) .

(١) كلمة مركبة مكونة من جزءين : « بش » بمعنى « خمسة » وباليق بمعنى مدينة أي المدن الخمس . ومن المعروف أن « بش باليق » أسست إلى جانب « كوچين » في الجزء الشرقي من تركستان الصينية الحالية (انظر بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، الترجمة العربية ، ص ٣٦) .

تاريخ جوجي بن چنگيز خان

يشتمل على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في تقرير نسب جوجي بن چنگيز خان ، وذكر زوجاته وأبنائه وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته وجدول شعب أبنائه وأحفاده .

القسم الثاني : في تاريخ وحكايات زمان ملكه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه ، وذكر مصايفه ومشاتيه ، وبعض الحروب والفتوحات التي قام بها ، ومدة حكمه .

القسم الثالث : في سيره وأخلاقه الحميدة ، والحكايات المتفرقة والأمثال والنصائح الغالية ، والحكم المستحسنة التي نصح بها مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص .

(القسم الأول)

في تقرير نسب جوجي وذكر زوجاته وأولاده وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته ، وجدول سلسلة أبنائه وأحفاده .

كان جوجي خان أكبر أبناء چنگيز خان باستثناء أخت واحدة اسمها « قوچين بيكي » ، إذ كانت أكبر منه . وقد ولد جوجي من زوجة چنگيز خان الكبرى « بورته فوچين » ابنة دي نويان من قبيلة قنقرات . وكانت أماً لأربعة أولاد وخمس بنات .

وفي أوائل عهد چنگيز خان - ولم تكن مآثر حكمه قد ظهرت بعد على صفحات أوراق الزمان - حملت بورته فوچين المذكورة بجوجي خان . وفي هذه الفترة اغتنمت قبيلة مركيت الفرصة ، وأغارت على ديار چنگيز خان ، وأسرت زوجته التي كانت حاملة .

ورغم أن هؤلاء القوم كانوا قبل ذلك كثيراً ما يعادون « أونك خان » ملك قبيلة كرايت ويناوئونه ، إلا أنه في ذلك الوقت ، حل بينهم وبينه الصلح والوئام . ولذلك السبب أرسلوا بورته فوچين إلى أونك خان .

ولما كان أونك خان صديقاً لوالد چنگيز خان ، وكان ينادي چنگيز خان بكلمة « ابني » ، أعز بورته وأكرمها ، وأنزلها منزلة « كنائنه »[1] ، وصانها من نظر الغرباء وغير المحارم . ولأنها كانت في غاية الجمال والكفاءة ، كان أمراء

(١) الكنّة امرأة الابن ، وجمعها كنائن .

أونك خان يحدث بعضهم بعضاً قائلين : « لماذا لا يبني أونك خان ببورته فوجين ؟؟!!. . . » .

فلما سمع أونك خان قولهم ، قال : « إنها بمنزلة كنتي ، وهي وديعة لدينا ، والنظر إليها بعين الخيانة ليس من المروءة في شيء » .

وعندما وقف چنگيز خان على تلك الأخبار ، أرسل أميراً من طائفة « أونكتوت » ، من قبائل الجلاير اسمه « سبا » ، وهو جد « سرتاق » الذي كان في أيام طفولة أورغون خان أميراً للمعسكر في خراسان ومازندران ، وذلك بناء على مرسوم آباقاخان أرسله إلى أونك خان لاستدعاء بورته فوجين . فاحتفى به أونك خان وأكرمه . ثم سيّر معه بورته فوجين . وفجأة وضعت مولودها في الطريق ولهذا السبب سمّوه جوجي .

ولما كان الطريق مخوفاً لا يصلح للإقامة . ومن المتعذر صنع مهد الطفل ، أحضر « سبا » قدراً من الدقيق وعجنه ، ولف الطفل فيه . ثم أخذه في حجره حتى لا يصاب بأذى ، وحمله بحنان وشفقة إلى أن أوصله إلى حضرة چنگيز خان .

ولما كبر كان دائماً مصاحباً وملازماً لأبيه ، ومعاوناً له في السراء والضراء . لكنه كان دائم النزاع والخصومة والخلاف مع أخويه چغتاي وأوگتاي . غير أن طريق الاتحاد كان ممهداً بينه وبين أخيه تولوي خان وأسرته ، ولم يطعن قط أحدهما في الآخر . ومنذ الصبا وعهد الشباب تزوج جوجي خان من إبنة « جاكمبو » ، واسمها « ميكتوميش فوجين » . وهي أخت « أبيقه بيگي » زوجة چنگيز خان ، « وسيور قوقتيتي بيگي » زوجة تولوي خان . وكانت ميكتوميش زوجة جوجي خان الكبرى ، وكان له غيرها زوجات ومحظيات كثيرات ، أنجب منهن أبناء كثيرين .

وكما يذكر الرواة الثقاة كان لجوجي ما يقرب من أربعين ولداً ، تفرع عنهم أحفاد لا حصر لهم . ولكن بسبب بعد المسافة ، وعدم العثور على رجل مطلع ، لم تعرف أنسابهم على وجه التحقيق .

أما أولئك المعروفون والمشهورون من أبنائه وأحفادهم فستذكرهم على سبيل التفصيل . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر أبناء جوجي خان وأحفاده الذين تناسلوا حتى هذا الوقت

أبناء جوجي خان المعروفون والمشهورون :

أسماؤهم وأسماء أبنائهم

أبناء جوجي خان المعروفون أربعة عشر على هذا التفصيل والترتيب :

الابن الأول - أورده .
الابن الثاني - باتو .
الابن الثالث - بركه .
الابن الرابع - بركه چار .
الابن الخامس - شيبان خان .
الابن السادس - تانكفوت .
الابن السابع - بووال .
الابن الثامن - چيلاوقون .
الابن التاسع - شينكقور .
الابن العاشر - چيمتاي .
الابن الحادي عشر - محمد .
الابن الثاني عشر - أودور .
الابن الثالث عشر - توقاتيمور .
الابن الرابع عشر - شينككوم .

الآن نبدأ بذكر هؤلاء الأبناء واحداً فواحداً على النحو المدون بعاليه ، ثم نسجل بالشرح والتفصيل أحوال أحفادهم .

(الابن الأول لجوجي خان - أورده)

ولد من زوجته الكبرى المسماة « سرقان » من قبيلة « قنقورات » . وكان

في حياة أبيه وبعد وفاته معظماً ومحترماً إلى أقصى حد . ومع أن الابن الثاني « باتو » كان قد خلف أباه ، إلا أن اسم أورده كان يقدم في المراسيم التي كان يصدرها منكَوقاآن بخصوص تنفيذ الأحكام والقوانين . وكان أورده راضياً عن حكم باتو ، وهو الذي أجلسه مكان أبيه . وكانت نصف جيوش جوجي خان تحت إمرة أورده ، والنصف الآخر تحت إمرة باتو . وكان يقف في مسيرة الجيش مع جنوده ، ومعه إخوته الأربعة : أودور ـ توقاتيمور ـ شينككور ـ شانككوم . ولا يزالون يدعون بأمراء الميسرة . وللآن لا تزال أسرهم تعيش مع أسر أورده في صعيد واحد . كما لا يزال موطنه ومواطن هؤلاء الإخوة وجنودهم في الجانب الأيسر على تخوم . . .[1] حيث يقيم أبناؤه ورعاياه .

ومنذ بادىء الأمر لم يتصادف مطلقاً أن يذهب من أسرة « أورده » الأشخاص الذين حلوا محله إلى الخانات من أسرة باتو لبعد كل منهم عن الآخر ، واستقلالهم بحكم مناطقهم . ولكن جرت عادتهم على أن يقروا بالملك لمن يخلف باتو ، ويكتبوا أسماءهم في مقدمة الأوامر والمراسيم .

ونظراً لأن نايان بن قوينجي الذي كان في هذا العهد ملكاً على أتباع «اورده» قد اختلف مع ابن عمه « كوبلك » ، وصار مستوحشاً منه ، قدم إلى حدود ولاية « توقتا » الذي كان ملكاً على أتباع باتو ، وذهب إليه بحجة الاشتراك في القوريلتاي كما سيأتي شرح تلك الأخبار فيما بعد .

كان لاورده ثلاث زوجات كبيرات : إحداهن جوكه خاتون من قبيلة قونقرات . وثانيتهن : « توباقانه » ، وهي أيضاً من قبيلة قونقرات .

وثالثتهن : . . .[1] ، وهي كذلك من قبيلة قنقرات[2] . واسم أبيها « أوكاخاتون » . وقد تزوج منها « اورده » بعد وفاة أبيها .

كذلك كان لاورده محظيات .

من أولئك الزوجات أنجب « اورده » سبعة أبناء على هذا التفصيل

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) تكتب قنقرات وقونقرات

والترتيب : ١ ـ سرتاقتاي ٢ ـ قولي ٣ ـ قورومشي ٤ ـ قونك ـ ٥ ـ قيران ٦ ـ قوتوقوي ٧ ـ هولاكو .

وسنشرح بالتفصيل أحوال هؤلاء الأنجال السبعة وأبنائهم وأحفادهم واحداً فواحداً على النحو الآتي :

(الابن الأول لاورده : سرتغتاي)

ولد هذا الابن من « چوكه خاتون » التي كانت من قبيلة قنقرات . وكان له أربع زوجات كبيرات . وعدة محظيات . وقد ولدت أمه چوكه خاتون من سيدة تدعى « سوحان »[1] كانت أختاً لـ « قوتي خاتون » زوجة . . .[1] .

وكان لسرتغتاي[2] ولد اسمه قوينچي حكم أتباع اورده مدة طويلة . وكان صديقاً ومؤيداً لأرغون خان ، ثم لسلطان الإسلام ـ خلد سلطانه . وكان يوفد إليهما الرسل دائماً لإظهار المودة والإخلاص . وكان بديناً جداً وضخم الجثة للغاية . وكان يزداد بدانة يوماً بعد يوم إلى حد أن الحراس كانوا يراقبونه ليلاً ونهاراً لكيلا ينام ، إذ ربما يخرج الشحم من حلقه فيهلك .

ولضخامته المفرطة ، لم يكن أي حصان بقادر على حمله ، فكان ينتقل على عربة . وكانت عاقبة أمره أن نام فجأة ، فخرج الشحم من حلقه ومات .

وكان لقوينچي أربع زوجات كبيرات : أولاهن ـ « توقولوقان » من قبيلة قنقرات وثانيتهن ـ « بوقولون » من قبيلة مركيت . وثالثتهن ـ « چينكقوم » من قبيلة قنقرات . ورابعتهن ـ « بارقوچين » من قبيلة چاچيرات ، ومن نسل أمير كبير كان رئيساً للقورچية[3] .

كذلك كان لقوينچي أربعة أولاد هم : ١ ـ نايان ٢ ـ باچقيرتاي ٣ ـ چغان بوقا ٤ ـ ماقوداي .

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) يكتب أيضا سرتاقتاي .
(٣) مفرد قورچي ، وهو القيّم على الأسلحة أو الحارس عليها .

وسنشرح بالتفصيل أحوال هؤلاء الأبناء الأربعة ، وشعب أولادهم وأحفادهم على النحو التالي :

الابن الأول لقوينچي ـ نايان :

ولد من بوقولون خاتون من قبيلة قنقرات . وبعد وفاة أبيه وأمه ، تزوج من ثلاث خواتين :

الأولى ـ بارقوچين . الثانية ـ چيكتوم . الثالثة ـ التاجو .

كذلك كان له ثلاث زوجات أخريات :

إحداهن ـ أيلكان من قبيلة قنقرات ابنة تموكا ، ومن نسل « كلس ايلچي » الذي كان قد جاء إلى هنا .

ثانيتهن ـ قوتولون من قبيلة اوغوز ، وهي ابنة « پوقانان پوكوباي »[1] .

ثالثتهن ـ التاجو من قبيلة قنقرات ، وهي ابنة « توداي بهادر » الذي كان قريباً للخاتون المعظمة « بلغان خاتون » .

ونايان هذا كان له أربعة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ ـ شادي ـ ولد من أيلكان ابنة تموكا .
٢ ـ ساتي بوقا ـ ولد من قوتولون خاتون .
٣ ـ تكنه ـ ولد من التاجو خاتون .
٤ ـ ساچيتيمور تاي ـ اسم والدته غير معروف .

والآن قد خلف نايان أباه قوينچي ، وصار يحكم الوس والده طبقاً للقاعدة . وهو يكن المودة لسلطان الإسلام ـ خلدالله ملكه ـ ويؤيده ، ويرسل إليه الرسل تباعاً .

وقبل هذا ادعى كوبلك بن تيمور بوغا قائلاً : « إن والدي كان يحكم هذا الالوس سابقاً ، فيصل إليّ الحكم بالوراثة » . ثم عقد اجتماعاً ، وأخذ جنداً من « قايدو » و « دوا » . وفجأة داهم نايان . فانهزم نايان ، وذهب إلى

---

(١) هكذا في الأصل .

حدود ولاية كان يحكمها توقتا خليفة باتو . وهناك أقام وأمضى فصل الشتاء . وفي وقت الربيع قدم للتشاور مع توقتا ، وطلب منه المدد . ولما كان توقتاً في حرب ضد « نوقاي » ، وكان لا يميل إلى سلطان الإسلام - خلدالله سلطانه - اعتذر ولم يمده بالجند . لكنه بعث بالرسل إلى قايدو ودوا لكي يرسلا إليه كوبلك . وأصدر مرسوماً يقضي بأن يظل نايان يحكم الالوس . وحتى الآن حارب نايان « كوبلك » وجند قايدو ودوا خمس عشرة مرة . وقد اشترك بنفسه في ست معارك منها . وكان توقتا كلما بعث بالرسل إلى چاپار بن قايدو ، وإلى دوا لكي يرسلا إليه كوبلك ، لا يستجيبان ، ويمهدان للاعتذار . وكان هدفهما على حد تعبيرهما هو : « إننا نساعد كوبلك حتى يصير ملكاً على الالوس ، وحتى يكون متحداً معنا في نزاعنا ضد غازان خان » .

وفي العام السابق الموافق شهور سنة اثنتين وسبعمائة (٧٠٢ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٠٣ م) أوفد نايان رسله إلى حضرة سلطان الإسلام - خلدالله سلطانه - وكان على رأسهم « كلس » من قبيلة قنقرات ، والذي كان أميراً في عهد قوبنچي ، وتوقتيمور من قبيلة « بيسوت » . وقد وصل كلاهما مع سائر الأتباع إلى ناحية بغداد ، قاصدين سلطان الإسلام - خلدالله ملكه - في أوائل جمادي الآخرة من السنة المذكورة . وأحضروا معهم طيور الصيد والتحف ، والتمسوا أن توفد الرسل دائماً بالبشائر . وقرروا أن الأمراء متأهبون للسير والارتحال إلى أي جهة عندما تصدر إليهم الإشارة .

والحالة هي أننا في هذه السنة سرنا لمحاربة چاپار ، وأن توقتا قد اتحد واتفق معنا ، وهو يواصل إرسال الجنود إلينا .

وقد أرسل « تومانين »[1] للانضمام إلى جيش القاآن في « درسو » ، ذلك أن ولاية القاآن قريبة من حدود ولايتهم . وقبل هذا كانوا متصلين بعضهم ببعض .

وخلال هذه السنوات المعدودة ، ظن قايدو أن خصومه قد ينضمون إلى جيش القاآن ، فأرسل ابنه الثاني ، المدعو « بانكيچار » ، وابنه الآخر المسمى

(١) أي ٢٠,٠٠٠ جندي .

« شاه » ، وتوداتيمور بن شيركي بن منگوقاآن ، وملك تيمور بن اريق بوكا على رأس جيش إلى حدود ولاية نايان ، وعهد إليهم بحراسة تلك النواحي كي يحولوا بين جيش القاآن وجيش نايان ، ولا يدعوا اتصال بعضهم ببعض . ثم سار كوبلك مع الجند الذين انصرفوا عن نايان ، ومع المدد الذي قدم من قبل قايدو ، واستولى على بعض ولايات « نايان » ، ورعاياه . وكان نايان ـ حسب القاعدة ـ يحكم أكثر مناطق اورده .

ولكن بسبب هذه الحروب المتوالية ، أصبح جنوده فقراء . وكان بعضهم فرساناً ، وبعضهم رجّالة . ومع هذا ، فهو لا يزال يكافح ويستمد العون بالمال من هذا الجانب . أما رسل نايان الذين كانوا قد وصلوا إلى بغداد ، وواصلوا سيرهم إلى تبريز ، فقد أعادهم سلطان الإسلام ـ خلدالله سلطنته ـ من تبريز ، وأرسل إلى نايان وزوجاته الذهب والملابس والتحف .

الابن الثاني لقوينچي : باچيقرتاي :

ولد من بوقولون خاتون من قبيلة مركيت . وكانت له زوجة تدعى « كوكلون » من قبيلة كرايت ، أنجب منها ولداً اسمه يكه .

الابن الثالث لقوينچي : چغان بوقا :

ولد من جيكدوم خاتون التي سبق ذكرها . وكانت له زوجة تدعى « سرتيش » من قبيلة كرايت . وهي ابنة قوشتيمور . وقد أنجب منها ولداً يسمى چيراتي .

الابن الرابع لقوينچي : ماقوداي :

ولد من « بارقوچين خاتون » من قبيلة چاچيرات . ولم يكن له أبناء قط .

وبهذا انتهت سلسلة سرتاقتاي والد قوينچي والابن الأول لأورده .

(الابن الثاني لأورده : قولي)

وقولي هذا هو الذي عيّن قائداً في الوقت الذي كان يقوم فيه هولاگو خان بحملته على إيران . وكان قد تقرر أن يرسل كل أمير من الأمراء الأنجال قائداً

مع جيشه لينضم إلى هولاكوخان لإمداده . فأرسل قوبلي من اولوس اورده على رأس جيش . فسار عن طريق خوارزم إلى دهستان ومازندران .

وكان لقوبلي عدة زوجات كبيرات :

إحداهن تدعى « نندكن » من قبيلة قنقرات .

والثانية تسمى « قرقان » من قبيلة . . .[1] .

والثالثة تسمى كوكتيتي ، كانت قد قدمت إلى هنا ، وتوفيت في هذه الولاية .

كذلك كان لقوبلي خمسة أبناء على هذا التفصيل والترتيب :

١ - تومكان ٢ - تومان ٣ - مينكقان ٤ - اياجي ٥ - مسلمان .

وسنذكر سلسلة هؤلاء الأبناء الخمسة ، ونشرح أحوالهم واحداً فواحداً على النحو الآتي :

الابن الأول لقوبلي : تومكان :

كان لتومكان هذا ثلاث زوجات كبيرات :

إحداهن : تدعى « بولغان » من قبيلة التاتار . وهي إبنة « سوغال نويان » .

ثانيتهن : بورالون خاتون .

ثالثتهن : . . .[1] من قبيلة . . .[1] .

وكانت له محظية تدعى « أولجاي » .

كذلك كان له ثلاثة أبناء نذكرهم بهذا التفصيل والترتيب :

١ - چاروق : كانت له زوجة اسمها ياوقوريجاق . أنجب منها ولدين : نوقاي وساتاليش .

---

(١) هكذا في الأصل .

٢ ـ مبارك : ولد من بورالون خاتون المذكورة . وكان لها ولدان : ايلبوقا وتوراتيمور .

٣ ـ كوچوك : ولد من المحظية المذكورة المدعوة أولجاي .

الابن الثاني لقولي : تومان :

ولد من « نندي كن » . وله عدة زوجات ومحظيات . واسم زوجته الكبرى بورالون من قبيلة . . . .[١] .

وكان له أيضاً ستة أبناء على النحو الذي نفصله :

١ ـ آق كويك : كان له ابن اسمه بورالقي .

٢ ـ داشمان .

٣ ـ قوريقاچي .

٤ ـ قتلغبوقا .

٥ ـ قتلقتيمور .

٦ ـ ايلتيمور .

وهؤلاء الخمسة الأخرون ليس لهم أولاد . ولم يعرف اسم والدة آق كويك ولا أسماء أمهات داشمان وقوريقاچي وقوتلقتيمور .

أما قوتلقبوقا فقد ولد من بورالون .

الابن الثالث لقولي : مينكقان :

ولد من . . . . . .[١] خاتون . وكانت له زوجات ومحظيات ، غير أن أسماءهن ليست معروفة .

وكان له ثلاثة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ ـ چليل .

٢ بشماق .

٣ ـ اولقوتو .

---

(١) هكذا في الأصل .

وفي الوقت الذي كان قد قدم فيه أبوه « قرلي » إلى هذه البلاد ، حل بها الأبناء الثلاثة جميعهم مع أبيهم .

الابن الرابع لقولي : اياجي

أسماء زوجاته غير معروفة . وكان له ابن واحد اسمه قازان . وله من ابنه قتلغ بوقابن كوركوز . وكان اياجي هذا قد قدم إلى هنا أيام طفولته . وفي عهد آباقاخان كان في خراسان لدى ارغون خان . وبعد الرعاية والتكريم ، وعلى سبيل المودة والمصلحة ، سيّر اياجي مع ابنه ، وأعيدا إلى مقرهما .

الابن الخامس لقولي : مسلمان

ولد من « قداقان خاتون » . وكان له زوجات كثيرات : إسم إحداهن « اورده تيكين » من قبيلة نايمان . وكان له أربعة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ - ياقوتو
٢ - خواجه
٣ - يايلاق
٤ - الياس .

وقد ولدوا جميعا من اورده تيگين .

وبهذا انتهت سلسلة قولي الابن الثاني لاورده .

(الابن الثالث لاورده : قورومشي) .

لم يعقب قورومشي هذا أولاداً . وزوجاته غير معروفات .

(الابن الرابع لاورده : قونك قيران)

بعد وفاة اورده حكم رعاياه . ولم يكن له أولاد .

(الابن الخامس لاورده : چورماقاي)

لم يكن له أيضاً أولاد ، وزوجاته غير معروفات .

(الابن السادس لاورده : قوتوقوى)

لم يعلم كذلك ما إذا كان له أولاد أم لا .

(الابن السابع لاورده : هولاكو)

كان له زوجتان كبيرتان : إحداهما اسمها « سولوقو خاتون » من قبيلة . . .[1] واسم ثانيتهما « قويار چين خاتون » من قبيلة القپچاق . وقد أعقب منها ولدين : « تيمور بوقا » و« اولقوتو » . وكان اسمه « هلاوو » . ولم يكن له أولاد . والأبناء الذين نسبوا إليه هم أبناء « قوتوقوى » كما هو معلوم من كتب الأنساب الموثوق بها . والله أعلم .

الابن الأول لهولاكو : تيمور بوقا

كان له أربع زوجات كبيرات :
الأولى ـ كوكچين ابنة ييسون نويان من قبيلة قرنقورات .

الثانية ـ ارغون تيگيّن من قبيلة الأرغونيين ، وهي ابنة قوري قوچغار .

الثالثة ـ قوتوچين من قبيلة . . . . . .[1]

الرابعة ـ يابالون من قبيلة قونقرات ، وهي أخت قوتوى خاتون زوجة هولاكوخان .

وكان لتيمور بوقا محظيات غير الزوجات الأربع .

أما عن الأولاد فقد كان لأولئك الزوجات المذكورات ستة أولاد هم :

١ ـ كوبلك : ولد من كوكچين .

٢ ـ بوقاتيمور : ولد من ارغون تگين .

٣ ـ جانكفون : ولد من قوتوچين .

٤ ـ توقاتيمور : كانت أمه تدعى يابالون .

٥ ـ سايس : ولد أيضاً من قوتوچين .

٦ ـ أوشانان : ولد كذلك من كوكچين .

---

(١) هكذا في الأصل

الابن الثاني لهولاكو : القوتوي

ولد من قويار چين خاتون المذكورة . وكان له أربعة أبناء على هذا التفصيل والترتيب :

١ - اوج قور توقا ٢ - بيش قورتوقا .
٣ - بوقاتيمور ٤ - درك

وقد ولد هولاكو هذا من محظية من قبيلة تنكقوت اسمها « ارموك ايكاچي » . وكان لها شعر طويل جداً بحيث أنه كان يصل إلى الأرض . ولم يكن له أولاد . وبهذا انتهت سلسلة « اورده » الابن الأول لجوجي خان بعون الله تعالى .

* * *

(الابن الثاني لجوجي خان : باتو)

ولد من اركين قوچين خاتون ابنة ايلجي نويان من قبيلة قونقرات . وكان يدعى صاين خان . كما كان رفيع المنزلة ، واسع النفوذ . وكان يحكم الاولوس والجيش مكان أبيه جوجي . وقد عمر دهرا طويلاً .

ولما توفي أبناء چنگيز خان الأربعة ، صار باتو عميداً لجميع أحفاده . وكان بينهم عظيم المهابة وافر الاحترام . ولم يكن لأحد قط في القوريلتاي أن يتجاوز قوله . بل كان سائر الأمراء الأنجال والأمراء مطيعين ومنقادين له .

وعندما تولى اوگتاي قاآن الحكم ، وكان قد صدر سابقاً مرسوم چنگيز خان الذي يقضي بأن يسير جوجي بجيشه ويستولي على كل الولايات الشمالية الممتدة من ايبير سيبير والبولار ودشت القپچاق والباشغرد والروس والچركس حتى موضع « دربند خزر » الذي يسميه المغول تيمور قهلقه ، ويدخلها كلها في حوزته . وكان جوجي قد تقاعد عن هذا الغزو في عهد أبيه - أمر أوگتاي قاآن « باتو » بأن يسير - طبقاً لهذا القرار - برفقة ابن أخيه منگوقاآن وأخيه بوچك وابنه كيوك ، ومعهم الأمراء الكبار ، ومن بينهم « سوبتاي بهادر »[1] قائد

---

(١) يكتب أيضا « سبتاي » .

الجيش ، ومن قبيلة اوريانكقت ، والذي كان قد قدم مع « جبه »[1] إلى هذه البلاد ، ومعهم جيش عينه كي يجتمع مع سائر الأمراء عند باتو ، ويشتغلوا بفتح الممالك الشمالية .

فساروا في « بيجين ييل » أي عام القرد الموافق جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (٦٣٣هـ = ١٢٣٥ ـ ١٢٣٦م) ، واستولوا على أكثر تلك الولايات . وفي ربيع « قولقنه ييل » أي عام الفأر الموافق شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة (٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠م) ، عاد كيوك خان ومنگوقاآن بناء على أمر القآن ، وتوجها إلى حضرته . وبعد مدة أخرى كان باتو وإخوته والأمراء والجند يفتحون تلك البلاد . ولا يزال أفراد أسرته يوالون هذه الفتوحات .

كان لباتو زوجات كبيرات ومحظيات كثيرات . كما كان له أربعة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ ـ سرتاق ٢ ـ توقوقان ٣ ـ أوبكان ٤ ـ شينككوم .

وسنذكر سلسلة الأبناء الأربعة ، ونشرح أحوالهم كل على حدة على هذا النمط :

الابن الأول لباتو : سرتاق

ولد من .....[2] ولم يكن له أولاد قط .

الابن الثاني لباتو : توقوقان

كان له خمسة أولاد على هذا الترتيب :

١ ـ تارتو ٢ ـ مونككا تيمور ٣ ـ تودا مونككا ٤ ـ توقونقا ٥ ـ اولاقجي .

ونذكر بالتفصيل سلسلة هؤلاء الأبناء الخمسة على هذا النحو :

الابن الأول لتوقوقان : تارتو

كان له زوجات ومحظيات، إلا أن أسماءهن غير معروفة . وكان له ولدان :

---

(١) يكتب أيضا « يه » .
(٢) هكذا في الأصل .

١ - تولا بوقا وابنه غير معروف .
٢ - كونچاك : كان له ابن يدعى بوز بوقا .

الابن الثاني لتوقوقان : مونككا تيمور

كان لمونككا تيمور هذا زوجات ومحظيات . وقد عرفت أسماء الزوجات الثلاث الكبيرات :

أ - اولچاي من قبيلة قونقرات .
ب - سلطان خاتون من قبيلة اوشين .
جـ - قوتوقوي خاتون من قبيلة .....[١] ولها عشرة أولاد على هذا التفصيل والترتيب .

١ - القوي : ولد من أولچاي .
٢ - اباجي .
٣ - توداكان : ولد من سلطان خاتون .
٤ - بورلوك : ولد من قوتوقوي خاتون .
٥ - توقتاي : ولد من أولچايتو خاتون ابنة « كيلميش آقا » أخت منگوقاآن التي كانت زوجة « ساچيداي گوركان » . وهو الآن ملك على أولوس جوجي .

وله زوجتان أخريان : اسم إحداهما بولغان واسم ثانيتهما توكونچه من قبيلة قونقرات . وكان لها ابن يدعى « بابوس »[٢] .

٦ - سراي بوقا .
٧ - مولاقاي .
٨ - قدان .
٩ - قودوقاي .
١٠ - طغريلچه .

وهنا انتهى الكلام بعون الله وحسن توفيقه .

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) هكذا في الأصل .

الابن الثالث لتوقوقان : تودامونككا

والدته والدة أخيه مونككا تيمور ، كوچوخاتون ، أخت أولجاي خاتون وابنة بوقاتيمور . وكانت من قبيلة اويراث .

ولتودا مونككا هذا زوجتان :

أ - اريقاچ من قبيلة قنقرات .

ب - تورا قتلغ من قبيلة ايلچي تاتار . وكان لها ثلاثة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ - أور منككو ولد من اريقاچي .

٢ - چيچكتو ولد من تورا قتلغ .

٣ - ، نويتاي ، . وأسماء زوجاته غير معروفة . وكان له ولدان على هذا الترتيب . . .[1] .

ولم يكن له أولاد .

الابن الرابع لتوقوقان : توقيقونقا

كان له زوجات وسبعة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

بادوم[1] - توكلبوقا . . . .[1] .

الابن الخامس لتوقوقان : اوكاجي

لم يكن له أولاد .

الابن الثالث لباتو : ابوكان

كان له زوجات ومحظيات وسبعة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

١ - تاراق ٢ - بولاد ٣ - توطوج ٤ - دقوقا ٥ - أحمد ٦ - سابير ٧ - دونكوز .

وليس له أولاد . وأسماء زوجاته غير معروفة .

وبهذا انتهت سلسلة باتو الابن الثاني لجوجي خان . والله المستعان .

(١) هكذا في الأصل .

الابن الرابع لجوجي خان : بركة چار

كان له زوجة ومحظيات . كما كان له ولدان بهذا التفصيل والترتيب :
الابن الأول لبركة چار هذا كوكچو . وكان له أربعة أولاد :

١ - ايجيل تيمور .
٢ - سلقيچي .
٣ - دوقا[1]
٤ - توقتيمور .

الابن الثاني لبركة چار هذا : ييسوبوقا . كان له ولد واحد اسمه « سراي بوقا » .

وبهذا انتهت سلسلة بركة چار بن جوجي خان بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

الابن الخامس لجوجي خان : شيبان

كان له زوجات ومحظيات كثيرات . كما كان له اثنا عشر ولدا على هذا التفصيل :

١ - باينال ٢ - بهادر ٣ - قاداق ٤ - بالاقان ٥ - چريك ٦ - مركان ٧ - قورتقا ٨ - اياچي ٩ - سايلقان ١٠ - باياانچار ١١ - ماچار ١٢ - قونيچي .

وتفصيل فروع هؤلاء الأبناء الاثنى عشر وأحفادهم على هذا النمط :

الابن الأول لشيبان : باينال

كان له ثلاثة أبناء على هذا الترتيب :
١ - ايلاق تيمور . ٢ - بيك تيمور ٣ - ييسور بوقا

الابن الثاني لشيبان : بهادر

له ولدان :

(١) يكتب أيضا توقتا .

الابن الأول لبهادر : قتلغ بوقا .

لم يعرف ما إذا كان له أولاد أم لا .

الابن الثاني لبهادر : جوجي بوقا

كان له أربعة أولاد على هذا التفصيل :

١ - بادقول ٢ - بيك تيمور

٣ - نانك كچار ٤ - يسوبوقا

الابن الثالث لشيبان : قداق

كان له ابن واحد اسمه « تولا بوقا » . ولتولا بوقا هذا ولدان : الأكبر منكقوتاي والأصغر « تومان تيمور » . وكان له ابن يدعى اوچوكو .

الابن الرابع لشيبان : بالاقان

كان له ثلاثة أولاد على هذا الترتيب :

١ - تورى ٢ - توكان ٣ - توقداى ويسمى « مريد توقتا » وغه توقتا . ومعسكره يقع بالقرب من نهر « ترك » بناحية دربند . وقد ظل هكذا مدة إلى أن تولى قيادة الجيش .

وله ثلاثة أولاد : ١ - باقيرچه ٢ - كوچك ٣ - جارقار .

الابن الخامس لشيبان : چريك

كان لچريك هذا ابن يسمى توقتيمور .

الابن السادس لشيبان : مركان

كان له ولدان على هذا الترتيب :

١ - بوقاتيمور . ٢ - ايل بوقا .

الابن السابع لشيبان : قورتقا

كان لقورتقا هذا ولد واحد يدعى كيناس .

الابن الثامن لشيبان : اياچي

كان لاياچي هذا ولد واحد يدعى أوچقور توقا .

الابن التاسع لشيبان : ساينلقان

كان له ولد واحد يدعى « قتلغ تيمور » . ولقتلغ تيمور هذا سبعة أبناء :
١ ـ بور التاي ٢ ـ بيك تيمور ٣ ـ بورالغي ٤ ـ اوتمان ٥ ـ سايناق ٦ ـ ييسوبوقا ٧ ـ تيمورتاى .

الابن العاشر لشيبان : باياچار

كان له ابن واحد يدعى ابوكان گوركان . ولأبوكان گوركان هذا ولد واحد يدعى طوغانجار .

الابن الحادي عشر لشيبان : ماچار

كان له ابن واحد يدعى « تورچي » .

الابن الثاني عشر لشيبان : قوينچي

لم يكن له أولاد قط .

وبهذا انتهت سلسلة شيبان بن جوجي بحسن توفيقه .

الابن السادس لجوجي خان : تانككوت[1]

كان له ولدان : ١ ـ سوبكتاي ٢ ـ توقوز

وسلسلة أبناء هذين الولدين المذكورين على هذا الوجه :
أ ـ ماچار : كان له ولد اسمه كورك .
ب ـ كيچك قونچي : كان له أربعة أولاد :
بوراچار ـ كوچتيمور ـ ايشتان ـ دوراتو .

الابن الثاني لتنكقوت : قوتوز .

كان له ثلاثة أولاد على هذا التفصيل :

(١) يكتب أيضا تنكقوت .

تالومتاي ـ ارسلان ـ بورالغي .

وبهذا انتهت سلسلة تانكقوت الابن السادس لجوجي خان .

الابن السابع لجوجي خان : بوال

كان له ولدان : ١ ـ تاتار ٢ ـ مينكقدور

وسلسلة فروع أبناء هذين الولدين على هذا الوجه :

ابن الأول : « بوقال بن تاتار » . وكان له ولد اسمه « نوقاي » . ولنوقاي هذا ثلاثة أبناء على هذا التفصيل :
چوكه ـ بوكه ـ بوري .

ابن الثاني : بوقال بن مينكقدور . وله تسعة أولاد على هذا التفصيل :

١ ـ قوتار : له ولد اسمه « كوري بوقا » ٢ ـ بكدوز ٣ ـ اوروس : كان له ولدان : توداكان ـ قوتلوباي . ٤ ـ أبو كان : كان له ولدان : توقوچ أحمد ـ اوزبك : ليس له أولاد ٥ ـ ساسين : كان له ولد واحد اسمه ياسار ٦ ـ اوزبك ٧ ـ قورتقا ٨ ـ توقلوجه . ٩ ـ ايلياشميش .

وبهذا انتهت سلسلة بوقال الابن السابع لجوجي خان بعون الله تعالى .

* * *

الابن الثامن لجوجي خان : چيلاوقون

لم يكن له أولاد .

الابن التاسع لجوجي خان : شينكقور

كان له ثلاثة أبناء : وأسماء أبنائه وسلسلة أحفاده على هذا النحو :
الابن الأول : ييسو بوقا . كان له خمسة أولاد على هذا الترتيب :
١ ـ بورالقي ٢ ـ كوبك ٣ ـ توداكان ٤ ـ توداچو ٥ ـ اجتچي .

الابن الثاني : شيرامون : كان له ثلاثة أولاد : ١ ـ خوارزمي : أمه بوراوچين من قبيلة التاتار ٢ ـ چاقوتو : أمه قوتلوقان من قبيلة سولدوس .

٣ - بيرام : أمه قولداق . وكانت محظية .
الابن الثالث : ماچار . كان له ثلاثة أولاد :
١ - اوروساق ٢ - بايان ٣ - بايقو

وبهذا انتهت سلسلة شينكقور الابن التاسع لجوجي خان . والمنة لله .

* * *

الابن العاشر لجوجي خان : شيمتاي

كان له زوجات ومحظيات . كما كان له ولدان : هندو - توداور . وسلسلة أبنائهما على هذا الوجه :

الأبن الأول لچيمتاي : هندو . كان له ولد يدعى باكو . ولباكو هذا ثلاثة أولاد على هذا الترتيب : ١ - چلايرتاي ٢ - كويتالان منكقوتاي ٣ - طاقاچو . وقد حكم باكو هذا بعد وفاة چيمتاي مدة عامين كاملين . وبعد ذلك قتله « توقتا » . الابن الثاني لچيمتاي : توداور . كان له ولدان :
١ - ملك خواجه تيمور ٢ - قورتقا جوق پاوساجي[1] . لم يكن له أولاد .

وبهذ؛ انتهت سلسلة چيمتاي الابن العاشر لجوجي خان بمنه ولطفه .

* * *

الابن الحادي عشر لجوجي خان : محمد

سمي أيضاً « بوره » . ولم يكن له أولاد قط .

* * *

الابن الثاني عشر لجوجي خان : اودور

كان له ابن واحد يدعى « قراچار » ولقراچار هذا خمسة أولاد على هذا التفصيل :

الابن الأول لقراچار : قورتقا . وكانت أمه تدعى إيلتوتميش من قبيلة

(١) هكذا في الاصل .

« توكلاس » يعني « تولاس » . وكان لقورتقا هذا ولد واحد اسمه ساسي .

الابن الثاني لقراچار : قورچي . كان لقورچي هذا ولد واحد يدعى اتويانده .

الابن الثالث لقراچار : ابيشيقا : لم يكن له أولاد .

الابن الرابع لقراچار : « امكن » . لم يكن له أولاد أيضا .

الابن الخامس لقراچار : « توكل » . وليس له أولاد كذلك .

وبهذا انتهت سلسلة « اودور » الابن الثاني عشر لجوجي خان والسلام .

الابن الثالث عشر لجوجي خان : توقاتيمور :

كان لتوقاتيمور هذا أربعة أبناء . وأسماؤهم وفروع أبنائهم على هذا النمط :

الابن الأول : باي تيمور . كان له ثلاثة أولاد :

١ - توقانچار ، ٢ - بيلقچي ، ٣ - كوكاچو . ولم يكن له أولاد .

الابن الثاني : بايان . وله ولدان :

١ - قزان ، ٢ - داشمن : لم يكن له أولاد .

الابن الثالث : أورنك تيمور . كان له أربعة أولاد .

١ - آچيق : له ولد اسمه بختيار .

٢ - اريقلي : له ثلاثة أولاد : عادل - سقبوچي - انبارچي .

٣ - قيراقو : كان له ثلاثة أولاد : نيكباي - كرانچه - ساقرچي .

٤ - ساريچه : كان له ولد واحد اسمه كونچك .

الابن الرابع : كيوتيمور . كان له ولدان : قراخواجه - اباي .

وبهذا انتهت فروع توقاتيمور الابن الثالث عشر لجوجي خان بمنه ولطفه .

الابن الرابع عشر لجوجي خان : شينككوم

لم يكن لشينككوم هذا أولاد .

وأبناء جوجي خان طبقا لما رواه الثقاة هم هؤلاء الأربعة عشر ولدا الذين سجلنا أسماءهم وأسماء أبنائهم وأحفادهم . وجدول فروعهم يكون على الصورة التي سوف نثبتها .

(القسم الثاني من تاريخ جوجي خان)

في تاريخ وحكايات زمان ملكه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه ، وذكر مصايفه ومشاتيه وبعض الحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له ، ومدة حكمه

كان چنگيز خان قد فوض إلى جوجي خان حكم كل الولايات والمناطق الواقعة ما بين حدود ارديش وجبال التاي ، وجميع المصايف والمشاتي في تلك الجهات . كما صدر مرسوم بأن يستولي جوجي على مناطق دشت القپچاق والبلاد الواقعة في تلك النواحي ، ويدخلها في حوزته . وكان مقره في منطقة « ارديش » . وقاعدة ملكه هناك على الصورة التي سوف نسجلها .

حكاية أحوال جوجي خان على سبيل الإجمال

لأن جوجي خان توفي قبل أبيه ، لم يكن في الإمكان إيراد الحكايات الخاصة به بصورة منفصلة مستقلة . ولهذا السبب ذكرنا هنا مجملا لأحواله التي سبق شرحها في تاريخ چنگيز خان .

والآن نتناول بالشرح أحوال مرضه ووفاته ، ذلك أن جوجي خان كان دائما يقود الجيوش بأمر چنگيز خان ، ويفتح كثيرا من البلاد والولايات . وفي الوقت الذي قصد فيه چنگيز خان أقاليم إيران ، وعندما بلغ منطقة أترار ، عهد إليه بفتح هذه المدينة وتركه هناك . وكما ذكر في تاريخ چنگيز خان استولى جوجي على أترار ، وفتح قلعتها وخربها . ثم عاد وصار يفتح البلاد الواقعة في طريقه ، إلى أن وصل إلى حضرة أبيه في نواحي سمرقند .

ثم إن چنگيز خان عينه مع أخويه چغتاي وأوگتاي لفتح خوارزم . ولكن

عندما حاصروا بخارى لم يتيسر لهم فتحها بسبب نزاعه مع أخيه جغتاي . فأمر چنگيز خان بأن يكون أوكتاي القائد في تلك المعركة . فاستطاع بحسن رأيه وكفاءته أن يوفق بين الأخوين ، واستولوا متضامنين على خوارزم .

ثم توجه جغتاي وأوگتاي إلى أبيهما ، ووصلا إلى حضرته في قلعة طالقان . كما توجه جوجي من خوارزم صوب ارديش حيث كان أتباعه ، ونزل بمعسكراته .

وقبل ذلك كان چنگيز خان قد أمر بأن يسير جوجي لفتح الولايات الشمالية مثل البلار والباشغرد والاوروس والجركس ودشت القپچاق والولايات الأخرى في تلك الجهات والاستيلاء عليها . ولكن لما تخلف جوجي عن القيام بهذه المهمة ، ورحل إلى دياره ، غضب چنگيز خان غضبا شديدا لدرجة أنه صرح قائلا : « سوف أقتله دون أن أراه » .

ثم مرض جوجي ، فتعلل بمرضه ، ولم يستطع أن يلحق بأبيه بعد أن عاد من ولايات التازيك ، وأقام في معسكراته . واكتفى جوجي بأن أرسل إلى أبيه عدة أحمال من الصيد ، وقدّم الاعتذار .

وبعد ذلك أشار چنگيز خان باستدعائه عدة مرات . ولكنه لم يحضر ، واعتذر متعللا بمرضه . واتفق أن كان هناك رجل من قبيلة « منكقوت » يأتي من جهة موطن جوجي . وكان جوجي قد ارتحل من مقره ، وصار يتنقل من مكان إلى آخر إلى أن بلغ ـ وهو مريض ـ جبلا كان موضع صيده . فلما أحس من نفسه ضعفا ، أرسل أمراء الصيد لكي يصطادوا .

فلما رأى ذلك الشخص هذا الجمع الذين كانوا يصيدون ، ظن أن جوجي معهم . وعندما بلغ حضرة چنگيز خان ، سأله عن مرض جوجي ، فأجاب قائلا : « لا علم لي بمرضه . ولكنه كان مشغولا بالصيد في الجبل الفلاني » . فاستشاط چنگيز خان غضبا من هذا الكلام ، وظن أنه لا بد وأن يكون جوجي قد تمرد ، ولم يعد يأبه بكلام أبيه . فقال : « لقد جنّ بإقدامه على مثل هذه الأفعال » . وأمر بأن تزحف نحوه الجيوش ، وأن يسير جغتاي وأوگتاي في المقدمة ، وأن يسير هو بنفسه في المؤخرة .

وفي أثناء تلك الأحوال ، بلغه نعي جوجي في سنة . . .[1] فحزن چنگيز خان عليه حزنا شديدا . ولما تقصى الحقيقة ، اتضح له أن كلام ذلك الشخص كذب وافتراء . وثبت لديه أن جوجي كان مريضا حقا في ذلك الوقت ، وأنه لم يكن في موضع الصيد فاستدعى ذلك الشخص لإعدامه،ولكن لم يعثر عليه .

هذا وقد قرر الثقاة من الرسل الذين كانوا يجيئون من موطن جوجي أن وفاته كانت فيا بين الثلاثين والأربعين من عمره . وهذا القول قريب من الواقع . ويذكر البعض أنه مات في العشرين من عمره وهذا خطأ محض .

ولما جلس القاآن على العرش بعد وفاة جوجي ووفاة چنگيز خان ، عهد إلى أفراد أسرة جوجي بفتح الولايات الشمالية بموجب القرار الذي كان قد أصدره چنگيز خان من قبل بشأن تكليف جوجي خان بهذه المهمة . فاشتغلوا بهذا الأمر بمعاونة الأمراء بعضهم لبعض .

حكاية أحوال أعقاب جوجي خان بعد وفاته ، وتولي كل منهم الحكم مكانه ، والحروب التي قاموا بها في كل وقت ، والفتوحات التي تمت على أيديهم ، والحوادث التي وقعت

حكاية جلوس باتو مكان أبيه ، وذكر أحواله أثناء حكمه

لما توفي جوجي خان ، جلس ابنه الثاني على العرش ، وقام مقام أبيه في حكم رعيته ، وقد أطاعه إخوته . وانقادوا له . وفي عهد أوكتاي قاآن ـ كما ذكر في تاريخه بالتفصيل ـ رشح مع إخوته وبقية الأمراء ـ حسب المرسوم السابق ـ لفتح الولايات السابقة . فاجتمعوا كلهم عنده ، وساروا متضامنين ، واستولوا على أكثر تلك البلاد ، كما تم شرح ذلك من قبل . وبعد عودة الأميرين منگوقاآن وكيوك خان ، شغل باتو مع إخوته بالاستيلاء على بقية تلك الولايات كما سبق أن ذكر في نهاية سلسلة نسبه .

وفي أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩ هـ = ١٢٤١ - ١٢٤٢ م)

---

(١) هكذا في الأصل .

عندما توفي أوكتاي قاآن ، كان بـاتو قد ابتلي باسترخاء أعضائه بسبب كبر سنه . وعندما دعي لحضور القوريلتاي ، تخلف متعللا بذلك العذر . وبسبب تغيبه ، ولأنه كان عميد الأمراء جميعا ، ظل أمر القاآنية معطلا ما يقرب من ثلاث سنوات . فكانت تباشر مهام الحكم « توراكنه خاتون » كبرى زوجات أوكتاي . وخلال تلك المدة ، وجدت الاضطرابات سبيلها إلى أطراف الممالك وأوساطها .

وكان أوكتاي قاآن قد عيّن حفيده « شيرامون » وليا لعهده . ولكن لم ترض « توراكنه خاتون » ولا بعض الأمراء بذلك . وقالوا : « إن كيوك خان هو الأكبر » وطلبوا حضور باتو لإجلاسه . ومع أنه كان متألما من أسرة أوكتاي ، وكان يتوجس خيفة منهم بسبب سوابق القضايا المثيرة ، إلا أنه رحل إليهم ، وكان يسير بتأن . ولكن قبل وصوله قرروا ـ بحضور أفراد الأسرة الحاكمة ـ منح كيوك خان القاآنية مستبدين برأيهم .

ولما كان كيوك خان مبتلى بمرض مزمن ، انتحل العذر ، وقال : « إن مناخ الموطن القديم الذي منحني إياه أبي مناسب لي » . ثم توجه مع جيش تام الاستعداد إلى نواحي « ايميل قوچين » . فلما اقترب باتو من ذلك المكان ، خاف قليلا . ولكن « سيور قوقتيني بيگى » الزوجة الكبرى لتولوي خان ، فإنها ـ بناء على قاعدة الصداقة التي كانت ممهدة وموطدة منذ عهد چنگيز خان بين جوجي خان وتولوي خان وأسرتيهما ـ أرسلت إلى باتو رسالة في الخفاء تقول فيها : « إن مجيء كيوك خان إلى تلك النواحي ، لا يخلو من خدعة » . فازداد باتو تخوفا من ذلك ، وصار يترقب وصول كيوك خان في حزم واحتياط .

ولما بلغ كيوك خان نواحي سمرقند ، في موضع بينه وبين « بش باليق » مسيرة أسبوع ، توفي بالمرض الذي كان قد اعتراه ، وذلك في سنة « أربعين وستمائة »[1] . وبقي العرش خاليا من القاآن مرة ثانية ، وصارت تراكنه خاتون تحكم مرة أخرى . ولما كان نبأ مرض باتو قد ذاع وانتشر ، أرسلت سيور قوقتيني بيگى ابنها منگوقاآن إليه لعيادته ، فسر بوصوله . ولما كان يتوسم فيه

(١) هذا التاريخ خطأ إذ المشهور أن كيوك خان توفي في سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩م) انظر عباس إقبال : تاريخ مفصل إيران ، الجزء الأول ، ص ١٥٤ .

مخايل السعادة والمعرفة ، وكان متألما من أبناء أوكتاي قاآن، صرح قائلا : « إن منكوقاآن هو الابن الأكبر لتولوي خان الذي كان الابن الأصغر لجنكيز خان ، ويعرف موطنه القديم ومنزله الأصلي . وهذا الابن في غاية الكفاءة والفضل والاستعداد للحكم . ومع وجوده كيف يكون القاآن شخصا غيره ؟!. . . لا سيما وأن أبناء أوكتاي قاآن لم يمكنوا لشيرامون في الحكم ، وخالفوا بذلك قول أبيهم ، وخرجوا على القانون والدستور القديم . وقتلوا ـ بغير ذنب ، ودون مشورة كبار الأمراء من أفراد الأسرة ـ ابنة جنكيز خان الصغرى التي كانت أحب أبنائه إليه . وكان زوجها يلقب بلقب « جاورد ساجان » . ولهذه الأسباب لن يتقلدوا منصب القاآنية » .

« بعد ذلك رفع بنفسه منكوقاآن إلى عرش القاآنية ، ودعا جميع إخوته وأقاربه وأمرائه إلى إطاعته والانقياد له . ثم أرسل في صحبته أخاه « بركه » وابنه « سرتاق » الذي كان وليا للعهد ، ومعهم ثلاثون ألف جندي لكي يجلسوه على سرير القاآنية ، ومسند الملك في « أونن كلوران » الذي كان الموطن الأصلي لجنكيز خان وبهذا تداركوا وتلافوا الغدر الذي كان قد بيته أبناء أوكتاي قاآن .

وقصارى القول ، فإن سبب إيصال القاآنية إلى أسرة تولوي خان ، وإقرار الحق في نصابه ، إنما يرجع إلى كفاءة سيورقوقتيني بيگي وكياستها ، وإلى مساعدة باتو ومعاونته بسبب صداقته لهذه الأسرة . وقد استمرت أسس الاتحاد ، وأواصر الصداقة بين أسرتي تولوي خان وباتو في حياته وبعد مماته في عهد سرتاق وأولاغچي ، وأكثر عهد بركه .

وحدث أيضا في حياة باتو أن منكوقاآن عيّن أخاه الثالث هولاكوخان مع جيوش جرارة لفتح بلاد إيران . واختار اثنين من كل عشرة من جنود كل أمير كي يذهبوا مع هولاكوخان ، ويصيروا له مددا وعونا . فسيّر « اورده »ابنه الأكبر « قولى » مع عشرة آلاف جندي عن طريق خوارزم ودهستان . كذلك أرسل باتو « بالاقان بن شيبان » و« قوتار بن مينكقدر بن بووال » الابن السابع لجوجي خان عن طريق « دربند قپچاق » ليقبلا بجنودهما ، ويصيرا مددا لهولاكوخان . فأطاعا الأمر وارتحلا .

وفي سنة خمسين وستمائة (٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م) توفي باتو على ضفاف

نهر ايتل بموضع « سراي » . وكانت مدة عمره « ثمان وأربعين سنة »[1] ، فتلقى منكوقاآن ابنه « سرتاق » بالعطف والإعزاز وأقره على العرش والمملكة ، وأذن له في الانصراف . ولكنه قضى نحبه أيضا في الطريق . فأوفد منكوقاآن رسله إلى زوجاته وأبنائه وإخوته مؤكدين عطفه ورعايته . ثم أجلس اولاغچي باتو على العرش ، وخص الجميع بالإعزاز والتكريم . ولكن اولاغچي توفي كذلك بعد مدة قصيرة ، وترك العرش والمملكة للآخرين .

قصة جلوس بركاي[2] لحكم اولوس جوجي وأحواله في المدة المذكورة

لما توفي باتو ، ومات أيضا ـ على التوالي ـ ابنه سرتاق واولاقچي بن سرتاق اللذان كانا قد حلا محله ، جلس أخوه الأصغر « بركاي » مكانه . وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة (٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م) صار حكمه نافذا في رعيته . وجريا على القاعدة المتبعة ، كان يسلك طريق الإخلاص والمودة والاتحاد مع أسرة تولوي .

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م) فكر « بالاقان » ـ الذي كان في هذه البلاد ـ في الغدر والمكر بهولاكوخان ، ومارس السحر وأتقنه . ولما حُقق معه ، اعترف بجرمه . وحتى لا يتولد عنه الفساد ، أرسله هولاكوخان في صحبة الأمير سونجاق إلى بركاي . فلما وصلا إلى هناك ، وثبت الجرم على « بالاقان » ، أعاده بركاي إلى هولاكوخان قائلا : « إنه مجرم ! . . . وأنت تعلم ما يستحق » . فقتله هولاكوخان .

وفي تلك الأيام توفي أيضا قوتار وقولي ، فاتهم أتباع هولاكوخان بأنهم سقوهما السم عمدا . فتكدرت العلاقات بين بركه وهولاكو لهذا السبب ، وعادى « بركاي » هولاكوخان ، وتحاربا في شوال سنة ستين وستمائة

---

(١) سبق أن ذكر رشيد الدين أن باتو قد عمر دهرا طويلا هذا على حين أن بيّنه التي ذكرها هنا لا تعد مدة طويلة .

(٢) أسلم بركه أوبركاي وقام بينه وبين السلطان الظاهر بيبرس تحالف لمحاربة هولاكو . ويوجد في ابن أبي الفضائل وصف لوصول سفارة السلطان الظاهر إلى بركه . وقد ضمنه كثيرا من عادات التتر وتقاليدهم (أنظر كتاب النهج السديد ، ص ١١٦) .

(٦٦٠ هـ = ١٢٦١ - ١٢٦٢ م) كما يجيء في تاريخ هولاكوخان[1] . أما الجنود الذين قدموا مع قولي وقوتار إلى هذه البلاد ، فقد فر أغلبهم ، واتخذ بعضهم طريق خراسان وجبال غزنة و« بيني كاو » حتى المولتان ولهاور على حدود الهند حيث استقروا . وكان « نكودر » أكبر الأمراء الذين تولوا قيادة خصوم هولاكوخان . وقد تعقبهم « انكوچيه » و...[2] من أمراء هولاكوخان ، ووصل بعضهم إلى ديارهم عن طريق « دربند » .

وهكذا استمرت تلك الفتنة بين بركاي وهولاكوخان طيلة حياتها . وكان نوقاي بن تاتار ابن الأمير الكبير بوقال قائدا لجيش بركاي ، وكان شجاعا ومبارزا إلى أقصى حد .

ولما توفي هولاكوخان في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة (٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ - ١٢٦٥ م) في معسكر چغاتو ، وجلس مكانه ابنه آباقاخان على العرش ، استمرت العداوة[3] كذلك بينه وبين بركاي . وفي سنة ثلاث وستين وستمائة ، عاد بركاي من قتال آباقاخان عند حدود « شيروان » فاجتاز « دربند » وتوفي بالقرب من نهر « ترك » في شهور سنة أربع وستين وستمائة (٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م) .

حكاية جلوس مونككا تيمور بن توقوقان الابن الثاني لباتو لحكم رعاياه

لما توفي بركاي ، أجلس الأمراء مكانه مونككا تيمور المذكور . وقد تنازع هو أيضا مدة مع آباقاخان ، وتحاربا عدة مرات . وشن عليه آباقاخان عدة غارات . وأخيرا اضطر مونككا تيمور إلى عقد الصلح في شهور سنة ...[4] وستين وستمائة كما يأتي شرحه في تاريخ آباقاخان .

---

(١) انظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني - الجزء الأول ، تاريخ هولاكو ، الترجمة العربية ، ص ٣٣٢ وما بعدها .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) انظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني - الجزء الثاني ، تاريخ أبناء هولاكو ، الترجمة العربية ، ص ١٣ - ١٤ .

(٤) هكذا في الأصل .

ومنذ ذلك الوقت ترك النزاع بين الأسرتين حتى عهد أرغون خان ، ثم عاود مونككا تيمور الهجوم بجيش كبير في رمضان سنة سبع وثمانين وستمائة (٦٨٧ هـ = ١٢٨٨ م) . وكان « تماتوقتا » قائدا لهذا الجيش . وكان أرغون خان قد توجه من مشتى أران إلى المصيف . فلما بلغه خبر وصول أعدائه ، عاد وسير الأمراء في مقدمة جيش جرار . وقد تحارب الفريقان ، فقتل كثير من الجنود الذين كانوا في مقدمة جيش مونككا تيمور ، وعاد الباقون منهزمين .

ومنذ ذلك الوقت حتى هذا العهد المبارك لسلطان الإسلام - خلد الله سلطانه - لم يحدث نزاع آخر بين الفريقين . وقد آثر أتباع مونككا تيمور الموافقة على المخالفة لعجزهم ، وإن كانوا يتظاهرون بالمودة والألفة . وكانوا يرسلون الرسل مزودين بالأخبار ومعهم الهدايا والتحف إلى حضرة سلطان الإسلام - خلد لسلطانه .

قصة جلوس تودامونككا أخي مونككاتيمور وازعاج « تولابوقا » وكنجك بوقا إياه واشتراكهما في الملك ، وهرب توقتا منهما ، ثم احتياله لقتلهما بمساعدة نوقاي

لما مات مونككا تيمور في سنة إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) بعد أن حكم عشر سنوات أعقبت وفاة الأمير « بركة » ، جلس على العرش في نفس التاريخ تودا مونككا الابن الثالث لتوقان ، وظل يحكم مدة من الوقت .

بعد ذلك قام بعزل تودا مونككا عن الحكم بحجة أنه مجنون ؛ « الغوي طغريل » من أبناء مونككا تيمور و « تولا بوقا » و « كنجك بوقا » من أبناء تارتو الذي كان الابن الأكبر لتوقان . ثم اشتركوا في الحكم لمدة خمس سنوات . ولما رأوا سمة الشجاعة والبطولة على توقتا بن مونككا تيمور الذي كانت أمه « اولجاي خاتون » حفيدة « كلمش آقاخاتون » اتفقوا على الخلاص منه . فعلم نيتهم وهرب منهم ، والتجأ إلى سلقيجي بن بركاچار . ثم بعث برسالة إلى نوقاي الذي كان قائدا لجيش باتو وبركاي يقول فيها : « إن بني الأعمام يريدون قتلي ، ولأنك أمير كبير ، سوف التجيء إليك ، لكي تحميني ، وتكف عني يد تطاولهم . وسأكون لك مطيعا مادمت حيا ، ولن أخرج عن رضاك » .

فلما اطلع نوقاي على تلك الرسالة ، أخذته الغيرة والحمية ، وتظاهر بالمرض ، وغادر ولاية « اوروس » و« ارتاح » و « كهرت » التي كان قد فتحها بنفسه ، واتخذها له موطنا ومقاما . ثم عبر نهر « اوزي » . وكلما مر بأفراد كتيبة أو أمير ، كان يعمل على استمالتهم إلى جانبه ، ويقول : « لقد أدركتني الشيخوخة ، فتركت العناد والجدل والفتنة . وليس لدي تفكير في مجادلة أي مخلوق أو محاربته . لكن لدينا أمر صريح من چنگيزخان يقضي بأنه لو سلك أي شخص مسلك الضلال في رعاياه وأتباعه ، وشتت شملهم فعلينا ـ تحقيقا لهذا القول ـ أن نؤلف بين قلـوب المتنازعين بعضهم ببعض » .

فلما سمع أفراد الكتائب والجنود تلك النصائح ، ورأوا منه الإشفاق عليهم ، انقادوا جميعا ، وأطاعوه حتى إذا اقترب من معسكر الأبناء المذكورين ، تظاهر بالمرض ، فكان يشرب قليلا من الدم ثم يتقيوءه من حلقه . كما كان يسلك طريق المداراة والملاينة .

وكان قد أرسل إلى توقتا سرا رسالة يقول فيها : « يجب أن تكون مستعدا ، وأن تحضر مع ما لديك من الجند بعد اطلاعك على الرسالة » .

وعندما بلغ أم تولا بوقا نبأ ضعف نوقاي وعجزه وقلة طمعه ، وأنه يتقيأ دما من حلقه ، أمرت أبناءها قائلة لهم : « اعلموا جيدا أنه يجب الإسراع بقدر المستطاع إلى صحبة ذلك الشيخ الضعيف الذي ترك الدنيا ، واعتزم السفر إلى الآخرة . فإذا تهاونتم وقصرتم في ذلك ، فإن لبن الأم يكون حراما عليكم » .

فأطاع الأبناء كلام أمهم دون حذر واحتياط ، وقدموا إلى نوقاي لعيادته .

فقال لهم على سبيل النصح : « يا أبنائي ! . . . لقد خدمت آباءكم ، وثبت لي عليهم أنواع من الحقوق قديما وحديثا . ومن هذه الوجهة يكون لكم كلامي البعيد عن الهوى جديرا بالاستماع[1] . وذلك حتى أستبدل بمخالفتي لكم

---

(١) يذكر النويري رواية مغايرة فيما يتعلق بحادثة مقتل « تولابوقا » . ونظرا لأنها تشتمل على بعض التفصيلات الهامة نوردها فيما يلي :

« كان مقتله في سنة تسعين وستمائة ، وذلك أنه لما عاد من غزو الكرك ، أجمع على الإيقاع بـ « نوغيه » ووافقه على ذلك من انتمى إليه من أولاد منكوتمر . وكان نوغيه شيخا مجربا له معرفة وممارسة بالمكايد ، فنمى الخبر إليه فكتمه . ثم أرسل « تلابغا » يستدعي نوغيه ، وأظهر له=

ناحية بش باليق . وكان براق في محفة يتعقبه وهو مريض . وأرسل « ناولدار » الذي كان أميرا لفرقة من ألف جندي كطليعة للجيش . فلما أدرك أحمد ، صار يسعى في سبيل إعادته راضيا . ولكن أحمد كان يظهر الغلظة وحدة الطبع . وانتهى الأمر إلى القتال ، فقتل أحمد .

وكان لأحمد ثلاثة أولاد :

١ - عمر ٢ - مباركشاه ٣ - مواتو

الابن الثالث - تكشى . كان له ولد يدعى تابدغار ، ولتابدغار هذا أربعة أبناء هم :

١ - طوغان ٢ - هولقوتو ٣ - قوريق تي ٤ - قتلوق تيمور .

الابن الرابع - نوم قلي .

الابن الخامس - بوك بوقا .

الابن السادس - تمودار .

الابن السابع - قوتان .

الابن الثامن - چيچه .

الابن التاسع - چيچكتو . وله ولدان : شادبان - قوشمان .

الابن العاشر - ايشال . له ولدان : قاتبوغا - أولاداي .

الابن الحادي عشر - له ثلاثة أولاد : قوريق تي - بوكبوغا - نوم قلي .

الابن الثاني لجغتاي خان : مواتوكان

ولد مواتوكان هذا من ييسولون خاتون . كان أبوه يحبه أكثر من أبنائه الآخرين . ولما كان چنگيز خان يحبه حبا جما ، صار يلازم حضرته في أكثر الأوقات . وفي الوقت الذي كان چنكيز خان قد أرسل أباه چغتاي مع جوجي وأوكتاي لمحاصرة خوارزم ، وشغل هو نفسه بمحاصرة قلعة باميان ، أصيب مواتوكان هذا بسهم من القلعة ، وتوفي . فحزن چنگيز خان عليه حزنا

شديدا ، واستبد به الحزن . وعندما استولى على تلك القلعة ، خربها تخريبا مطلقا ، وقتل سكانها عن آخرهم ، وسماها « ماوقرغان » .

ولما رجع چغتاي ، وصل إلى هناك وقت تخريب القلعة ، فأمر چنگيز خان بألا ينبئه أي مخلوق بتلك الواقعة . واستمر عدة أيام يقول له : « إن مواتوكان قد ذهب إلى المكان الفلاني » . وذات يوم تعمد أن يظهر الغضب لأولاده . وأخذ يتذرع بالحجج قائلا : « أنتم لا تسمعون كلامي . وقد أهملتم ما قلته لكم » . فانحنى چغتاي إجلالا لوالده ، وقال : « إننا ننفذ كل ما يأمر به چنگيز خان . وإذا قصرنا ، فإننا نكون جديرين بالموت » . عندئذ كرر چنگيز خان السؤال عدة مرات فقال : « هل ما تقوله صحيح ، وستلتزم به ؟! . . . » فأجاب چغتاي : « إذا خالفت ، ولم أبر بوعدي ، فإني أستحق الموت » . فقال چنگيز خان : « لقد مات مواتوكان ، فيجب ألا تبكي وتنوح عليه » . فاضطرمت النار في صدر چغتاي . ولكنه امتثل لأمر أبيه ، وتذرع بالصبر ، ولم يبك . ثم خرج بعد مدة بعلة قضاء الحاجة ، واختفى في أحد الأركان وصار يبكي بكاء غزيرا . وأخيرا جفف عينيه من الدمع وعاد إلى أبيه .

وكان لمواتوكان أربعة أولاد على هذا الترتيب :

١ - بايجو ٢ - بوري ٣ - ييسون توا ٤ - قراهولاكو

وسنذكر سلسلة أولاد هؤلاء الأبناء وأحفادهم على هذا النحو التالي :

الابن الأول لمواتوكان - بايجو : كان له ولد اسمه تودان . ولتودان هذا ولد اسمه بوچاي . ولبوچاي ولد اسمه عبد الله .

الابن الثاني لمواتوكان - بوري : وقد روى عن حالة ولادته أنه كان المتبع قبل هذا أن نساء « الوزراء العظام »[1] كن يجتمعن للعمل في المعسكرات . وذات يوم ذهب مواتوكان إلى المعسكر فرآه مكتظا بالنساء . فاختلى بواحدة منهن

(١) ترجمة لكلمة « ايواوقلاتان » ، مفرد « ايواوقلان » أو « ايواغلان انظر :
Steingass: Persian English Dictionary, P.134.

ذات جمال ، وجامعها . ثم دار بخلده أنه من الممكن أن تكون قد حملت منه . فأمر بأن تنفصل عن زوجها ، وتوضع تحت العناية والمراقبة . واتفق أن حملت منه ، ووضعت بوري . ثم أعيدت إلى زوجها .

كان بوري في غاية التهور والشجاعة . وعندما يشرب الخمر ، كان يتفوه بألفاظ فظة غليظة ، بحيث أنه في عهد منگوقاآن ، وبينما كان يتناول الشراب ، سب باتو بسبب العداوة التي كان يضمرها له . فلما سمع باتو ذلك ، طلب استدعاءه . فحمله منكسار نويان إلى باتو بناء على أمر منكوقاآن ، فقتله باتو .

كان لبوري خمسة أولاد :

أولهم ـ أبيشغه : لم يكن له أولاد . وكان في خدمة القاآن أثناء الخلاف الذي وقع بين أريق بوكا وقوبيلاي قاآن . ثم أرسل ليكون ملكا لاولوس چغتاي بدلا من قراهولاكو ، وليتزوج من اورغنه خاتون . ولكن اعتقله في الطريق جنود اريق بوكا . وقد ظل في الأسر حتى قتله اسوتاي بن منگوقاآن الذي كان متفقا مع أريق بوكا .

ثانيهم ـ أجيقي : كان أجيقي هذا ملازما لقوبيلاي قاآن . وهو الآن لدى تيمورقاآن . وقد طعن في السن . وهو بالنسبة إلى سائر الأمراء ـ الذين يقيمون هناك ـ أحسنهم سمعة وأكثرهم توقيرا ، وأوسعهم نفوذا . وله ثلاثة أولاد : اوروك ـ اوركتيمور ـ أرشيل كوركان . ولا بد أن يكون لهم أيضاأبناء ملازمون للقاآن.

ثالثهم ـ قداچي ساجان : وله خمسة أولاد :

١ ـ ناليغو : له ثلاثة أولاد : تيمور ـ أوراداي ـ تومان .

٢ ـ بوغو : له ولدان : ذو القرنين ـ علي .

٣ ـ بوقاتيمور : له ولدان : اوروكتيمور ـ أوچيتاي .

٤ ـ أحمد : له ولدان : الأول « بابا » وله ثلاثة أولاد : هابيل تيمور ـ قابيل تيمور ـ يولدوز تيمور . الثاني : باساتي .

٥ ـ ابو كن .

وبهذا تمت السلسلة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين .

الابن الثالث لمواتوكان ـ ييسوتوا[1] كان له ثلاثة أولاد على هذا التفصيل والترتيب :

الأول ـ مومن : وله ولدان : اسم أولهم : ييه ، وابنه يدعى بيلكه تيمور . واسم ثانيهم أوروك .

الثاني ـ براق : كان له خمسة أولاد : ١ ـ بكتيمور ، ٢ ـ دوا ، ٣ ـ توقته ، ٤ ـ أولاداي ، ٥ ـ بوزمه .

الثالث ـ يسار : جاء إلى هنا طائعا في تلك السنة التي كان فيها آباقاخان قد ذهب إلى هراة لصد « قراوناس » . وفي الوقت الذي هرب فيه أحد من خراسان ، قتله الأمراء .

أما مومن بن ييسوتوا وحفيد مواتوكان فقد كان مدمنا على الشراب . ولما كان « براق » ملازما لقوبيلاي قاآن ، وأدى له خدمات جليلة ، أمر قوبيلاي قاآن بأن يحكم الوس چغتاي مع مباركشاه . فلما وصل إلى هناك ، ظل مدة يظهر الإخلاص . ثم إن أحد الأمراء من أتباع مباركشاه ، ويدعى « بكتچي » اتفق مع براق ، وعزلوا مباركشاه . وبذلك أصبح براق حاكما مطلقا .

ولما كانت حدود الوس چغتاي متاخمة لولاية قايدو . وكان قايدو قد استولى على بعض أجزاء من أملاك براق ، حاربه براق عدة مرات . وفي المرة الأولى تغلب قايدو . فلما استأنفا القتال ثانية ، توسط قپچاق بن قداق من أسرة أوگتاي قاآن ، وعقد الصلح بينهما ، وأقسما على أن يكونا متحالفين . ولا يزال أبناؤهما متحالفين كذلك ، ويطلقون على بعضهم البعض لفظ « انده » . بمعنى الحليف .

بعد ذلك ثاروا على القاآن ، وعلى آباقاخان كذلك . فاستولى براق على

(١) يكتب أيضا ييسون توا .

ممتلكات الايلخان في تلك الولاية ، واغتصبها لنفسه ، وبسط يد الظلم والجور في الناس . ثم تشاور مع قايدو كي يعبر نهر جيحون ويحارب آباقاخان . ولأن قايدو كان يخشى فتنه ومؤامراته ، وكان هو الآخر متمردا على القاآن وآباقاخان ، رضي بذلك العرض ، حتى يبعده عن تلك البلاد . فأرسل كلا من قبچاق بن قداقان وچباط بن ناقوبن كيوك خان ـ اللذين كانا ابني عم قايدو ـ على رأس جيش ليرافقا براق .

وعندما عبروا النهر ، عاد قبچاق متأثرا يائسا . وكذلك چباط . فأرسل براق إخوته مؤمن ويسار وموكو أوغول عقب قبچاق كي يسترضوه ويعيدوه ، وإلا شغلوه بالكلام حتى يصل « جلايرتاي » فيقبض عليه . فلما أدركوا قبچاق ، ولم يعد معهم ، أرادوا أن يسكروه ويشغلوه . ولكنه فطن إلى حيلتهم ، وقال لهم : « أنتم تتعمدون إيذائي ، فعودوا طائعين مختارين ، من حيث جئتم ، وإلا فسوف أعتقلكم وآخذكم معي » . فرجعوا خوفا منه .

ولما قابلوا چلايرتاي ، قالوا له : « لقد رحل قبچاق بعيدا ، ولن تدركه » . فعاد هو الآخر معهم أيضا .

ولما عبر براق نهر جيحون منهزما ، وانصرف عنه أكثر أقاربه وجنوده ، أرسل « يسار » إلى قايدو برسالة يقول فيها : « إن الأميرين الكبيرين والأشخاص الذين كنت قد بعثت بهم ، لم يظهروا وفاء ولا ثباتا . وعاد كل واحد منهم متذرعا بحجة . وبدأ قبچاق بذلك . فكانت تلك التصرفات سببا في هزيمة الجيش .

ولما سمع قايدو الرسالة بأكملها ، سأل يسار : « لماذا أرسلك براق مع مومن ونيكبي عقب قبچاق . وهل أرسل وراءكم جيشا أم لا ؟! . . » أجاب : لا . وكان قايدو مطلعا على حقائق الأمور . فقال ليسار : « إن الهزيمة النكراء التي لحقت بكم ، إنما كان سببها عدم استقامة ألسنتكم مع قلوبكم . فحقيقة المسألة أن چلايرتاي كان يجيء على رأس جيش من ورائكم كي يعتقل قبچاق » . فخاف ياسار ثم قبض عليه قايدو ، وسجنه . وبعد ذلك تشاور مع الأمراء ، وسار بحجة معاونة براق حتى يقضي عليه بطريقة ما . فلما اقترب من

النهر ، ورد نبأ يفيد أن الأشخاص الذين كانوا قد ذهبوا عقب نيكبي اغول وأحمد قتلوهما .

ثم أرسل براق رسولا إلى قايدو يقول : « لماذا يتعب قايدو انده نفسه ؟ ليعد ؛ إذ ليست هناك حاجة إلى معاونته » . ولكنه لم يستمع إليه . وسرعان ما تقدم ونزل ليلا حول معسكر براق . غير أن براق توفي في نفس تلك الليلة . ولما لم يتقدم إليه أحد في الصباح ، أرسل من يستقصي أخبار براق ، فثبت لديه أنه قد توفي . فما كان من قايدو إلا أن دخل معسكره ، وقدم تعزيته . ثم أرسل جثمانه إلى جبل حيث دفن .

وبعد وفاة براق ، صار ابن عمه بوقاتيمور بن قدافچي ملكا على أولوس چغتاي . ومن بعده قلد دوا بن براق الحكم . وكان متفقا مع قايدو وأبنائه . وقبل هذا أخذ يجمع جيوش چغتاي . وكان نوروز قد أعلن التمرد والعصيان ، فذهب إليه وإلى قايدو . وكان مطلعا على الطرق والأوضاع في خراسان ، وأغار على اسفراين . وقد تطرق الفساد الكثير إلى الولايات بسبب نوروز ، وقتل مسلمون أبرياء كما سيأتي شرح دلك في تاريخ سلطان الإسلام .

وبعد ذلك هرب اويغورتاي بن قوتلوق ، ولجأ إلى « دوا » . وكان يعرف جيدا مسالك مازندران ، وذلك في الوقت الذي غدر فيه بايدو بگيخاتو . ثم تألب الأمراء عليه وقتلوه . فاقبل سلطان الإسلام -خلد الله ملكه- على رأس جيش ، وقبض على بايدو وقتله ، وجلس على عرش الخانية . ثم قدم « دوا » من طريق الصحراء إلى مازندران بإرشاد اويغورتاي مستغلا تلك الفرصة التي كان يجيء فيها جيش من خراسان إلى هذه البلاد ، ونهب بعض العتاد[1] الخاص بجنود سلطان الإسلام -خلد الله سلطانه- الذين كانوا في تلك الجهات ، ثم رجع .

وسيأتي شرح هذه الحكايات في تاريخ سلطان الإسلام -خلد سلطانه- وقد حارب « دوا » -بالاتفاق مع قايدو- جيش القاآن عدة مرات فهزما ،

---

(١) ترجمة للكلمة المغولية اغروق بمعنى أمتعة أو عتاد أو خيمة (أنظر : Slteingass, P.77. ؛ بهار : سبك شناسي ، ج ٣ ، ص ٩٨) .

وجرح كلاهما في المرة الأخيرة . أما قايدو فقد توفي متأثرا بجراحه . وأما « دوا » فقد ابتلي بالفالج .

ولـ « دوا » هذا عدة أولاد من جملتهم : « قوتلوق خواجه » الذي أسندت إليه ولاية غزنة ، وقيادة جيش القراونة ، إذ أنهما كانا في حوزة الجغتائيين من قديم . وكان قوتلوق خواجه وأتباعه يقضون الصيف ، في منطقة غور وغرجستان ، والشتاء في ولاية غزنين وتلك النواحي . وكان عليهم دائما أن يحاربوا سلطان دهلي . ولكن جنود دهلي هزموهم عدة مرات . وكان هؤلاء الجغتائيون يأتون دائما إلى أطراف تلك البلاد للسرقة وقطع الطريق ، فيحدثون فيها الفوضى والاضطرابات . وأراد « بوزمه » أن يذهب إلى حضرة القاآن ، فعلم بذلك قايدو وقتله .

الابن الرابع لمواتوكان : قراهولاكو . كان له ابن يدعى مباركشاه . وكان لمباركشاه هذا خمسة أولاد :

١ - أولجاي بوقا . له ولد يدعى قتلقشاه .
٢ - بورالقي . له ولد يدعى توتلوق .
٣ - هورقداي .
٤ - ايسان فولاد .
٥ - قداق .

وكان چغتاي قد عهد إلى قراهولاكو بولاية العهد مكان أبيه . وكانت « اورقنه خاتون » زوجة له . فوضعت مباركشاه . ولما توفي قراهولاكو ، صار الغو بن بايدار - الذي كان ابن عمه - ملكاً على اولوس چغتاي بأمر اريق بوكا ، وتزوج من اروقنه خاتون ثم مات بعد مدة ، فحل مباركشاه هذا محل أبيه .

ثم قدم براق بناء على أمر قوبيلاي . فلما رأى أن مباركشاه قد صار ملكا ، لم يتكلم قط ، وأخذ يجمع حوله بالتدريج جنوده المشتتين . وعندما جاء براق إلى خراسان لمحاربة آباقاخان ، كان مباركشاه معه . لكنه هرب ، وقدم إلى حضرة آباقاخان . ومن بعد سوف تجيء تلك الحكاية في موضعها مشروحة ومفصلة إن شاء الله تعالى .

الأبن الثالث لجغتاي : بلكشي

لما توفي مواتوكان الذي كان ولي عهد چغتاي ، أراد چغتاي أن يجعل هذا الابن وليا للعهد . ولكنه مات هو الآخر أيضاً في الثالثة عشرة من عمره . ولم يكن له ولد ، فجعل بعده « قراهولاكو بن مواتوكان » وليا للعهد . والسلام على من اتبع الهدى .

الابن الرابع لجغتاي : ساربان

له ولدان : قوشيقي ـ نيكياي .

الابن الخامس لجغتاي : ييسومونككا

كان ييسومونككا هذا مولعا بالشراب جدا بحيث يقال : إنه لم يكن يقظاً إلا بمقدار ما يسلم حيوانا إلى المشرفين على الصيد . وكانت له زوجة اسمها « نايشي » في غاية الاحترام وسعة النفوذ . ولما كان زوجها ثملاً دائماً ، كانت تباشر أعماله .

وتتلخص أحواله في أنه كان على وفاق مع كيوك خان ، فعهد إليه بحكم اولوس چغتاي على الرغم من أن قراهولاكو كان وليا لعهد چغتاي ، وذلك بسبب مخالفة ييسومونككا هذا لمنگوقاآن . ولكن عندما صار منگوقاآن خانا أعظم ، أمر بأن يحكم قراهولاكو الوس چغتاي ، وأن يقتل ييسومونككا . ولكن قراهولاكو لقي مصرعه في الطريق ، إذ قتلته زوجته اورقنه خاتون . ثم حكمت بنفسها عشر سنوات .

بعد ذلك عهد اريق بوكا بحكم ذلك الالوس إلى الغو بن بايدار . فلما ثار الغو على أريق بوكا ، صارت اورقنه خاتون زوجة له . وقد سبق ذكر ذلك . ولم يكن لييسومونككا أولاد .

الابن السادس لجغتاي : بايدار

كان رجلاً قصير القامة ، يجيد الرماية إلى حد كبير . ويقال

إن . . . . .[1] لعب معه ذات يوم ، وقال له : « إن قامتك قصيرة ، فهيا نتبارى في رمي السهام » .

وكان له ولد يدعى الغو . ولالغو هذا ثلاثة أبناء :

الأول ـ قيان .

الثاني ـ چوتي : كان في خدمة القآن ثم مات . وله خمسة عشر ولدا . نذكر أسماءهم فيما يلي :

١ ـ توقتا ٢ ـ يسار ٣ ـ دوكلاس ٤ ـ انجيليبوقا ٥ ـ نوم قولى ٦ ـ بوتو نتاش ٧ ـ آقبوقا ٨ ـ ساتي قوياتميش ٩ ـ داود ١٠ ـ كمپودرچي ١١ ـ چكين تمور ١٢ ـ چيرغوداي ١٣ ـ منكتاش ١٤ ـ كونچك ١٥ ـ دورچي .

الثالث ـ توقتيمور : له ولدان : ايسن بوكا ـ اغروغچي والسلام .

الابن السابع لجغتاي : قداتي

كانت والدته « توكان خاتون » . وكان لقداتي هذا خمسة أولاد : نايا ـ بوقو ـ ناليقوا ـ بوقاتيمور ـ بوقا .

الأبن الثامن لجغتاي : بايچو

كان له ابن يدعى « موچي » . وكان موچي هذا قائداً لقوات القراونة المقيمين على حدود غزنة . وله ابن مسلم يدعى عبد الله . وكان والده يقيم في تلك النواحي . فاستدعاه إليه . وأرسل ابنه « قوتلوق خواجه » بدلاً منه .

---

(١) هكذا في الأصل .

(القسم الثاني) من تاريخ چغتاي خان

في تاريخ وحكايات زمان حكمه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء إبان جلوسه على العرش ، وذكر رعاياه ، وبعض حروبه والفتوح التي تيسرت له ، ومدة حكمه ، وتاريخ وأحوال أسرته حتى الآن

كان چغتاي ملكا عادلا كفئا ومهيبا . وكان والده جنكَيز خان يقول للأمراء : « إن كل من يريد التفقه في معرفة القوانين وأصول الملك ، عليه أن يتبع چغتاي . وكل من يحب المال والثراء ، وأساليب الفتوة والهدوء ، عليه أن يقتدي بأوگتاي . وكل من ينشد الأدب والمعرفة والشجاعة ومتطلبات الحرب من الإمدادات والأسلحة ، عليه أن يلازم تولوي . وعندما كان چنگيز خان يوزع الجنود على أولاده ، أعطى چغتاي أربعة آلاف جندي . كما ورد بالتفصيل في تاريخه في فصل « توزيع الجيوش » . وكان يقود الجنود ، ويستوفي شروط الجد والاجتهاد - وفقا للفرمان - في الإشراف على أمراء « قراچار » من قبيلة « برلاوس » و« موكه » والد بيسون نويان من قبيلة الجلاير ، وعلى الولايات والمواطن في موضع التاي ، والتي كانت موئلا لقبائل « نايمان » . وعلى هذا النحو الذي سبق أن شرحناه ، استولى على الولايات ، ففي خريف « قونين ييل » الموافق شعبان سنة سبع وستمائة (٦٠٧ هـ = ١٢١٠م) عندما عزم چنگيز خان على السير إلى ولاية الخطا ، استولى چغتاي مع اوگتاي وتولوي على الاستحكامات في خمس مدن هي : ١ - اون أوي ٢ - تونك جنك ٣ . - فوچيو ٤ - سوق چيو ٥ - فونك چيو . ثم إنه عندما حاصر مدينة چوچيو ، سقطت في يده .

وفي سنة القرد (سال بوزينه) أرسل چنگيز خان الإخوة الثلاثة إلى سفح

جبل « جوالي » ، ففتحوا كل المدن والولايات والقلاع ابتداء من مدينة « فوچيو » حتى مدينة « خومينك » . ومن هنا ذهبوا إلى نهر قراموران ثم عادوا ، واحتلوا مدينتي « تونك بينك فو » و« ثاي ون فو » وتوابعها ونهبوهما . وكانت الغارات على « تاي وان فو » موكولة إلى چغتاي .

بعد ذلك في شتاء « لوييل » أي « عام الحية » الموافق أول شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة (٦١٦هـ = ١٢١٩م) عندما عزم چنگيز خان على السير إلى بلاد إيران ، وبلغ مدينة أترار ، ترك هناك چغتاي مع أخويه أوگتاي وتولوي ، لمحاصرتها ، فاستولوا عليها . ثم فتحوا بناكت وأكثر بلاد التركستان . وبعد ذلك لحقوا بأبيهم في سمرقند . ومن هناك أرسله چنگيز خان مع جوجي وأوگتاي لمحاصرة خوارزم . ولما لم يتفق مع جوجي ، أمر أبوه بأن يتولى أوگتاي القيادة على الرغم من أنه كان هو الأصغر. فأعاد الوئام بين أخويه بحسن تدبيره وكفاءته . وبهذا استولوا على خوارزم متضامنين . ثم عاد جوجي إلى معسكره .

وفي صيف « مورين ييل » أي « عام الحصان » الموافق سنة تسع عشرة وستمائة (٦١٩هـ = ١٢٢٢م) وصلوا إلى حضرة چنگيز خان في طالقان ، وأدوا له فروض « الخضوع والطاعة »[1] . ثم ذهبوا برفقة أبيهم لتعقب السلطان جلال الدين على ضفاف نهر السند ، فتغلبوا على جيش السلطان ، وعبر النهر منهزما . وخلال ذلك الصيف ، شغلوا بفتح الولايات وما حولها في تلك الجهات ، ثم عادوا إلى حضرة أبيهم في موطنهم ومقامهم الأصلي .

وفي « دقيقو ييل » أي « عام الدجاجة » الموافق سنة اثنتين وعشرين وستمائة (٦٢٢هـ = ١٢٢٥م) لما عزم چنگيز خان على السير إلى ولاية تنكقوت التي كانت قد أعلنت التمرد والعصيان مرة أخرى ، أمر چغتاي بأن يكون على جناح الجيش وراء الجنود . فقام بتلك المهمة وفقا لإشارة أبيه ، إلى أن عاد أخواه : أوگتاي وتولوي اللذان كانا مع أبيهما .

ولما توفي أبوهم ، تعاقب أبناؤه على حمل جثمانه ، حتى أوصلوه إلى

---

(١) ترجمة للكلمة المغولية «اوبجاميشي» (انظر Steingass, P.121.) .

المعسكرات ، واشتركوا جميعا في إقامة مراسم العزاء . ثم ذهب كل واحد منهم إلى مقره ودياره . ولما كان چغتاي يحب من إخوته اوگتاي وتولوي ، سعى سعيا حثيثا فيما يتعلق بإجلاس اوگتاي على العرش ، وبذل الجهود المتواصلة حتى نصب اوگتاي خانا أعظم حسب وصية أبيهم . وقد جثا على ركبتيه تسع مرات مشتركا في ذلك مع تولوي وأقاربه الآخرين ، وأدوا فروض الولاء .

ورغم أنه هو الأخ الأكبر ، فإنه كان يحترم أوگتاي احتراماً تاماً ، ويتحرى دقائق الأدب ، ويرعى ذلك أعظم رعاية . ومن جملة تلك الآداب أنه ذات يوم كان كل منهما ممتطياً جوادا سريعاً ، فقال چغتاي لأوگتاي ، وهو في حالة سكره : « لنتفق[1] على رهان للجواد السابق » . ثم عقدا الرهان وتسابقا . وكان جواد چغتاي أسرع قليلاً ، إذ تقدم على جواد أخيه بمقدار الرأس . وفي الليل شغل چغتاي بتلك الحكاية ، وأخذ يفكر قائلاً : « كيف يجوز لي أن أراهن القاآن، وأن يسبق جوادي جواده ؟! . . . إنه سلوك غير مهذب تماما » .

وجريا على هذا القياس أتجرأ أنا ، ويتجرأ الآخرون فيؤدي هذا إلى الخلل والاضطراب » . وقبيل الصبح استدعى الأمراء ، وقال لهم : « بالأمس وقعت في الإثم ، لأنني أقدمت على مثل هذه الفعلة. فلنذهب إلى حضرة القاآن لكي يدينني ، ويوقع عليّ ما أستحقه من العقاب » . ثم سار مع الأمراء في جمع كبير ، وقدم إلى قصر القاآن قبل الوقت المعهود . فأخبر الحراس أوگتاي قاآن أن چغتاي قد جاء في جمع غفير . ومع أن أوگتاي كان يثق بأخيه ثقة تامة ، إلا أنه أخذ يفكر فيما عسى أن يكون هو الدافع على هذا التصرف . فأرسل أشخاصاً إلى أخيه يستفسرون منه عن سبب حضوره . فقال : « نحن الأمراء الكبار في الأسرة قد أكدنا بالقول ، وشهدنا بالكتابة على أن أوگتاي هو القاآن، وتعهدنا بأن نسلك سبيل الطاعة والخضوع له ، وألا نعارضه بأي وجه من الوجوه . لقد عقدت معه بالأمس رهانا في السباق . فكيف يباح لنا أن نراهن القاآن ؟ وإذن فأنا مذنب . والآن جئت معترفا بذنبي لكي ألقي جزائي . والقاآن هو القاضي والحاكم . له أن يأمر بقتلي أو يضربني بالعصا » .

---

(1) ترجمة للفعل المركب « بارشميشي كنيم » مكون من لفظين : بارشميشي بمعنى موافقة أو صلح أو زينة (انظر تاريخ وصاف ، ص ٧٠٧) + الفعل المساعد كردن .

فخجل أوكتاي من هذا المعنى ، وازداد حبا لأخية وشفقة عليه ، وأبدى تواضعه له لدرجة أنه أرسل يقول : « إنه أخي الأكبر ، وأي شأن لمثل هذه الأمور البسيطة ؟! . . . » ولكن أوكتاي لم يستمع إلى هذا الكلام وفي النهاية ، رضي أن يقال : إن القاآن قد صفح عنه ، وأنقذه من القتل، وأهداه[1] تسعة من الجياد وبخصوص هذا الموضوع صرح الكتّاب قائلين : « إن القاآن قد عفا عن چغتاي حتى يسمع الجميع ، ويعرفوا أن القاآن يتجاوز عن الذنب ، ويبرهن على ذلك بتقديم الهدايا . ثم دخل چغتاي المعسكر ، ونطق بهذا المعنى على رؤوس الأشهاد بفصاحته المعهودة . ولهذا السبب ازداد الوفاق بين الأخوين ، وأذعن للقاآن الأقارب الآخرون ، وسلكوا طريق الطاعة .

وفي عهد أوكتاي قاآن تم فتح كل البلاد التي لم تكن قد فتحت في عهد چنگيز خان . وصارت دعائم الملك في سلالته ، وأوضاع جيوشه أقوى من ذي قبل . ولما كان چغتاي يعيش مع أوكتاي قاآن بهذه الطريقة ، صيّر القاآن ابنه كيوك ملازما لچغتاي ، وادخله في حاشيته ليقوم على خدمته . وقد وصلت عظمة چغتاي إلى درجة تجل عن الوصف . وكان حاكما مقتدرا على رعاياه وجنوده الذين وهبهم له چنگيز خان . وقد سيطر على عرش مملكته في « بش باليق » . وكان أوكتاي قاآن يوفد رسله في كل الشئون الهامة ، ويتشاور بشأنها مع چغتاي ، ولا يشرع في إبرامها بغير مشورته واستصواب رأيه .

وهكذا كان يسلك معه طريق الاتفاق والتعاون في كل الأمور . وكان يدلي برأيه في كل قضية تعرض له ، ويحضر القوريلتاي كلما كان الأمر هاما . وكان جميع الأمراء الأنجال والأمراء يذهبون لاستقباله إجلالا وتعظيما . وكان يدخل على حضرة القاآن ، فيؤدي التحية وضروب الاحترام، ثم يدخل على الحريم.

وعلى هذا النمط من الوفاق والتعاون ، ظل چغتاي مدة ثلاث عشرة سنة ، حكم خلالها أوكتاي بقوة واقتدار . وقبل وفاة أوكتاي قاآن بسبعة أشهر ، أسلم چغتاي الروح سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨هـ = ١٢٤٠ ـ ١٢٤١م) . والسلام .

(١) ترجمة للفعل المركب « تكشميشي كرد » مكون من لفظين : تكشميشي بمعنى هدية ، تحية (انظر تاريخ وصاف ، ص ٦٧١ ؛ Steingass, P.318) + الفعل المساعد كردن .

حكاية الأوضاع التي كان عليها ملك الوس چغتاي بعد وفاته ، وجلوس أفراد أسرته واحدا بعد الآخر حتى هذا التاريخ

بعد وفاة القاآن وچغتاي رغم أن « قراهولاگو » كان ولي العهد لأنه أكبر الأبناء ، كما كان الابن الأكبر لمواتوكان الذي أصابه سهم أرداه قتيلا في قلعة باميان في حياة والده ، وعلى عهد چنگيز خان ، رغم هذا أرسل كيوك خان ييسومونككا الابن الخامس لچغتاي ليحكم الوس چغتاي ، وذلك لأنه كان يخالف منگوقاآن . فلما صار منگوقاآن خانا أعظم ، أمر قراهولاگو بأن يقتل ييسومونككا ، ويصير ملكا على ذلك الألوس بحكم ولايته للعهد .

ولكن قراهولاگو لقي مصرعه في الطريق قبل وصوله إلى الألوس ، إذ قتلته زوجته أورقنه خاتون ابنة تورالچي گوركان من قبيلة أويرات . وبموجب المرسوم ، صارت تحكم بدلا من زوجها .

ولما توفي منگوقاآن ، أرسل « قوبيلاي قاآن » « ابيشغه »[1] الذي كان الابن الأكبر لبوري ، الابن الثاني لمواتوكان ، أرسله ليقبض على « اورقنه خاتون » ، وليكون حاكما على الوس چغتاي مكان « قراهولاگو » . ولما كان الخلاف قائما - في ذلك الوقت - بين قوبيلاي قاآن واريق بوكا ، أعتقل جند أريق بوكا « ابيشقه » في الطريق ، وحمله إلى أريق بوكا . فأمر هذا « اسوتاي ابن منگوقاآن » بقتله . وكان الغو بن بايدار الابن السادس لچغتاي موجودا عنده ، فأصدر إليه أمرا بأن يكون ملكا على الوس چغتاي ، ويحافظ على الحدود من هجوم جيش قوبيلاي قاآن وجيش أسرة جوجي ، ويحصل الأموال والمؤن ومستلزمات الجيش من ولاية التركستان ، ثم يرسلها إليه حتى يتفرغ هو للسير بجيشه إلى قوبيلاي قاآن . فأوصل الغو المرسوم إلى بايدو ، وتوطد مركزه في الحكم . ثم ذهبت أورقنه خاتون إلى أريق بوكا ، وشكت إليه كثيراً من « الغو » ، وظلت هناك فترة .

وبعد مدة أرسل أريق بوكا الرسل إلى تلك المناطق ليستولوا على دابتين

---

(١) يكتب أيضا ابيشقه

من كل عشر دواب ، ويعدوا للجيش الأموال والأسلحة الوفيرة . وأسماء هؤلاء الرسل : « أبـوكان كون » ـ « بوريتاي بيتكچي » و« شادي » . فذهب هؤلاء وأبلغوا « الغو » المرسوم ، وصاروا يعدون الدواب والأسلحة والأموال في الولايات . فلما انتهت مهمة بعضهم ، شرعوا في الرحيل .

وفي شهور سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١ هـ = ١٢٦٢ ـ ١٢٦٣م) احتجزهم الغو ، وقال لهم : « عندما يصل بقية الأتباع بعد إنجازهم العمل ، ارحلوا معاً » . فلما وصل هؤلاء بعد مضي بعض الوقت ، عاتبوا أتباعهم قائلين : « لماذا توقفتم عن المسير؟! . . . » فأجابوا : « لقد منعنا الغو » . فجاءوا إلى بلاطه ، وأرسلوا يقولون : « إننا جئنا بناء على مرسوم أريق بوكا ، وحصلنا الأموال . فأي حكم لك علينا حتى تمنع أتباعنا ؟! . . . » ولما كان الغو يطمع في تلك الأموال ، غضب من الكلام الفظ الذي قاله الرسل ، فاعتقلهم وقيدهم . ثم تشاور مع أمرائه متسائلا : « ما هي المصلحة التي يقتضيها هذا الموقف ؟ » . فأجابوا : « كان ينبغي أن تكون المشورة قبل إلقاء القبض على الرسل . والآن ما دمنا قد تمردنا على أريق بوكا ، فإن من الأفضل أن نخرج عليه تماما ، ونرحل إلى قوبيلاي قاآن » . عندئذ قتل « الغو » الرسل ، واستولى على تلك الأموال والأسلحة . ولهذا السبب عظم شأنه . وكانت اورقنه خاتون قد عادت ، فتزوج منها ، وسيطر سيطرة تامة على عرش الوس چغتاي .

فلما بلغ هذا الخبر أريق بوكا ، قاد الجيش قاصداً الغو ومحاربا ، فهزم أريق بوكا مرتين . وفي المرة الثالثة حلت الهزيمة بالغو ، وقدم إلى بخارى وسمرقند ، وأخذ الأموال والأسلحة والدواب من الأثرياء وأعطاها جنوده . ثم نهب أريق بوكا معداته ، وعاد من تلك الجهات بعد مضي عام لصد جيوش القاآن .

وفي السنة التالية أي سنة اثنتين وستين وستمائة (٦٦٢هـ = ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤م) . توفي « الغو » .

ولما كان الأمراء والجند تحت إمرة « اورقنه خاتون » ، أجلست ابنها مباركشاه بن قراهولاكو على عرش السلطنة . وكان الجند ينهبون ويتمردون جريا على عاداتهم السابقة . وعندما أسلم مباركشاه ، لم يكن ليسمح بأن يلحق جور

بالرعايا . وعندما ذهب أريق بوكا إلى حضرة القاآن بسبب عجزه واضطراره ، وخمدت الفتنة في تلك الولاية ، أرسل القاآن براق بن ييسون توا الابن الثالث لمواتوكان ليحكم أولوس چغتاي . وكان براق ملازما لحضرة القاآن مدة من الزمن . ثم أصدر قوبيلاي قاآن مرسوما بأن يحكم ذلك الألوس مباركشاه وبراق .

وعندما وصل براق إلى هناك ، ورأى مباركشاه واورقنه خاتون قد توطد مركزهما في الحكم ، وقوي شأنهما لم يظهر المرسوم ، وقد سأله مباركشاه قائلاً : « لماذا جئت إلى هنا ؟ فأجاب : « إنني ظللت مدة بعيدا عن الألوس والديار ، وقد تفرق أهلي وأتباعي وتشتتوا . والآن استأذنت ، وقدمت إلى هنا لأجتمع بالحامي والصديق ، وأكون معكم » . فأعجب مباركشاه بذلك الكلام ، وظل براق يعيش معه . بدهائه وكفاءته . وأخذ يجمع الجند حوله من كل ناحية . وفجأة اتحد معه أمير بيتكچي من خواص مباركشاه . وكذلك بعض من جنوده ، وأقالوا مباركشاه من منصبه ، وصار براق الحاكم المطلق . وقد وصل الأمر بمباركشاه إلى حد أن براق جعله قائدا لحرسه .

ولما كان قايدو موافقا لأريق بوكا ، ومتفقا معه ، وكان قد تخلف وتقاعد عن الذهاب إلى حضرة القاآن ، أرسل القاآن براق لمهاجمة قايدو . فلما وجد من نفسه القوة ، زحف بجيشه قاصدا قايدو فتحاربا ، وانهزم براق في المرة الأولى .

وعندما استأنفا القتال في المرة الثانية ، توسط قپچاق أغول بن قدان أغول ابن أوگتاي قاآن الذي كان صديقا لبراق ، فأصلح بينهما ، وعقد معهما العهد والميثاق ، وتحالفا معا . وبذلك أمن براق جانبه أيضاً ، وقوى مركزه ، وجلس مستقرا على عرش اولوس چغتاي .

بعد ذلك عقد مجلس الشورى مع قايدو ، وقال له : « إن جنودنا قد تكاثروا هنا ، ولم يعد يسعهم هذا الإقليم . فأنا سوف أعبر النهر ، لاستولي على ولاية خراسان . فيجب أن يمدني « قايدو انده » بالمساعدة » . ولما كان قايدو يريد أن يغادر براق تلك الجهات ، وكان متنازعاً مع آباقاخان ، أبدى موافقته

على ذلك العرض ، وعين قپچاق أغول وچباط أغول بن ناقو بن كيوك خان لكي يسير كل منهما مع جيش لمساعدة براق .

ثم قاد براق الجيش ، وعبر النهر ، ونزل بنواحي مرو . وعندما بادر توشين أخو آباقاخان بالقتال ، فر من المعركة « أمير الهزار »[1] المدعو شجكتو بمجرد أن سمع أن قپچاق قدم مع براق ، فذهب إليهما ، وقال : « انني باجاور مع أتباع قپچاق » .

ثم قدم للمليكه جيادا أصيلة هدية له . بعد ذلك قال له قپچاق : « أحضر عدة جياد ، وقدمها هدية لبراق » . ففعل شجكتو ذلك . وفي اليوم التالي ، وفي معسكر براق ، قال چلايرتاي لقپچاق : « إن براق قد حضر مع عدة آلاف من الجند ، ليقاتل من أجلك » . فقال قپچاق : « ماذا حدث ؟! . . . » فأجاب : « ماذا سوف يحدث أكثر من هذا ؟! . . . إذا كان شجكتو باجوريا ، ومن أتباعك ، فلم لم يحضر إليك طوال هذه المدة ؟! . . . لقد جاء هنا إلى عظمة براق ، فحملته أنت إليك ، وأخذت منه الجياد الأصيلة التي كانت تليق ببراق . وما كان يليق بك ، أمرت به لكي يهدي إلى براق » . فرد عليه قپچاق قائلاً : « من أنت حتى تتدخل بين الأمراء الكبار من أفراد الأسرة ؟! . . . » فأجاب : چلايرتاي : « إنني عبد لبراق ، ولست عبدا لك بحيث تقول لي : من أنت ؟ » . فقال قپچاق : متى كان لأفاق أن يستجوب أحد أفراد أسرة چنگيز خان ، بحيث تتجرأ أنت أيها الكلب ، وتجيبني بأجوبة غير مؤدبة ؟ » . فقال چلايرتاي : « إذا كنت كلبا ، فإني كلب براق ، ولست كلبك . فاحترم نفسك ، وامض في طريقك » . فثار قپچاق ، وأخذته الحمية ، وقال له : « أتجادلني . لأقدنك نصفين . ولن يقول لي براق آقا شيئاً من أجلك » . فمد چلايرتاي يده إلى خنجره ، وقال : « إذا اعتديت علي ، فإني أمزق بطنك » .

فلما بلغ الموقف هذا الحد ، ولم يتفوه براق بكلمة ، عرف قپچاق أنه يقف إلى جانب چلايرتاي . فغادر معسكر براق غيرة وحمية ، ثم تشاور مع جنوده ،

---

(١) أي أمير فرقة مكونة من ١٠٠٠ جندي .

وأخلى معسكره فيها وراء « مروچوق » ، وفر بجنوده ، وعبر النهر . وعندما علم براق بذلك ، أرسل أخاه يسار ونيكبي اغول في إثره ، ومن ورائهما ، سيّر چلايرتاي مع ثلاثة آلاف فارس ، كما سبق شرح تلك الحكاية في نهاية سلسلة براق . وبعد ذلك هرب أيضاً چباط مع جنده ، وذهب إلى قايدو .

وقصاري القول أن براق قد هزم ، وقتل أكثر جنوده على يد جيش آباقاخان ، وتشتت القليل الذي بقي منهم . فرحل براق إلى بخارى منهزماً ، ثم اعتراه المرض بسبب الحزن والحسرة . وعلى الرغم من ذلك ، سار في محفة قاصداً أحمد أوغول بن بوچي بيه الذي تخلف عن مساعدته . ثم أوفد يسار برسالة إلى قايدو يقول فيها : « إن طائفة الأولاد قد قصروا فيما يتعلق بمعاونتي . ولهذا السبب انهزمت جيوشنا . وسوف أتعقبهم على الرغم من ضعفي . فلو أمدني « انده » أيضاً بالمساعدة ، فإننا نقبض عليهم ونجازيهم » .

وكما سبق أن ذكرنا اعتقل « قايدو » « يسار » وقيده . ثم تحرك مع جيشه تحت ستار المدد لكي يقضي على براق نهائيا ، ولتأكده من أنه أصبح ضعيفا . وعندما قبض رجاله على أحمد أغول وقتلوه ، ندم براق بسبب استدعائه قايدو ، فأرسل إليه شخصاً يقول : « لا داعي لأن يتعب قايدو انده نفسه ، فليعد » . ولكن قايدو لم يستمع إلى ذلك الكلام ، واستمر في سيره إلى أن نزل بالقرب من معسكر براق ، وحاصره كما ذكر في سلسلة براق . وقد توفي في نفس تلك الليلة . وفي اليوم التالي ، قدم قايدو عزاءه ودفنه .

بعد ذلك حضر إلى قايدو الأمراء والأمراء الأنجال الذين كانوا في معسكر براق ، وجثوا على ركبهم تحية له ، وقالوا : « إن براق كان حاكمنا حتى هذه اللحظة . أما الآن فقايدو هو سيدنا ومليكنا . وسوف نرحل كما يأمرنا » . فشملهم قايدو بعطفه ، ووزع أموال براق على جنده . ثم شد رحاله ، وعاد إلى موطنه .

بعد ذلك تمرد « بيكتيمور » الابن الأكبر لبراق وچوتاي وقيان ابنا « الغو » ، وذهبوا إلى حضرة القاآن . كذلك انضم إلى حضرة القاآن چباط حفيد أوكتاي مع جمع من الأمراء . ثم قدم مبار كشاه بن قراهولاكو إلى حضرة

آباقاخان ، فحظي لديه بالإعزاز والتكريم . ونصب قائدا لجنود نكودار الذين كانوا يقيمون في جهات غزنين .

وبعد وفاة براق ، ولي ابن عمه نيكبي بن ساربان حكم ذلك الالوس . وظل يحكم ثلاث سنوات . وبعد ذلك سلم قايدو الملك لبوقاتيمور بن قداتي الابن السابع لجغتاي . فحكم مدة من الزمن إلى أن مرض بداء الثعلب ، وتساقط شعر رأسه ولحيته ، ومات بذلك الداء . فقلد قايدو بعد ذلك دوا بن براق حكم ذلك الالوس . وهو الحاكم الآن ، ولكنه عليل ومريض ، إذ أنه جرح في العام الماضي . كما جرح قايدو عندما كانا يحاربان جيش القاآن . أما قايدو فقد توفي متأثرا بجراحه . وأما دوا فقد مرض بسبب ذلك الجرح ، وعجز عن مداواته .

حكاية في ذكر نائبي چغتاي : « وزير » و« حبش عميد »[1]

كان لجغتاي وزيران : اسم أحدهما « وزير » واسم الآخر « حبش عميد » . أما وزير فتتلخص أحواله في أن أصله من الخطا ، وكان يعمل في خدمة طبيب خطائي من الملازمين لجغتاي . وبعد وفاة ذلك الطبيب ، صار « وزير » راعياً لـ « قوشون نويان » من أمراء چغتاي .

« وقوشون نويان »[2] من قبيلة الجلاير ، وكان شيخاً مجرباً ، ومطلعاً على الأحداث السالفة . وقد اتفق ذات يوم أن أخذ چغتاي يسأل « قوشون نويان » هذا عن أحوال چنگيزخان ، وعن الولايات التي كان يفتحها في كل عام . ولما لم يكن حاضر الذهن جيداً ، ذهب إلى داره ، وأخذ يستفسر من كل شخص من أتباعه عن كيفية هذه الأحوال ، فذكروا له ما كانوا يعلمونه ، وتصادف أن هذا الخطائي الذي يعمل راعياً له ، كان يصغي إلى ما يقال من خارج المنزل ، ويبين ما في تلك الأقوال من صدق وكذب ، بصوره وضحت لتلك الجماعة ، فصاروا يقرون كل ما قاله . ثم استدعاه قشون إلى داخل منزله ، وسأله :

---

(١) اسمه بالكامل . « حبش عميد الملك » وزير چغتاي بن جنگيزخان (انظر تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢) .

(٢) يكتب أيضا قشون .

« كيف توفر لك الوقوف على هذه المعلومات ؟!... » فأخرج دفتراً كان قد دون فيه جميع القضايا والتواريخ السالفة التي كانت مطلوبة يوماً بعد يوم . فابتهج قوشون ، واصطحب « وزير » ومعه الدفتر إلى حضرة چغتاي .

ولما كان چغتاي يعشق المعارف والحكم إلى حد كبير ، استحسن ذلك الكلام ، وطلب ذلك الخطائي من قشون ، وضمه إلى حاشيته . وفي مدة وجيزة صار جريئاً للغاية في خدمة چغتاي . كما أصبح محترماً ومشهوراً . وقد عرف القاآن فيه الذكاء ، فأعجب به . ولما وجده مقرباً لدى چغتاي ، أطلق عليه اسم « وزير » .

كان هذا الرجل قصير القامة ، حقير المنظر ، لكنه شجاع جداً ، حاد الذهن ، ذكي الفؤاد ، فصيح اللسان . له قدرة تامة على الأكل والشرب . وقد بلغت مرتبته أسمى الدرجات إلى حد أنه كان يتصدر أكثر الأمراء . وكان أكثر من الجميع جرأة على الكلام في حضرة چغتاي إلى درجة أنه ذات يوم شرعت زوجة چغتاي تتحدث عندما كان الوزير يعرض وجهة نظره . فأخذ الوزير يصرخ قائلاً : « إنك سيدة ، ولا يجوز لك الكلام في هذا الموضوع » . كذلك اتهمت إحدى كنائن چغتاي بأنها على علاقة مريبة بأحد الأشخاص . فقتلها « وزير » دون استشارة چغتاي . وعندما علم چغتاي بذلك ، قال له « وزير » : « كيف يجوز لكتك أن ترتكب عملاً شائناً ، وتسيء إلى سمعة السيدات الأخريات ؟!... » فاستحسن چغتاي منه ذلك .

ولما كانت العادة المتبعة في ذلك العهد أن تسجل كل كلمة يقولها الملك يوماً بعد يوم . وكان أكثر الكلام يقال مسجعاً مبهماً . وكان كل واحد يختار أحد المقربين ليسجل له كلام الملك . وكان « وزير » المذكور يسجل كل ما يتعلق بچغتاي . وكان للقاآن نائب من الأويغور يدعى « چينكقاي »[1] . وذات يوم سأل القاآن « چغتاي » : « أوزيرك أفضل أم وزيري ؟!... » فأجاب چغتاي : « لا بد وأن يكون چينكقاي أفضل » .

---

(١) يكتب أيضا چينقاي كان نصرانيا أو يغوريا ، وأحد أركان الدولة المشهورين في عهد أوگتاي قاآن وكيوك خان (انظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩) .

وذات يوم كان كلاهما يقول الحكم ويضرب الأمثال في إحدى المآدب ، فحفظ الخطائي ذلك الكلام ، وغادر المجلس ليسجل ما حفظه . كذلك دوّن كلام چغتاي والقاآن . ثم اختبرا الوزير الخطائي ليعرفا ما إذا كان يستطيع أن يسجل هذه الأقوال أم لا . وكان الوزير مشغولاً بالكتابة . وكان منگوقاآن يمر عليه ، ويتحدث إليه . فقال الوزير : « لا تشوش عليّ تفكيري حتى أكتب ما سمعته » . وبعد أن أحضر ما كتبه ، وقرأه القاآن وچغتاي ، تبينّ لهما أنه مطابق لما كان قد دوّن ، وأنه أحاط بكلامهما ما عدا قليلاً من التقديم والتأخير في كلام القاآن . وقد أنصف القاآن حين قال : « إن الحق في جانب چغتاي » إذ أن وزيره أفضل من وزيري » .

وهكذا استمر مقام « وزير » على هذا النحو من الشهرة طيلة حياة چغتاي . ويقال إن چغتاي كتب مرسوماً في عهد أوگتاي قاآن ، يفوض فيه بعض بلاد ما وراء النهر التي كانت في يد يلواج بأمر القاآن - إلى شخص آخر . فعرض يلواج ذلك الموضوع على حضرة القاآن . فأرسل أوگتاي مرسوماً إلى چغتاي للتحقيق فيما حدث ، وكلفه بأن يكتب الرد ويوافيه به . فكتب چغتاي في الجواب : « لقد فعلت هذا عن جهل ، وبغير هدى . وليس لديّ أي جواب أستطيع كتابته . لكن لأن القاآن قد أمرني بالكتابة ، تجرأت وكتبت هذا القدر » . فاستحسن القاآن إجابته ، وقبل عذره ، ومنح چغتاي ملكية تلك الولاية .

بعد ذلك قدم « يلواج » إلى حضرة چغتاي ، فآخذه وسبه . ثم قال « يلواج » للوزير : « إن لي معك كلاماً في الخلوة » . فلما جلسا على انفراد ، قال للوزير : « أنا نائب القاآن ، فلن يستطيع چغتاي قتلي دون استشارته . أما إذا أنا شكوتك إلى القاآن ، فسوف يقتلك . فأنت إذا تداركت أمرك ، ولم تتعرض لي بسوء فيها ، وإلا فسأشي بك في حضرة القاآن . ولو تفوهت بهذا الكلام في حضرة چغتاي ، فسوف أنكره مهما سئلت عنه . وليس لك عليّ أي شاهد » . ولهذا السبب اضطر الوزير أن يراجع نفسه ، وكف عن الكيد ليلواج .

وهكذا فإن حكايات هذا الوزير كثيرة ، ولكننا اقتصرنا على إيراد

بعضها . وقد صرح هذا الوزير ـ عدة مرات ـ لجغتاي بقوله : « إنني لم أدع لك أي شخص من الأصدقاء . ولهذا فلن يرحمني أحد من بعدك » . فلما توفي جغتاي ، قضي على الوزير بتهمة أنه سقى جغتاي سماً .

وأما عن حال « حبش عميد » فيتلخص في أنه كان رجلاً مسلماً ، عمل كاتباً لدى جغتاي ، وكان أصله من أترار .

بداية تاريخ تولوي خان بن چنگيز خان

تاريخ تولوي خان على ثلاثة أقسام :

القسم الأول ـ في تقرير نسبه ، وذكر زوجاته وأبنائه وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا التاريخ ، وصورته وجدول فروع أبنائه وأحفاده . ما عدا أولئك الذين ولدوا من أبناء ، وكانوا ملوكاً ، فسيكون لكل منهم تاريخ مستقل .

القسم الثاني ـ في سيره وحكاياته غير ما كان ضرورياً ذكره في تاريخ والده وأخيه ، وإيراد مجمل له ، وصورة العرش والخواتين ، والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه ، وذكر الحروب التي قام بها ، والولايات التي فتحها ، والفتوحات التي تيسرت له ، ومدة حكمه .

القسم الثالث ـ في سيره وأخلاقه الحميدة ، وأحواله والحكايات المتفرقة ، والأمثال والحكم السديدة التي تكلم ونصح بها مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقاً وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص .

القسم الأول

في تقرير نسبه ، وذكر زوجاته وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، ما عدا أولئك الذين ولدوا من أبناء ، وكانوا ملوكاً فسيكون لكل منهم تاريخ مستقل بعون الله وتوفيقه .

تولوي خان هو الابن الرابع لجنگيزخان ، وأصغر أنجاله الأربعة المشهورين الذين كانوا يسمون « جهار كولوك » يعني أنهم بمثابة الأركان الأربعة . وأمه زوجة جنگيزخان الكبرى « بورته فوچين » ، والتي كانت أيضاً أماً « للإخوة الثلاثة الكبار »[1] . وكان لقب تولوي « يكه نويان » و« الغ نويان » يعني « الأمير الكبير » . وقد اشتهر بهذا اللقب . وكان جنگيز خان يدعوه « نوكار » . ولم يكن له نظير في الشجاعة والبطولة وسداد الرأي والتدبير . وقد خطب له والده في صغره ابنة چاكمبو أخي أونك خان ملك قبائل كرايت ، واسمها سيور قوقتيني بيگي . وكانت أعظم وأحب الزوجات إلى تولوي خان وأمّاً لأبنائه « الأربعة المشهورين »[1] ، الذين كانوا بمنزلة الأركان الأربعة للبلاد مثل الأبناء الأربعة لجنگيزخان .

كان لتولوي غير سيور قوقتيني بيگي زوجات ومحظيات . كما كان له عشرة أبناء نذكرهم على هذا التفصيل والترتيب :

الأول - منگوقاآن .
الثاني - جوريكه .
الثالث - قوتوقتو .

(١) المقصود جوجي - چغتاي - أوگتاي .
(١) المقصود منگوقاآن - قوبيلاي قاآن - اريق بوكا - هولاگوخان .

الرابع - قوبيلاي قاآن .
الخامس - هولاگوخان .
السادس - أريق بوكا .
السابع - بوچك .
الثامن - موكه .
التاسع - ستوكاتاي .
العاشر - سبوكتاي .

للابن الأول لتولوي خان - منگوقاآن

ولد من سيور قوقتيني بيگي ، وسنورد تاريخه على حدة لأنه كان ملكاً . وفي هذا التاريخ ، سوف نتناول فروعه بالشرح والتفصيل .

الابن الثاني لتولوي خان - چوريكه

ولد من زوجة اسمها « ساروق خاتون » . وقد توفي في شبابه . وليس له أولاد .

الابن الثالث لتولوي خان - قوتوقتو

ولد من لينقوم خاتون ، ولم يكن له أولاد . لكن له بنت واحدة اسمها « كلميش آقا » زوجت من « سالچيداي گوركان » من قبيلة قونقرات . وكان ذلك الأمير يعيش لدى ملك الوس جوجي خان . ثم توفي في سنة إحدى وسبعمائة (٧٠١ هـ = ١٣٠١ - ١٣٠٢ م) أما « كلميش آقا » فلا زالت على قيد الحياة . ويجلها توقتا وبقية الأمراء إلى حد كبير . ولأنها من سلالة تولوي خان ، تواصل حبها لسلطان الإسلام . وهي توفد إليه الرسل في كل حين ، وتخبره بالأحداث التي تقع في تلك البلاد . وبجهودها توطدت روابط الصداقة بين توقتا وبقية أعقاب جوجي خان ، وبين أفراد أسرة تولوي خان ، فحالت بذلك دون وقوع الفتن والخصومات . وفي الوقت الذي اتفق فيه أبناء عمها في الجيش ، وقبضوا على نوموغان بن قوبيلاي ، وأرسلوه إلى مونككا تيمور ملك الوس جوجي خان ، سعت « كلميش آقا » سعياً حثيثاً حتى أرسلته في صحبة بعض الأمراء الأنجال والأمراء الكبار في إعزاز تام إلى حضرة أبيه قوبيلاي قاآن

كما شرح في تاريخ جوجي . وإن الوحشة التي كانت بين توقتا ملك الوس جوجي وبين نوقاي بن تاتار الذي كان قائداً لجيش الميمنة لذلك الاولوس ، والذي بمساعدته صار توقتا ملكاً ، والحروب التي وقعت بينهما ، إنما كانت بسبب زوجها سالجيداي گوركان كما سبق ذكره في تاريخ جوجي مما أدى إلى قتل نوقاي ، وانقراض أبنائه . والسلام .

الابن الرابع لتولوي خان ـ قوبيلاي قاآن

ولد من الزوجة الكبرى سيور قوقتيني بيگي . وسنورد تاريخه على حدة ، لأنه كان خانا أعظم ، ونذكر فيه فروع أبنائه .

الابن الخامس لتولوي خان ـ هولاگوخان

ولد أيضاً من الزوجة الكبرى المذكورة . وكان ملكاً عظيماً ، صاحب القران . وكانت أحواله حسنة مثل أحوال جده چنگيزخان . وكان من نسله الملوك العظام الذين كانوا ، ولا يزالون في إيران والممالك الأخرى حتى هذا التاريخ . وخلاصة تلك الأسرة ونقاوتها ، وزبدة أركانها ، هو السلطان الحامي للدين ، الناصر لدين الله « غازان خان » ـ خلد الله ملكه ـ فقد وضع في المقدمة من بين أبنائه خصوصاً ، ومن بين الأمراء الأنجال عموماً مثل هذا السلطان الميمون الطلعة ، المبارك الأثر .

شعر

لتسطع شمس دولته . . . ،
وليبق ظله ، وليدم شخصه .

وسوف يأتي ذكره ، وذكر فروعه في تاريخه على حدة .

الابن السادس لتولوي خان ـ اريق بوكا

ولد أيضاً من الزوجة الكبرى المذكورة . ولأنه ظل مدة ينازع قوبيلاي من أجل العرش والقاآنية ، ووقعت بينهما معارك عديدة ، وتقاتلا عدة مرات ، جاء ذكر تاريخه وحكاياته ضمن تاريخ قوبيلاي . لكننا نذكر فروع أبنائه في هذا الموضع .

كان لأريق بوكا خمسة أبناء على هذا الترتيب :

الابن الأول - يوبو قور .
الابن الثاني - ملك تيمور .
الابن الثالث - قوتوقا .
الابن الرابع - تاماچي .
الابن الخامس - نايروبوقا .

الابن السابع لتولوي خان - يوچك

ولد من . . .[1] وكانت له زوجات ومحظيات كثيرات ، أنجب منهن أبناء . وكان خليفته يدعى « سبلكر » ، لأن له مائة ولد . وفي هذا الوقت يعيش أبناؤه لدى تيمور قاآن . وإلى الآن لم تعرف أسماؤهم على وجه الحقيقة . ونحن نذكر حالياً من هم معروفون منهم :

١ - صاين بغا : له ولدان : داشمن - ايلاودار .
٢ - جاوتو : له ولد واحد اسمه توراتيمور .
٣ - تكشي : ابنه غير معروف .
٤ - توبشين : له أربعة أولاد : پلتاچار - سوت - بكتاي - برلغي .

الابن الثامن لتولوي خان - خان موكه

له ولدان : الابن الأول - چينكتوم .
الابن الثاني - ابوكان .

الابن التاسع لتولوي خان - سوتوكتاي

ولد من . . .[2] وكان له ابن يدعى توقتيمور ، يمتاز بالشجاعة الفائقة ، ويجيد الرمي بالسهام إجادة تامة . وفي الحرب كان يمتطي جواداً أبيض .

وكان يصرح قائلاً : « إن الناس يختارون الخيول السوداء ، أو ذات الألوان الأخرى حتى لا تظهر عليها الدماء ، ولا يتغلب عليهم الخصوم . أما أنا

(١) هكذا في الأصل .
(٢) هكذا في الأصل .

فأختار الجواد الأبيض لأنه إذا كانت الحمرة هي زينة النساء ، فكذلك دم جراح الفارس ، والدم الذي يراق على سرج الجواد وجسمه ، ويشاهد من بعد هو زينة الرجال وحليتهم » .

ولفرط شجاعته ، كان تفكيره يتجه إلى إثارة كثير من الفتن والقلاقل . وعندما أخذ قوبيلاي يرسل نوموغان مع جيش « درسو » في صحبة الأمراء الأنجال إلى قايدو ، كان توقتيمور هذا معهم . وهو الذي حرض الأمراء الأنجال على اعتقال نوموغان كما سيأتي شرح تلك الحكايات في تاريخ قوبيلاي قاآن .

الابن العاشر لتولوي خان - سبوكتاي[1]

وإن صورة تولوي خان ، وجدول فروع أبنائه على هذه الهيئة .

---

(١) يبدو أن كلاما ساقطا هنا من نسخة الأصل

(القسم الثاني)

في تاريخه وحكاياته غير ما كان ضرورياً ذكره في تاريخ والده وإخوته ، وإيراد مجمل له ، وصورة العرش والزوجات والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه ، وذكر الحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له ، ومدة حكمه .

كان تولوي خان يلازم والده في أغلب الأوقات . وكان چنگيز خان يستشيره في كل الأمور والمهمات والمصالح الرئيسية والفرعية ، وكان يدعوه « نوكار » . وكان يشرف على موطن چنگيز خان ومعسكراته وأمواله وخزائنه وذخائره وأمرائه وحرسه الخاص ، إذ أنه من عادة المغول والأتراك من قديم الزمن ، أن يختاروا - أثناء حياتهم - لأبنائهم الكبار الأموال والقطعان والأتباع ، ويرسلونها إليهم . وما يتبقى يكون للابن الأصغر . ويدعى « اوتچگين » يعني الابن الذي يختص بالنار ومواقدها . وهذا إشارة إلى أنه عميد الأسرة . وكلمة « اوت » في الأصل الاصطلاحي عند الأتراك بمعنى « النار » «وتيكين» بمعنى « أمير » فيكون المقصود « أمير النار » أو « رئيسها » . ولما لم تكن كلمة « تيكين » تنطق نطقاً صحيحاً باللهجة المغولية ، صاروا ينطقونها « أوتچگين » ، وينطقها البعض « أوتچي » . لكن أصل الاصطلاح وحقيقته هو ما قررناه .

وكان چنگيزخان على وشك أن يفوض إليه منصب القاآنية وعرش الملك ، فيجعله ولي عهده . ولكنه عدل عن هذا التفكير ، وقال لتولوي : « إنك إذا توليت هذا المنصب لتشرف على مقري ومعسكراتي وجيوشي وخزائني ، فإن ذلك أفضل لك ، وتكون فارغ البال أكثر من ذي قبل . وعاقبة الأمر فإنه عندما يكثر جنودك ، يصير أبناؤك أقوى حالاً وأعظم شأناً من جميع الأمراء الآخرين » . ولكن لما كان چنگيزخان يشاهد على ملامحه آثار الإقبال

ومخايل السعد كان يجول بخاطره أن الأمر سيئول إلى أن يتقرر له الملك والسلطان . كما شعر الجميع بذلك .

وحيث أنه قد ورد بالتفصيل ذكر كافة الجيوش وأمراء التومان والهزارة في الميمنة والميسرة في آخر تاريخ چنگيزخان ، فإنه يتضح من ذلك ما منحه چنگيزخان لأبنائه الآخرين ، وما منحه لإخوته ، ومن هؤلاء وأولئك . وما لم يوزعه ، اختص به تولوي خان . وإن هؤلاء الجنود والأمراء يئولون ـ حسب القرار السابق ـ إلى أبناء تولوي خان على سبيل الميراث . كما يشاهد ذلك برأي العين . ما عدا البعض الذي تشتت ـ على الرغم منه ـ في كل ناحية ، ولدى كل أمير ، وذلك بسبب الفتن والقلاقل . أما الباقون فبعضهم في خدمة حضرة القاآن ، وبعضهم في خدمة سلطان الإسلام ـ خلد سلطانه ـ.

وكان تولوي مظفراً في الحروب ظفراً عظيماً ، ولم يتيسر لأي أمير من الأمراء من الفتوحات العديدة مثلما تيسر له . ونحن نذكر مجملاً لما حدث له في حياة أبيه كما نذكر بعضاً مما وقع بعد وفاته . فعندما سار چنگيزخان قاصداً فتح ولاية الخطا ، وصل إلى مدينة « تاينفو » التي كانت كبيرة جداً ، ومكتظة بالسكان الذين كانوا ذوي قوة وشوكة .

ولم يكن هناك شخص يجرؤ على الاقتراب منها . فأرسل چنگيزخان « تولوي خان » مع « چيگو گوركان بن الچونويان » من قبيلة قونقرات على رأس جيش ليقاتلوا ، فتسلقوا الأبراج ، واستولوا على المدينة . ثم حاصروا مدينة « جوجيو » وفتحوها » .

كذلك أنفذ چنگيزخان الجيوش يمنة ويسرة مع أنجاله الكبار والأمراء . وسار هو مع تولوي خان في القلب المسمى « قول » حتى مدينة « يي چيو » وفتحوا كل مدينة وولاية كانت تقع عبر الطريق وخربوها . وكانت أسلاب مدينة « چينك دين فو » ـ وهي من المدن الكبيرة في ولاية الخطا ، وتعرف عند المغول بـ « چغان بلغسون » ـ من نصيب تولوي خان . وهذه الأسلاب التي استولى عليها تولوي خان من تلك الولاية آلت إلى أفراد أسرته بالميراث والتقسيم . وهي كلها معروفة في الخطا ودشت القپچاق والولايات الأخرى . وإن ما يملكه القاآن في الخطا لم يزل باقياً . وكذلك ما يملكه من الخواتين

والأموال ، وما كان من نصيب هولاكوخان وأبنائه ، كل ذلك أمر به تولوي خان لكي يحفظ ويصان ، على أن يرسل إليهم عندما يجدون الطريق ممهداً والفرصة سانحة .

ولما عادوا من ممالك الخطا ، عزم چنگيزخان على المسير إلى إيران . فلما بلغ أترار ، ترك جوجي وچغتاي وأوگتاي لمحاصرة خوارزم وفتحها . وقدم تولوي خان إلى حضرته في بخارى ، واستولوا عليها . ومنها ساروا إلى سمرقند وفتحوها مع سائر الولايات . ثم قدموا من هناك إلى نخشب وترمذ . ومن « تيمور قهلقه » الواقعة على حدود « بدخشان » أرسل « چنگيزخان » تولوي خان لفتح بلاد خراسان . فسار في الشتاء ، واستولى - في مدة ثلاثة أشهر - على « مرو » و« مروچوق » و« سرخس » و« نيسابور » وكل تلك البلاد . ثم عاد وقت الربيع من نيسابور حسب فرمان چنگيزخان . وفي الطريق فتح قهستان وسائر الولايات وهراة . ثم بلغ حضرة چنگيزخان في طالقان في الوقت الذي كان قد استولى فيه على قلعتها ، وصار يخربها .

وفي صيف ذلك العام سار تولوي خان في صحبة أخويه چغتاي وأوگتاي ، وفي خدمة أبيهم لتعقب السلطان جلال الدين حتى شاطىء نهر السند ، وتغلبوا على جيش السلطان . فعبر النهر منهزماً .

بعد ذلك رجعوا من هناك ، وجاءوا إلى موطنهم القديم ومعسكراتهم . ولما سار چنگيزخان بعد ذلك قاصداً ولاية تنكقوت ، ترك چغتاي على رأس قوة لحراسة مؤخرة الجيوش . وكان أوگتاي وتولوي كلاهما في خدمة أبيهما إلى أن طرأت عليه أعراض المرض . وكما سبق أن ذكرنا في تاريخه ، اختلى بولديه ، وأوصى وصيته .

ثم أمر بعودة أبنائه ، فقدموا إلى ديارهم ومقر ملكهم . وقد توفي چنگيزخان في تلك الرحلة .

* * *

حكاية أحوال تولوي خان بعد وفاة أبيه ، وتمكنه واستقراره في موطنه الأصلي ، وعاصمة أبيه التي كانت من نصيبه ، واتفاقه مع إخوته ، والحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له وعاقبة أمره .

عندما عاد تولوي خان من ناحية « تنكقوت » ـ بناء على إشارة أبيه ـ ، وفي صحبة أخيه أوگتاي الذي كان ولياً للعهد بموجب وصية چنگيزخان ـ قدم إلى دياره ومعسكراته . وقبيل تلك الأيام ، كان چنگيزخان قد أسلم الروح . وبعد أن أوصلوا جثمانه إلى المعسكرات ، وأقاموا مراسم العزاء ، ذهب بقية الإخوة والأمراء الأنجال ، كل إلى مقره المعهود . أما تولوي خان فقد استقر على عرش الملك في الموطن الأصلي حيث كانت عاصمة چنگيزخان ومعسكراته الكبيرة .

وأما حال اتفاقه مع إخوته وحروبه وفتوحاته بعد أبيه ، فإن تولوي خان قام ـ بعد وفاة أبيه ـ بخدمة إخوته ومراعاتهم ، وخدمة كبار الأمراء من أفراد أسرته .

فعل ذلك على وجه شكره عليه الجميع .وكان ملازماً لأوگتاي قاآن في أغلب الأوقات . وسعى سعياً حثيثاً فيما يتعلق بإجلاسه على عرش القاآنية . وعندما توجه أوگتاي قاآن إلى « التان خان » ، وسار إلى ناحية « تمكينك » من ولايات الخطا الواقعة على ضفاف نهر « قراموران » ، أرسل تولوي خان من طريق آخر ، فسار هذا عن طريق التبت ، واجتاز ولاية الخطا ، ويعرف سكانها باسم « هولاي بكلتان » . يعني « أصحاب القلانس الحمراء » . ولأن طريق القاآن كان بعيداً ، أخذ تولوي خان يشق طريقه بصورة ملتوية ، ويتمهل في سيره حتى العام التالي . فنفدت مؤن المغول ، ووصل الأمر إلى درجة أنهم صاروا يأكلون اللحوم البشرية والحيوانات الميتة ، والأعشاب الجافة . ثم ضربوا حلقة ، وأخذوا يسيرون في الصحراء إلى أن بلغوا موقعاً ، يقال له « تونكقال قهلقان » ، في مواجهة جيش كبير يقوده « التان خان » . وعلى النحو الذي ذكرناه بالتفصيل في تاريخ القاآن ، بذل تولوي خان جهوداً كبيرة حتى هزم ـ

بحسن تدبيره ـ جيشاً قوياً ، يبلغ عدده أضعاف أضعاف جنده ، وقد عبر نهر «قراموران» الذي لم يعبره أحد قبله مطلقاً . ثم لحق بأخيه مظفراً منصوراً ، فسر القاآن بوصوله سروراً بالغاً ، وأثنى عليه ، وأقام المآدب وحفلات الأنس ابتهاجاً بتلك المناسبة .

وأما عن عاقبة أمره وسبب مرضه ووفاته ، فإنه بعد أن عاد تولوي خان من الحرب المذكورة ، لحق بأخيه أوگتاي . ولأنه كان قد مضت مدة على الزحف بذلك الجيش ، ترك القاآن «توقولوي چربي» على رأس جيش معد تمام الإعداد للقضاء نهائياً على «التان خان» ، وعاد هو بنفسه ، وكان أيضاً في صحبة أخيه .

وتصادف أن مرض القاآن . وجريا على عادة المغول ، اجتمع السحرة ، وأخذوا يزاولون السحر ، وأعدوا تعويذة لمرضه . ثم غسلوها في الماء . وفي ذلك الوقت دخل تولوي خان ، واتجه نحو السماء بتضرع تام ، وقال : أيها الإله العظيم الأزلي ! . . . إذا كنت تعاقب القاآن على ذنوبه ، فإني أكثر منه ذنوباً ، إذ أنني في المعارك قتلت أناساً أكثر مما قتل ، وسبيت نساءهم وأبناءهم ، وأبكيت آباء الأسرى وأمهاتهم . وإذا كنت تريد أن تنقل عبدك إلى جوارك لجمال منظره وشموخ قدره وسمو فضله ، فأنا أجدر منه وأنسب فخذني بدلاً من أوگتاي واشفه من هذا الداء ، وحملني آلامه ومتاعبه» .

تفوه بهذه الكلمات بكل ضراعة ، وتناول كأس الماء الذي كان السحرة قد غسلوا فيه تعويذة مرض القاآن ، وتجرعها . فتحسنت صحة القاآن بالقدرة الربانية .

ثم استأذن تولوي خان في الانصراف ، وبادر بالذهاب إلى دياره . فمرض في الطريق وتوفي في «موغاييل» أي عام الحية الموافق شهور سنة ثلاثين وستمائة (٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ ـ ١٢٣٣ م) . فليجعل الله تعالى خلاصة أبنائه ، سلطان الإسلام غازان خان ـ خلد الله سلطانه ـ الذي هو زبدة سلاطين العالم ـ وارثا للأعمار ، وليرزقه أبد الدهر مملكة عريضة ، وسلطنة مستفيضة بحرمة النبي وآله الطيبين الطاهرين .

حكاية أحوال سيور قوقتيني بيكي زوجة تولوي خان ، وأحوال أولاده بعد وفاته حتى اعتلائهم عرش القاآنية والسلطنة بسعي والدتهم واجتهادها ، وبفضل كفاءتها وعقلها .

بعد وفاة تولوي خان ، ظل أبناؤه مع والدتهم ملازمين لأوگتاي . وكان يعزهم ويكرمهم للغاية ، ويستجيب لملتمساتهم على الفور . وذات يوم طلبت أحد التجار من حضرة القاآن ، فأظهر تلكؤا وعدم اهتمام بهذا الموضوع . فبكت سيور قوقتيني بيكى ، وقالت : « ذلك الشخص الذي كان مرادي وأمنيتي ترى لمن ضحى بنفسه ، ومن أجل من أزهق روحه ؟ ! . . . » فوصل هذا الكلام إلى سمع القاآن ، فقال : « إن الحق في جانب سيور قوقتيني بيكى » . واعتذر لها ، وأجابها إلى ملتمسها .

كانت سيور قوقتيني بيگى في غاية العقل والكفاءة . وكانت في مقدمة سيدات العالم ، ولها من الثبات والعفة والستر والعصمة كل ما هو أكمل وأتم . ولما كان بعض أولادها صغاراً عند وفاة أبيهم ، بذلت بكفاءتها جهوداً كبيرة في سبيل تربيتهم ، ولقنتهم الفضائل والآداب . ولم تدع أن يقع بينهم نزاع على الإطلاق ، حتى ولو قيد شعرة ، وألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهن البعض ، وقامت برعايتهن ورعاية الأبناء والأحفاد ، وجميع الأمراء العظام والجنود الذين كانوا قد آلوا إليهم من چنگيزخان وتولوي خان ، وكانوا يخصونهم ، وحافظت عليهم بحسن تدبيرها وسداد رأيها . ولأنهم كانوا يرونها عاقلة تماماً ، وفي غاية الكفاءة ، لم يتخلفوا مطلقاً عن إطاعة أوامرها قيد شعرة .

وكما أن والدة چنگيزخان « أولون ايكه » قد تعهدت بتربية ابنها چنگيزخان الذي كان أبوه قد تركه صبياً ، ورعت جميع جنده ، بل وقادت الجند بنفسها عدة مرات ، وكانت تدبر شئونهم وتحافظ عليها ، إلى أن صار چنگيزخان مستقلاً ومستعداً ، وبلغ مرتبة حكم العالم والسيطرة عليه ، وبفضل جهود والدته ، أتيح له القيام بجلائل الأعمال ـ فكذلك انتهجت سيور قوقتيني بيگي نفس أسلوبها ، وسلكت طريقها . بل قيل إنها كانت في مسألة واحدة أكثر صبرا من والدة چنگيزخان . وأنها قد أحرزت عليها قصب السبق .

وملخص هذه القصة أن چنگيزخان أدرك ـ بعد مدة من كلام أمه المرموز ـ أنها تميل إلى أن تتخذ لها زوجا ، ولذلك زوجها من مينكلك إچيكه ».

أما سيور قوقتيني بيگي فقد طلب أوگتاي منها أن تتزوج من ابنه كيوك خان ، وأرسل إليها ..... [1] برسالة لهذا الغرض . ولما أبلغها الرسول قرار القاآن ، أجابت : « كيف يمكن مخالفة ما يقضي به مرسوم القاآن ، بيد أنني أفكر في أن أتفرغ لتربية أولادي حتى أوصلهم إلى حد الرجولة والاستقلال ، وأسعى في تهذيبهم ، حتى لا يفارق بعضهم بعضاً ، ولا ينفر أحدهم من الآخر . فلربما يترتب على اتفاقهم عمل كبير » .

ولما لم تكن ترغب في الزواج من كيوك خان ، وتذرعت بمثل هذا العذر في رفض التحدث عن هذا الموضوع ، لم تبق هناك شبهة في أنها لا تميل إلى الزواج . ولهذا السبب يفضلونها على « اولون ايكه » والدة چنگيزخان .

وإبان حكم اوكتاي قاآن ، وبعد وفاة تولوي خان ، منح ابنه « كوتان » [2] ألفين من جنود « سلدوس » من جملة الجنود الذين كانوا مخصصين لتولوي خان وأبنائه ، وذلك حسب هواه ، ودون إستشارة أمراء الأسرة الحاكمة . . فلما علم أمراء التومان والهزاره ـ المنسوبون إلى « يكه نويان » ، أمثال ...... [3] بهذا الإجراء ، قالوا جميعاً في حضرة سيور قوقتيني بيگي ومنگو قاآن وأمراء الأسرة الحاكمة : « إن هذين الألفين من جنود سلدوس يئولون إلينا بموجب مرسوم چنگيزخان . ولكن القاآن سلمهم لكوتن . فكيف نترك هذا الأمر ، ونغيّر فرمان چنگيزخان ؟ ! . . . سوف نعرض هذا الموضوع على حضرة القاآن » .

فأجابت سيور قوقتيني بيگي : « إن ما تقولونه صواب . ولكننا لا ينقصنا شيء من الأموال الموروثة والمكتسبة ، ولا ينبغي أن نتمسك بهؤلاء الجنود بحال من الأحوال . إن جنودنا بل وأرواحنا كذلك مِلك للقاآن . فيكون الحكم حكمه لكل ما يأمر به ، ونحن له مطيعون ومنقادون » . فلما صرحت سيور

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) يكتب أيضا كوتن .
(٣) هكذا في الأصل .

قوقتيتي بيگي بهذا التصريح ، التزم الأمراء الصمت ، واستحسن قولها كل واحد سمع به . ولا شك أنه بما توفر لها من عقل وكفاءة ، جعلت مرتبة أبنائها تفوق مرتبة أبناء عمهم ، وأوصلتهم إلى منصب القاآنية والسلطان .

أما السبب الأعظم في اعتلاء أبنائها عرش القاآنية ، فيرجع إلى أنه عندما توفي أوگتاي قاآن ، لم تدع « توراكنه خاتون » أن يتولى شيرامون القاآنية ، إذ أنه كان ولياً للعهد حسب وصية أبيه . وصارت تحكم وفقاً لهواها . ولما أجلست ابنها الأكبر كيوك على عرش السلطنة ، لم يحضر باتو الذي كان سيد القوم جميعهم ، واعتذر بوجع في رجله . فتضايق كيوك خان من ذلك المسلك ، وأخذ يضمر الغدر لباتو ، وصمم على أن يسير إلى تلك الناحية بحجة أنه مريض ، وأن الطقس في « ايميل » يناسبه . ولما كانت سيور قوقتيتي بيگي مطلعة على حقيقة مقصده ، أرسلت سرا رسالة إلى باتو ، وأطلعته على حقيقة الموقف . ثم توفي كيوك خان بعد ذلك بقليل . فأراد أبناء أوگتاي وأتباعه أن يجلسوا شيرامون على عرش القاآنية . فطلبوا ـ في بداية الأمر ـ حضور باتو . فأجاب على رسولهم قائلاً : « إنني مريض بوجع في رجلي . فلو أنهم حضروا عندي ، لكان ذلك أصوب » . غير أن توراكنه خاتون وأفراد أسرة أوگتاي عارضوا هذا الرأي ، وقالوا : « هنا توجد عاصمة چنگيزخان . فكيف نذهب نحن إلى هناك ؟ ! . . . » .

وكان باتو شيخا معظماً وعميداً لكافة الأمراء ، ويرجع إليه في تعيين الملوك وتنصيبهم . فقالت سيور قوقتيتي بيگي لابنها الأكبر منگوقاآن : « ما دام الآخرون لن يذهبوا إلى باتو ، وهو سيد الجميع ومريض ، بادر أنت بالذهاب إليه بحجة عيادته » . فذهب منگو إلى هناك وفقا لإشارة والدته . فبايعه باتو جزاء وفاقاً لذلك الجميل ، والحقوق السابقة الأخرى ، وأجلسه على عرش القاآنية .

ثم إن سيور قوقتيتي بيگي لم تثر أزمة مع « گوتان » . بخصوص جنود « سلدوس » وذلك على النحو الذي سبق ذكره . وكانت تودهم وتصادقهم . وعندما كان أفراد أسرة اوگتاي قاآن ينازعون منگوقاآن القاآنية ، ويفكرون في الغدر به وخيانته ، كان گوتان متفقاً مع منگوقاآن ، وصار يقدم له المدد . فلما

توفي كوتان ، قرر منگوقاآن منح أبنائه الجنود الذين كانوا معه في ولاية تنكقوت . وكان دائماً يعزهم ويكرمهم . وإلى الآن لا زال هؤلاء الجنود طوع أمرهم جرياً على نفس القاعدة ، ويتبعون أولجايتو قاآن . وسوف يجيء شرح هذه الحكايات وتفصيلها في تاريخ منگوقاآن إن شاء الله العزيز . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين الطاهرين .

تاريخ كيوك خان بن أوكتاي قاآن بن چنگيز خان

القسم الأول ـ في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وفروع أبنائه وأحفاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت . ولأنه سبق رسم جدوله في تاريخ أبيه ، حذفناه هنا . والسلام .

القسم الثاني ـ في تاريخ وحكايات زمان حكمه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على عرش الخانية ، وذكر الحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له ، ومقدمة جلوسه .

القسم الثالث ـ في سيره وأخلاقه الحميدة ، والنصائح الغالية ، والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها ، ونصح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده ، مما لم يذكر في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقاً وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص .

(القسم الأول)

في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وفروع أبنائه وأحفاده ، الذين تفرعوا حتى هذا الوقت . وأما جدول نسبه ، فقد رسم في شعبة والده .

كيوك خان هو الابن الأكبر لأوكتاي قاآن . ولد من زوجته الكبرى « توراكنه خاتون » . وكان له زوجات ومحظيات كثيرات . وكانت « أوغول قيميش » كبراهن جميعاً . ولكيوك خان ثلاثة أولاد : اسم أكبرهم « خواجه اوغول » . وثانيهم : « ناقو » وكلاهما من اوغول قيميش . وكان لناقو ولد اسمه چپات . وعندما عبر براق النهر لمحاربة آبا قاخان ، أرسل قايدو « چپات » هذا مع ألف فارس من خواصه ، في صحبة براق على سبيل إمداده . ثم غضب چپات على براق وعاد . فلما بلغ بخارى ، صمم بيكتيمور بن براق على اعتقاله ، فهرب مع تسعة فرسان ، وذهب إلى قايدو عن طريق چول ، ثم مرض من الخوف ومات .

وأما الابن الثالث لكيوك خان فكان اسمه « هوقو » . ولد من محظية . وله ولد اسمه توكمه . ولتوكمه هذا ولد اسمه توكمه أيضاً . وهو الآن ينازع چاپار بن قايدو بسبب الملك ، ولا يطيع أوامره . وليس لخواجه اوغول ولد معروف . وجدول فروع هؤلاء الأبناء قد رسم في تاريخ أوكتاي قاآن .

* * *

(القسم الثاني)من تاريخ كيوك خان

في تاريخ وحكايات زمان حكمه ، وصورة العرش والخواتين ، والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على عرش الخانية ، وذكر الحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له ومقدمة جلوسه .

مقدمة

لما توفي أوگتاي قاآن ، لم يكن ابنه الأكبر كيوك خان ، قد ترك بعد جيش القبچاق . كذلك سرعان ما توفيت موكاخاتون . فوضعت توراكنه خاتون ـ التي كانت والدة الأبناء الكبار ـ الملك في قبضة تصرفها بلطائف الحيل ، ووفقاً لهواها دون استشارة أفراد الأسرة الحاكمة . وصارت تجتذب قلوب الأقارب والأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى مال الجميع إليها ، وأصبحوا رهن إشارتها . وظل چينقاي ونواب القاآن ووزرائه الآخرين يصرفون شئون الدولة . كذلك استقر الولاة في الإقليم جرياً على القواعد المتبعة .

ولما كانت توراكنه خاتون ـ في عهد القاآن ـ مستاءة ومتضايقة من جماعة من كبار الموظفين ، وكانت تحقد عليهم ، أرادت ـ في ذلك الوقت الذي أصبحت فيه الحاكم المطلق ـ أن تعاقب كل واحد منهم . وكانت لها حاجبة تدعى « فاطمة » ، كان المغول قد أحضروها من مشهد طوس عندما استولوا على خراسان . وكانت فاطمة هذه في غاية الذكاء والكفاءة ، وموضعاً للثقة ، وكاتمة أسرار الخاتون . وكان عظماء الأقاليم يتخذونها وسيلة لتحقيق أغراضهم . فأخذت توراكنه خاتون ـ بناء على مشورة تلك الحاجبة ـ تعزل الأمراء وأركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى في عهد القاآن ، وتولى مكانهم طائفة من الجهال .

واتباعاً لهذه السياسة ، عزموا على اعتقال چينقاي الذي كان الوزير

الأعظم للقاآن . فلما علم بما يدبر له ، هرب وذهب إلى كوتان ، ولجأ إلى حمايته . وكانت فاطمة تضمر عداء قديماً لمحمود يلواج الذي كان القاآن قد ولاه منصب صاحب الديوان ، فانتهزت الفرصة ، وعينت مكانه شخصاً يدعى عبد الرحمن ، وأوفدت في صحبته رسلاً في مقدمتهم « أوقال قورجي » للقبض على يلواج ، وإحضاره مع أتباعه . فلما وصل الرسل استقبلهم يلواج بالبشر والترحاب ، وقدم لهم مراسم الإكرام والإعزاز . وظل يومين مشغولاً بالتودد إليهم ، واستعمال اللطف معهم ، وكان يقول لهم : « اليوم نطعم عن سعة وكرم . وفي صباح الغد نستمع إلى حكم المرسوم » . هذا على حين أنه كان يستعد للفرار خفية . ثم أمر « اوقال قورجي » باعتقال أتباعه وتقييدهم . وكان يلواج قد أعطاهم تعليمات بأن يصرخوا عليه ، ويصيحوا قائلين : « نحن أتباع يلواج . فبأي ذنب اعتقلتمونا وقيدتمونا ؟ ! . . . وكنا نترقب مثل هذا اليوم لنطلب من الله الدعاء » . وفي الليلة الثالثة ، شغلهم يلواج بالشراب ، وأسكرهم سكراً تاماً ، وأغرقهم في النوم . ثم فر مع نفر من فرسانه إلى كوتان . وبذلك أمن شرهم . وقد اتخذ يلواج وجينقاي حضرة كوتان مأمنا لهما ، فشملهما بعطفه .

وفي اليوم التالي عندما علم « اوقال قورجي » بفرار يلواج ، أطلق سراح أتباعه ، وتعقب يلواج . فلما بلغ كوتان ، عرض عليه فرمان والدته الذي يقضي بالقبض على يلواج ، وإحضاره . وعلى الأثر وصل رسول آخر لتلك المهمة نفسها . فقال كوتان : « قولاً لوالدتي إن بغاث الطيور التي تهرب من مخالب الصقر ، وتلجأ إلى شجيرة الشوك ، تأمن صولة العدو . وحيث أنهما لجئا إلينا ، تكون إعادتهما أمراً بعيداً عن المروءة . وسأحضرهما في صحبتي عندما يعقد مجلس الشورى في الأيام القريبة المقبلة ، فيحقق معهما عن جرائمهما ، وذلك بحضور الأقارب والأمراء ، ليلقيا جزاءهما الذي يستحقانه من التأديب والتعذيب » . ولكن توراكنه خاتون أعادت الرسل إلى ابنها عدة مرات تصر على حضورهما ، فكان كوتان يعتذر عن عدم إرسالهما بنفس ذلك العذر .

وعندما شاهد الأمير مسعود بيك ـ الذي كان حاكماً على ممالك تركستان وما وراء النهر ـ الأوضاع على هذا النحو ، لم ير الإقامة صالحة في ولايته ،

فأسرع إلى حضرة باتو . وكان « قرا اغول » وزوجة چغتاي وأورقنه خاتون وغيرهما من الخواتين قد أرسلوا « قورتقاي » في صحبة الأمير أرغون إلى خراسان للقبض على كوركوز . فلما أحضر الأمير أرغون « كوركوز » وقتل ، أرسلوه ليحل محل كوركوز في حكم خراسان .

وفي تلك الفترة المليئة بالفتن والاضطرابات ، طفق كل شخص يرسل الرسل إلى الجهات المختلفة بمستندات الصرف والحوالات لطلب الأموال . فكان كل شخص في الأطراف ، يلجأ إلى مكان ، ويتمسك بحمايته . كما كان كل واحد يتذرع بنوْع من الحجج لتبرير موقفه . ما عدا سيور قوقتيتي بيگي وأبناءها فقد ظلوا مستمرين في السير بمقتضى ـ الياساق . ولم يتجاوزوا قيد شعرة العادات والتقاليد .

وكانت توراكنه خاتون قد أرسلت الرسل إلى الشرق والغرب تخطر الأمراء الأنجال وأبناء چغتاي ، وأمراء الميمنة والميسرة في الجيوش والسلاطين والملوك والأكابر والصدور ، وتدعوهم لحضور القوريلتاي .

وفي غضون تلك الأحوال عندما كان الميدان لا يزال خالياً ، ولم يكن كيوك خان قد وصل بعد ، أراد اوتچگين نويان أخو چنگيزخان ، أن يستولي على العرش بالقوة والغلبة . وبهذا العزم توجه إلى معسكر القاآن بجيش جرار مزود بالعدة والعتاد . ولهذا السبب اضطرب سائر الجنود والأتباع ، فأرسلت إليه « توراكنه خاتون » رسولاً يقول : « نحن كنائنك ، ومستظهرون بك . فما سبب قدومك بالجنود ، وبالعدة والعتاد ، إذ أن كافة الرعايا والجنود قد اضطربوا » . ثم أرسلت إليه ثانية « اوباتي » بن اوتچگين الذي كان ملازماً للقاآن ، وذلك في صحبة منكلي أوغول » حفيد . . . .[1] مع أقوامه وأتباعه .

فندم أوتچگين على تلك الفكرة ، وعلل قدومه بسبب وفاة أوكتاي قاآن ، وتقديم العزاء وبذلك مهد السبيل للاعتذار . وفي تلك الأثناء ، وصل نبأ نزول كيوك خان في معسكره على ضفاف ايميل . فازداد ندم أوتچگين ، وعاد إلى مقره وموطنه .

---

(١) هكذا في الأصل .

وقصارى القول أن عرش الخانية ، ظل تحت أمر توراكنه خاتون ، ونهيها ما يقرب من ثلاثة أعوام . وكان أمرها نافذاً في الممالك . وقد أزعجت سائر العظماء لعدم انعقاد القوريلتاي ، إذ أن حضور الأمراء الأنجال واجتماعهم لم يكن قد تم . ولم يقدم كيوك خان على تصريف مصالح الملك . فظلت توراكنه خاتون تنفذ الأحكام كالمتبع إلى أن تقرر لابنها منصب القاآنية .

وبعد شهرين أو ثلاثة ، توفيت توراكنه خاتون . وقد اتهم ساقي « قداق » ، وهو رجل علوي من سمرقند يدعى « شيره » اتهم فاطمة خاتون بأنها عملت سحراً لكوتان إلى أن مرض . ولما اشتد عليه المرض ، أرسل الرسل إلى أخيه كيوك خان يقول : « إن تمكن العلة منه ، كان نتيجة لسحر فاطمة . وإذا حدث ضرر ، فإنه ينبغي أن يقتص منها » . وعلى الأثر وصل نبأ نعي كوتان . وكان چينقاي قد ارتفع شأنه مرة أخرى . فجدد ذلك الحديث ، وأشار إلى تلك الرسالة . فلما جلس كيوك خان على العرش ، شرعوا في استجواب فاطمة ، فاعترفت بذنبها بعد أن ضربت بالعصا وعذبت . ثم خاطوا منافذها العليا والسفلى ، ولفوها في لباد ، وقذفوا بها في اليم ، وقضوا على أتباعها .

وعلى أثر وفاة كيوك خان ، اتهم « علي خواجه ايميل » « شيره العلوي » المذكور بنفس التهمة ، وقال : « إنه يقوم بالسحر لخواجه اوغول » . فزج بشيره في السجن ، ويئس من الحياة بسبب التمثيل به ، ومطالبته بما ليس في مقدوره . وقد استمروا في تعذيبه كذلك ، إلى أن أقر بذنب لم يرتكبه ، فقذفوا به أيضاً في اليم ، وأجهزوا بالسيف على نسائه وأبنائه .

وبعد أن تشرف سرير الخانية بجلوس منگوقاآن محاطاً باليمن والسعد ، نصّب « بريكوتاي » حاكماً على حدود « بش باليق » . وفي الوقت الذي أحضروا فيه « خواجه اوغول » ، أرسل رسولاً لاستدعاء « علي خواجه » الذي كان قد صار من خواصه . وقد اتهمه شخص آخر بهذه الجريمة نفسها . فأمر منگوقاآن بضربه من اليسار واليمين ، إلى أن تحطمت كل أعضائه . فمات متأثراً بتلك الآلام ، ووقع نساؤه وأولاده في ذل الأسر .

شعر

إذا فعلت سوء ، فلا تأمن ألا تلحقك الآفات ،

لأنه قد وجب على الطبيعة أن توقع عليك الجزاء .

وبعد فقد كانت هذه نبذة ذكرناها عن أحوال توراكنه خاتون وحاجبتها .
والآن نبدأ بشرح الحكايات المتعلقة بجلوس كيوك خان إن شاء الله تعالى .

* * *

حكاية جلوس كيوك خان على عرش الخانية

كان أوكتاي قاآن قد اختار في حياته ابنه الثالث « كوچو » الذي ولد من توراكنه خاتون لولاية العهد وخلافته من بعده . ولكنه توفي أيضاً في حياة القاآن . ولما كان القاآن يحب « كوچو » أكثر من الجميع ، أمر بأن يكون ولياً لعهده وخليفة له ابنه الأكبر شيرامون الذي كان سعيداً وعاقلاً للغاية . وكان يربيه في بلاطه . وكذلك في تلك السنة التي ودع فيها أوكتاي الحياة ، أرسل الرسل لاستدعاء كيوك . فعاد كيوك حسب الفرمان . ولكن قبل وصوله حل القضاء المبرم ، ولم يدع مجالاً كافياً للأب والابن بأن تقر أعينهما برؤية أحدهما الآخر . فلما أخبروا كيوك هنا النبأ ، جدّ في سيره إلى أن بلغ ايميل . ومن هناك توجه إلى بلاط أبيه ، فانقطعت بوصوله أطماع الطامعين .

وعندما ذهب الرسل إلى أطراف الممالك وأكنافها ، وإلى أقصى البلاد وأدناها لاستدعاء الأمراء الأنجال والسلاطين والملوك والكتاب ، غادروا مساكنهم وأوطانهم امتثالاً للفرمان . وعندما حل ربيع عام الحصان الواقع في ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م) ، وصل الأمراء الأنجال وأمراء الميمنة والميسرة كل منهم مع أتباعه وأشياعه ، واجتمعوا في موضع « كوكا ناوور » ما عدا باتو الذي كان متألماً منهم ، فاعتذر عن عدم الحضور بحجة ضعف بنيته ، ووجع رجله . وقبل الجميع وصلت سيورقوقتيني بيگي وأبناؤها مزدانين بأنواع الزينات ، وفي أبهة تامة . وقدم من الشرق اوتچگين مع ثمانين ولداً . وكذلك ايلچيتاي ، وبقية الأعمام وأبناء الأعمام . وجاء من معسكر چغتاي قراهولاكو وييسومونككا وبوري وبايدار وييسانتوقه وبقية الأبناء والأحفاد وأبناء إخوة چغتاي . ومن معسكر جوجي كان باتو قد أوفد إخوته : أورده وشيبان وبركه وبركه چار وتنكقوت وتوقاتيمور . وقدم من

كل فج « النوينان »[1] والأمراء الكبار المشهورون ، وفي معيتهم الأمراء الأنجال . وجاء من ناحية الخطا الأمراء وذوو المناصب الكبيرة ، ومن التركستان وما وراء النهر الأمير مسعود بيك ، وفي رفقته عظماء تلك الديار ، ومن خراسان الأمير ارغون ، وفي صحبته الأمراء والوجهاء في هذا الإقليم ، ومن العراق واللور واذربيجان وشيروان ، ومن بلاد الروم السلطان ركن الدين ، ومن جورجيا (كَرجستان) اثنان يحملان اسم داود ، ومن حلب أخو أميرها ، ومن الموصل رسول بدر الدين لؤلؤ ، ومن دار الخلافة ببغداد قاضي القضاة فخر الدين ، ورسل الفرنج[2] وفارس وكرمان ، ومن قبل علاء الدين صاحب ألموت محتشماً قوهستان : شهاب الدين وشمس الدين . حضرت هذه الجماعة كلها بأحمال كثيرة وهدايا تليق بمثل تلك الحضرة .

وكانوا قد أعدوا لهم ما يقرب من ألفي سرادق . ولكثرة الخلق ، لم يبق موضع للنزول في المنطقة المحيطة بالمعسكر . وارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات ارتفاعاً فاحشاً ، وندر وجودها .

ثم تحدث الأمراء الأنجال والأمراء في موضوع الخانية قائلين : « حيث أن « كوتان » ـ الذي كان جنكيزخان قد رشحه للقاآنية بعد وفاة القاآن ـ عليل . ولما كانت توراكنه خاتون تميل إلى تنصيب كيوك ، ولم يبلغ شيرامون وصي القاآن سن الرشد ، تقضي المصلحة بأن ننصب كيوك خان الابن الأكبر للقاآن خانا أعظم » .

---

(١) مفرد نوين . يقول القلقشندي : « أما الأمراء فقد ذكر في مسالك الأبصار أنهم عندهم على أربع طبقات : أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف ، ويعبر عنه بأمير تومان إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير الف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة » . (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣) .

(٢) حضر اثنان من الكهنة المسيحيين : أحدهما « سمباد » Sempad أخو هيتوم ملك قيليقية ، والآخر يوحنا دي بلان كاربين Jean du Plan Carpin وقد دون كل منهما كتابا وصف فيه رحلته إلى منغوليا . ويعد كلا الكتابين مصدرا هاما يمدنا بكثير من المعلومات عن الحقائق التاريخية والجغرافية لممالك المغول في ذلك العهد . (انظر براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي ، ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، ص ٥٧٤ ، ولا ديمير تسف : نظام اجتماعي مغول ترجمة دكتر شيرين بياني ، ص ٢٢ ـ ٢٣) .

وكان كيوك خان مشهورا بالبطش والسيطرة ، وتميل توراكنه خاتون إلى تنصيبه ، ويتفق معها في هذا الرأي أغلب الأمراء .

وهكذا بعد البحث والمشاورة ، اتفقوا على إجلاس كيوك على العرش ، فكان يأبى تقلد هذا المنصب ـ جريا على العادة المتبعة ـ ويحيله إلى كل أمير معتذرا بضعفه واعتلال صحته ، ومتمسكا بهذا العذر . وبعد إلحاح الأمراء عليه ، قال لهم : « إني أقبل هذا المنصب ، بشرط أن تبقى الخانية في ذريتي » . فكتبوا كلهم تعهدا بالموافقة على رأيه قائلين : « إذا بقيت من نسلك قطعة لحم ملفوفة في الشحم والعلف ، وتعافها الكلاب والبقر ، فإننا لن نعطي الخانية شخصا آخر » .

وعندئذ رفعوا العلم ، فنزع جميع الأمراء الأنجال قلانسهم ، وحلوا أحزمتهم ، وأجلسوه على عرش الخانية ، وذلك في عام الحصان ، الموافق ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م) . وجريا على المعهود عندهم تناول الجميع الكؤوس ، وانشغلوا مدة أسبوع بالمآدب والحفلات .

ولما فرغوا من لهوهم وقصفهم ، منح كيوك خان الخواتين والأمراء الأنجال وأمراء « التومان والهزاره والصده والدهه »[(١)] . وبعد ذلك شرعوا في ترتيب المهمات ، ومباشرة مصالح الملك . فحاكموا أولا فاطمة خاتون ، وناقشوا ثانيا ما حدث من أوتچگين ، ودققوا في الكشف عن حقيقة موقفه . وحيث أن البحث والاستقصاء فيما يتعلق بهذا الموضوع ، اتخذ طابع الدقة التامة ، ولم يكن كل شخص موضع ثقة لمباشرته ، كان « منگوقاآن » ، و« اورده » المحققين وحدهما ، ولم يدعا شخصا آخر يتدخل في هذا الأمر . وبعد انتهاء التحقيق ، قتلوا جماعة من أمراء اوتچگين ، ولم يسمحوا بالتدخل لقرا اوغول خليفة چغتاي ويسومونككا الذي كان ابنه من صلبه . ونظرا للصداقة التي كانت تربط كيوكخان بيسومونككا ، قال : « كيف يكون الحفيد وارثا مع وجود الابن ؟ » . وأقر يسومونككا في مكان چغتاي ، وأطلق يده في تصريف الأمور .

ولما كان كل واحد من الأمراء الأنجال قد أقدم على تصرفات جاوزت

(١) أي أمراء الفرق المكونة من عشرة آلاف وألف ومائة وعشرة من الجنود .

حدها ، وذلك بعد وفاة القاان ، وكتبوا الحوالات إلى الممالك ، ومنحوا كل شخص « پايزه »[1] ، أخذ كيوك خان في التحقيق في تلك التصرفات . ولما كانت خارجة على العرف والقانون ، كان مرتكبوها يشعرون بالخجل ، ويطرقون برؤوسهم بسبب الإشارة إليهم .

وأخذ أعوان كيوك خان يستردون الپايزه والمرسوم من كل واحد منهم ، ويضعون أمامه المخالفات التي ارتكبها قائلين : « اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[2] . أما سيورقوقتيني بيگي وأبناؤها فكانوا بيض الوجوه ، رافعي الرؤوس ، فخورين ، إذ أنه لم توجه إليهم أية مخالفة للياسا . وكان كيوك خان يتمثل بهم في حديثه للآخرين ، ويثني عليهم ، على حين أنه كان يستخف بالآخرين . وهكذا أقر قوانين والده . ثم أمر بأن يجدد التوقيع على كل مرسوم موشح بختم القاآن الأحمر دون أن يعرض عليه .

بعد ذلك عبّأ الجيوش وسيّرها إلى الجوانب والأطراف ، وأرسل « سوباداي بهادر » وچغان نويان بجيوش جرارة إلى جهات الخطا ونواحي « منزى »[3] . كما عيّن ايلچيكتاي على رأس جيش ليتجه إلى المغرب . وأمر بأن يسير معه اثنان من كل عشرة من الجنود التازيك المقيمين في إيران ، على أن يبدأوا بمحاربة الملاحدة ، ويخضعوا الولايات الثائرة . وصمم على أن يسير بنفسه من ورائهم . وعلى الرغم من أنه كان قد وكل إلى ايلچيكتاي مهمة الإشراف على سائر تلك الجيوش والأقوام ، إلا أنه قد فوض إليه بصفة خاصة التصرف في شئون بلاد الروم والكرج والموصل وحلب وديار بكر حتى لا يتدخل شخص آخر في شئون تلك البلاد على أن يكون حكام تلك الديار مسئولين أمامه عن أموالها .

ثم قتل عبد الرحمن الذي كانت توراكنه خاتون قد أرسلته لحكم ممالك

---

(١) انظر المقدمة ص ٨ حاشية رقم ١

(٢) قرآن كريم ، سورة الإسراء ، آية ١٤ .

(٣) هي عبارة عن الصين الجنوبية التي يطلق عليها أيضا ماچين ومهاچين (يعني الصين الكبرى) ويسميها المغول ننكياس (انظر الجويني : تاريخ جهان گشاي ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، حاشية ٣) .

الخطا ، وولى عليها الصاحب « يلواج » ، وأحال حكم التركستان وما وراء النهر إلى الأمير مسعود بيك ، وعهد بحكم خراسان والعراق وأذربيجان وشيروان واللور وكرمان وجورجيا (گرجستان) وأطراف الهند إلى الأمير أرغون . وأمر بأن يعطى جميع الأمراء والملوك التابعين لكل واحد من هؤلاء الولاة اليرالغ والپايزات ، وفوض إليهم مباشرة المهام . ومنح السلطان ركن الدين سلطنة الروم ، وعزل أخاه . وجعل « داود بن قيز ملك » تابعا لداود الآخر[1] ، وأرسل على لسان رسول الخليفة تهديدا ووعيدا له ، وذلك بسبب الشكوى التي شكاها منه شيرامون بن جورماغون . وكذلك أمر بأن يكتب رد الرسالة التي كان قد أحضرها إليه رسولا الإسماعيلية بكل خشونة وغلظة .

أما چينقاي ، فقد شمله بالعطف والرعاية ، وقلده منصب الوزارة . وأخيرا عاد جميع عظماء الأطراف . والحمد لله رب العالمين .

حكاية أواخر عهد كيوك خان ، وبذله وجوده ورحيله إلى ناحية ايميل ، ووفاته في نواحي سمرقند

لما كان « قداق » يعتنق الديانة المسيحية منذ عهد الصبا ، وكان ملازما لكيوك خان ، إذ كان أتابكا له ، تأثرت طبيعة القاآن بتلك العقيدة . وبعد ذلك قوى فيه « چينقاى » أيضا هذا الميل . ولهذا السبب كان يقبل دائما على رعاية القسسين والنصارى . وعندما ذاع ذلك النبأ ، توجه إلى حضرته القسس من بلاد الشام والروم والآس والأوروس . ونظرا للملازمة قداق وچينقاي له ، لم يكن خلوا من إنكار الدين الإسلامي . وفي عهده ارتفع شأن النصارى . ولم تكن لأي مسلم الجراة على أن يتحدث معهم بصوت مرتفع .

ولما كان كيوك خان يريد أن يرجح صيت جوده ، صيت جود أبيه ، صار يسرف في العطاء . فأمر أتباعه بأن يقوّموا أقمشة التجار الذين كانوا قد حضروا من الأطراف ، وذلك حسب الطريقة التي كانت متبعة في عهد القاآن ، وكان يدفع ثمنها . وذات مرة ارتفع ثمنها إلى ما يقدر بسبعين ألف كيس من النقد .

---

(1) كان كلاهما يطالب بعرش جورجيا .

ثم إنهم كوّموا أمتعة كل إقليم ، فكانت جبلا على جبل ، بحيث أنه تعذر حملها ونقلها . فعرض عليه أركان الدولة ذلك الوضع ، فقال : « إن المحافظة على هذه الأمتعة أمر عسير ، وليس فيه فائدة . فوزّعوها على الجنود والحاضرين . فاستمروا في توزيعها عدة أيام ، وأوصلوها إلى كل الأقوام » . ومع هذا كان لا يزال متبقيا الكثير منها ، فأمر بنهبها .

أمضى كيوك خان شتاء ذلك العام في هذا الموضع . فلما حل العام الجديد ، قال : « إن طقس ايميل موافق لطبيعتي ، وماءها ملائم لمرضي » . ثم تحرك من هناك ، بشوكة تامة وهيبة بالغة متوجها إلى البلاد الغربية . وكلما حل بإحدى المزارع ، أو رأى جماعة في الطريق ، كان يأمر بإعطائهم العديد من أكياس النقد والثياب ، فكانوا يتخلصون بها من ذل الفقر والحاجة .

ولما كانت سيور قوقتيتي بيكي سيدة عاقلة ، وفي غاية الذكاء ، عرفت أن استعجاله في تلك الرحلة لا يخلو من مكر ، فأرسلت خفية رسولا إلى باتو تقول له : « كن مستعدا ، لأن كيوك خان متجه بجيش جرار إلى تلك الجهات » . فحمد لها باتو هذه المنة كثيرا ، وصار يستعد لقتاله .

ولما بلغ كيوك خان حدود سمرقند ، التي كانت تبعد عن « بش باليق » مسيرة أسبوع ، وافاه الأجل الموعود ، ولم يمهله طويلا لكي يخطو خطوة أبعد من ذلك المكان ، فأسلم الروح في . . .[1] وكانت مدة حكمه سنة واحدة .

فليتمتع سلطان الإسلام أعواما عديدة بالعمر والشباب والإقبال .

وبعد وفاة كيوك خان سدت الطرق ، وصدر قانون يقضي بأن ينزل كل شخص في الموضع الذي يكون قد وصل إليه عامرا كان أم خرابا . وبموجب فرمان « أوقول قيميش »[2] نقلت رفات كيوك خان إلى ناحية ايميل حيث كان معسكره . وقدمت سيور قوقتيتي بيكي لها النصائح والتعزية جريا على المتبع ، وأرسلت إليها الثياب و« البوقتاق »[3] . وكذلك صار باتو يستميلها ، ويواسيها

(١) هكذا في الأصل .
(٢) يكتب أيضا اوغول قيمش .
(٣) يكتب هذا اللفظ المغولي بعدة أشكال ، بعتاق أو بوقتاق أو بوعتاق أو بحتاق ، ويأتي بمعنى قلنسوة ترصع بالجواهر ، وتلبسها سيدات المغول العريقات .

في مصابها . وكان يقول : « إنه ينبغي أن تقوم اوغول قيمش - كالمعتاد سابقا - بتصريف شئون الملك بمشورة چينقاي وأركان الدولة ، ولا تهمل ذلك مطلقا ، إذ أنه لا يمكنني الحركة . وأنتم هنالك إخوة ، وتقومون جميعا بما يلزم لذلك » . ولو أنه لم يكن هناك عمل أزيد من معاملات التجار .

وكانت أوغول قيمش تقضي أغلب أوقاتها في الخلوة مع السحرة . وكانت مشغولة بهذيانهم وخرافاتهم . وقد ظهر « خواجه » و« ناقو » على الخلاف من أمها كحاكمين آخرين ، بحيث أنه صار في المكان الواحد ثلاثة بلاطات للحكام .

ومن نواحي أخرى صار الأمراء الأنجال يحررون الرسائل وفقا لأهوائهم ، ويصدرون الفرامانات . وبسبب الخلاف بين الأم والأبناء والأشخاص الآخرين ، وبسبب الآراء المتضاربة والتدابير المختلفة ، أفلت الزمام ، واختلت الأمور .

وصار الأمير چينقاي متحيرا في تصريف الأمور ، ولم يكن أي واحد يستمع إلى كلامه ونصحه . وكانت سيور قوقتيني بيگى - من بين أقاربهم - ترسل إليهم المواعظ والنصائح . وكان الأبناء يظهرون الاستبداد والتعنت بسبب صغر سنهم ، وقلة تجربتهم ، ويقدمون على أعمال غير معقولة مستظهرين بييسومونككا إلى أن جاء وقت تقررت فيه الخانية لمنگوقاآن ، فانتظمت أمور الجماهير .

وهذه هي حكاية كيوك خان تم تدوينها .

(القسم الثالث)

في سيره وأخلاقه الحميدة ،والنصائح الغالية ، والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده مما لم يدخل في القسمين السابقين ،وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص

كان كيوك خان ملكا له حشمة الفلك ، وعظمة الملوك ، وشوكة البحر ، مع خيلاء العظمة وكبرياء النخوة . عندما ذاع نبأ جلوسه المبارك في العالم ، كانت خشونته وهيبته وسياسته قد عرفت واشتهرت ، بحيث أن الخوف والفزع منه ، كانا قد سيطرا على قلوب المعاندين ، قبل أن تصل أحكامه إلى المخالفين . وكان كل من يسمع صيته من المقيمين في الأطراف ، لا يهدأ له بال ، ولا يقر له قرار ، وذلك خوفا من صولته وخشية من سطوته . ولم يكن لأركان حضرته والمقربين إليه وخواصه مجال لأن ينقلوا قدما عن قدم دون استئذانه . كذلك لم تكن لهم الجرأة على أن يعرضوا عليه مصلحة من المصالح قبل أن يشرع هو في الكلام فيها . ولم يكن القادمون من قريب أو بعيد يستطيعون أن يتقدموا شبرا واحدا أبعد من مرابط الخيول ، إلا إذا كان قد استدعاهم . وفي أيام دولته اتجه إلى معسكره الأمراء والحكام والعمال والنواب من المشرق حتى المغرب ومن الشمال والجنوب . كما أنهم بمناسبة انعقاد القوريلتاي ، كان قد أعدوا ألفين من السرادقات البيضاء لاستقبال الضيوف . ولم يبق بجوار المعسكر موضع للنزول . وكان الأكابر والأشراف يصلون تباعا من الأطراف والأكناف ، بحيث أنه لم يشاهد أحد مثل هذا الجمع من قبل ، ولم يقرأ أيضا مثله في التواريخ .

شعر

لكثرة الخيام والرجال والسرادقات ،

لم يبق دوما أي مكان في الصحراء

ولما تقرر له أمر الخانية ، أقر ـ مثل والده القاآن ـ قوانين جده چنگيز خان ، ولم يدع سبيلا للتغيير والتبديل في أحكامها . وصان أيضا قوانين والده وأحكامه من عوارض الزيادة والنقصان ، وخلصها من فساد التغيير ، وصرح قائلا : « إن كل مرسوم موشح بالختم الأحمر المبارك لأوكتاي قاآن ، جدّدوا توقيعه دون عرضه على رأينا المبارك » .

كان كيوك خان ضعيف البنية في أصل خلقته . وفي أغلب الأوقات لم يكن خاليا من المرض . ولكن على الرغم من هذا كان يعكف في أكثر الأيام على معاقرة كؤوس المدام ، ومباشرة الحسان ذوات الوجوه الملائكية ، الممشوقات القوام من الصباح إلى المساء ، ومن الشفق إلى الفلق . فكان هذا السلوك سببا في اشتداد المرض عليه . ومع هذا لم يكن يترك تلك التصرفات .

وحيث أن جمعا من المسيحيين كانوا يلازمونه منذ أوان الصبا ، مثل « قداق » الذي كان أتابكا له و« چينقاي » الذي كان نائبه ، كما لازمه الأطباء من تلك الملة ـ رسخت عقائدهم في طبيعته ، وبقي ذلك النقش منقوشا على صفحة صدره « كالنقش على الحجر » ، فأقبل على رعاية القسسين والنصارى . ولما انتشر هذا النبأ ، توجه إلى بلاطه القسس والرهبان من الأطراف والأكناف . وبالطبع لم يكن كيوك خان خاليا من إنكار دين محمد ﷺ . وكان في أيام ملكه ضيق الصدر ، وليست له طاقة على الحديث والإصغاء ، ففوض حل كل الأمور وعقدها ، وقبضها وبسطها إلى قداق وچينقاي ، وترك لهما كل خير وشر وصلاح وفساد . ولهذا ارتفع شأن النصارى في عهد دولته ، ولم تكن لأي مسلم الجرأة على أن يخاطب تلك الجماعة بصوت مرتفع . أما فيما يتعلق بمسائل البذل والعطاء ، فقد كان يفرط في هذا السبيل ما يزيد عن الحد ، إذ كان يود أن يفوق صيته صيت أبيه . ولكن الأجل لم يمهله .

تاريخ ملوك الخطا والماچين والأمراء والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة في إيران ومصر والشام والمغرب الذين كانوا يعاصرون توراكنه خاتون وكيوك خان ابتداء من «پارس ييل» الذي هو عام الفهد الواقع في شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩ هـ = ١٢٤١ - ١٢٤٢ م) حتى انتهاء «مورين ييل» أي عام الحصان الموافق رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م) أي مدة خمس سنوات ، وذلك على سبيل الإجمال والإيجاز والحمد لله رب العالمين .

تاريخ ملوك الخطا والماچين الذين كانوا في مدة هذه السنوات الخمس

في هذه المدة كانت مملكة الخطا كلها تحت تصرف أسرة چنگيز خان . وفي أوائل عهد أوگتاي قاآن ، قهر المدعو « سوشو » آخر ملوك تلك البلاد ، ودالت دولة تلك الطائفة .

وأما ملك الماچين في هذا التاريخ المذكور ، فقد كان يدعى « ليزون » . ومدة حكمه على هذا النحو :

ليزون

حكم إحدى وأربعين سنة ،وباستثناء سبع سنوات مضت ، وبالإضافة إلى تسع وعشرين سنة ، يكون الباقي خمس سنوات .

تاريخ الأمراء والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة الذين كانوا في هذه المدة

تاريخ الأمراء

لما كان الأمير « كوركوز » حاكم إقليم خراسان قد تنازع مع شخص من الجغتائيين ، وأغلظ له في القول ، بسبب رأس أحد الجسور ، ألقي القبض عليه بموجب مرسوم أوگتاي قاآن على النحو المذكور في تاريخه ، ثم قيد ، وحمل

إليه . فلما بلغوا حضرته ، كان أوكتاي قاآن قد توفي ، فحملوه إلى معسكر « الغ ايف » . فلما أخذ الأمراء يحققون معه ، قال لهم : « إذا كنتم تستطيعون أن تقطعوا برأي في أمري ، فإني أتكلم ، وإلا فخير لي أن أصمت » . فتوقف النظر في أمره لهذا السبب ، ثم حملوه إلى معسكر توراكنه خاتون . وكان چينقاي قد فر من عندها ، فلم يعبأ كوركوز كثيرا ببقية الأمراء الذين كانوا ينظرون في شأنه . كما أنه لم يكن معه مال لكي يتدارك به أمره ، فحملوه إلى معسكر چغتاي . وبعد أن أقاموا الدليل على جرمه ، قتلوه . وكان كوركوز قد أسلم في أواخر عهده ، وأرسلوا الأمير « أرغون آقا » ليحكم مكانه في خراسان ، وجعلوا شرف الدين الخوارزمي نائبا له . والسلام .

تاريخ الخلفاء

في أوائل هذه المدة المذكورة ، كان المستنصر بالله ، هو خليفة آل عباس . وكان جنود المغول ـ بموجب فرمان بايجو نويان ـ يغيرون على حدود بغداد أفواجا أفواجا . وقد حاصروا اربيل ، واستولوا عليها عنوة ، فتحصن أهل المدينة بالقلعة ، وصاروا يحاربون بعنف . ونظرا لعدم وجود الماء في القلعة ، هلك أناس كثيرون . ولما كان من المتعذر دفنهم ، صاروا يحرقون جثثهم . ثم خرب المغول المدينة ، ونصبوا المجانيق على الأبراج . فلما علم الخليفة بما حدث ، أرسل « شمس الدين ارسلان تيگين » مع ثلاثة آلاف فارس لمساعدة المدافعين . وعندما بلغ المغول نبأ وصولهم ، رحلوا فجأة ، وولوا هاربين . واستفتى الخليفة الفقهاء : « أيهما أفضل الحج أم الجهاد ؟! » فأفتى الجميع بأن الجهاد أفضل . فأمر الخليفة بعدم الذهاب إلى الحج في ذلك العام . وأخذ العلماء والفقهاء والخواص والعوام سواء منهم الغرباء وأهل المدينة يتدربون على رمي السهام ، وقواعد استعمال السلاح . كما أمر بتعمير خندق بغداد وسورها ، ووضعوا المجانيق على الأبراج .

ولكن المغول عاودوا الهجوم على أربيل ، فانزعج سكانها ، ووقف الأمير « ارسلان تيگين » بجيش عظيم منظم خارج المدينة ، يترقب وصولهم . فلما علم المغول بذلك ، عادوا من هناك ، وزحفوا على منطقة « دقوق » وأعمال بغداد ، وأعملوا فيها القتل والنهب وأخذوا السبايا . فكان شرف الدين إقبال

الشيرازي ، خطيب بغداد يحث الناس على الجهاد ، فخرجوا . وكان جمال الدين « قوشتيمور » قائدا للجيش . فالتقى الجيشان عند جبل الحمرين . وقد خرج الخليفة المستنصر من مدينة بغداد ، وأحضر الخواص والعوام ، وخاطب الناس قائلا : « إن المغيرين وأعداء الدين ، قد قصدوا ديارنا من كل جانب ، وليس لي سوى هذا السيف لمقاومتهم . وإني لعازم على أن أسير بنفسي لمحاربتهم » . فقال الملوك والأمراء : « لا ينبغي أن يشق الخليفة على نفسه . فسنذهب نحن الأتباع لقتالهم » . ثم ذهبوا جميعا ، وحاربوا ببسالة وعاد المغول ، واستردوا أسرى اربيل ودقوق .

وفي يوم الجمعة العاشر من جمادى الثانية سنة أربعين وستمائة (٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ - ١٢٤٣م) توفي أمير المؤمنين المستنصر بالله ، فجلس مكانه ابنه المستعصم بالله على عرش الخلافة . والسلام .

تاريخ السلاطين

في بلاد الروم : كان السلطان عز الدين يتولى أمور السلطنة . وقد ذهب أخوه ركن الدين إلى حضرة القاآن ، مظهرا له الطاعة والولاء ، فولوه السلطنة بعد جلوس منكوقاآن ، وعزلوا أخاه .

وفي الموصل : كان بدر الدين لؤلؤ . وقد ارتفع شأنه ، وبلغ أوج العظمة . أرسل رسولا معلنا الولاء لحضرة القاآن . ولما جلس منگوقاآن على العرش ، أعاده بإعزاز بالغ ، وشمل بدر الدين لؤلؤ بعطفه ورعايته ، وأرسل إليه « اليرليغ » و« البايزه » .

وخلال هذه السنوات استولى السلطان بدر الدين على نصيبين .

وفي مصر : كان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل سلطانا . وقد ابتلي بمرض مزمن . وكان دائما مشتبكا في حرب ضد الصليبيين .

وفي كرمان : كان السلطان « ركن الدين » مشغولا بتوخي العدل والإنصاف . ولم تقع أية حادثة غريبة .

وفي سجستان : كان الملك شمس الدين كرت .

في مازندران . . .[1] .

وفي ديار بكر والشام : عين السيد تاج الدين محمد الصلاية حاكماً على أربيل ، وذلك في سنة تسع وثلاثين وستمائة (٦٣٩ هـ = ١٢٤١ - ١٢٤٢ م) . وفي تلك السنة أيضا ، أراد بركه خان بن دولتشاه من أمراء السلطان جلال الدين الذي كان حاكماً على بقية الفارين من جيش خوارزم - أن يتزوج من ابنة الملك العادل ، التي كانت والدة لصاحب حلب ، فأمر العادل بتحقير الرسول . فجمع بركه خان جيشا ، وسار إلى ولايتهم . فخرج جند حلب ، وأعملوا فيهم القتل والنهب ، وأخذوا الأسرى .

وبعد ذلك اتفق صاحب حلب مع صاحب حمص على قتال الخوارزميين . ولكن لم تسفر المعركة عن هزيمة أي من الطرفين . وكذلك في هذه السنة انضم بعض الخوارزميين الذين كانوا في كرمان إلى الآخرين في عانه . وقدم محمد بن بركه خان إلى بغداد ، والتحق بخدمة الخليفة ، وانخرط في سلك أصحاب مجاهد الدين أيبك الدواتدار .

وفي سنة أربعين وستمائة (٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ - ١٢٤٣ م) ، وقعت حرب مرة أخرى بين الخوارزميين وأهل حلب ، فهزم الخوارزميون ، وتركوا وراءهم نساءهم وأطفالهم وخيولهم ودوابهم ، وغنم أهل حلب غنائم كثيرة .

وفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة .(٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م) عاود جنود المغول الزحف على ديار بكر والخابور ، وفتحوا حران والرها ، واستولوا على ماردين صلحا . وقد فر شهاب الدين الغازي إلى مصر ، وهناك جلس مسيطرا على الموقف ، وقوى مركزه .

وفي فارس كان الأتابك أبو بكر حاكماً مشتغلا بإعداد الجيش وتنظيمه .

---

(١) هكذا في الأصل

بداية تاريخ منگو قاآن بن تولوي خان بن چنگيز خان

تاريخ منكوقاآن على ثلاثة أقسام :

القسم الأول ـ في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وشعب أولاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته ، وجدول فروع أبنائه .

القسم الثاني ـ في حكايات جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على عرش الخانية ، وتاريخ حكايات زمان حكمه ، وذكر الحروب التي قام بها ، والفتوحات التي تيسرت له .

القسم الثالث ـ في سيره وأخلاقه الحميدة ، والنصائح الغالية والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها ونصح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده ، مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف بصورة متفرقة وغير مرتبة من شتى الكتب والأشخاص .

(القسم الأول)من تاريخ منكوقاآن

في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وشعب أولاده الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته ، وجدول فروع أبنائه

كان منكو قاآن الابن الأكبر لتولوي خان . ولد من زوجته الكبرى « سيور قوقتيتي بيگي » ابنة چاكمبو ، أخي أونك خان ، ملك قبيلة « كرايت » .

كان لتولوي خان زوجات ومحظيات كثيرات من بينهن زوجته الكبرى « قوتوقتي خان » ابنة اولداي بن بوقوگوركان من نسل « ايكيراس » الذي كان صهر چنگيز خان . وقد أنجب من هذه الزوحة ولدين : الأكبر « بالتو » والأصغر « اورنكتاش » . وكان لأورنكتاش ولدان : الأكبر ساربان والأصغر كونجاك . وقد مات كلاهما في سن الشباب . ولم يكن لهما أولاد . وكان ساربان قد قدم مع نوموغان وجيش درسو . ثم اتفق مع شيركي ، وقبض على نوموغان ، وأرسله محمولا إلى مونككا تيمور الذي كان ملكا على اولوس باتو . كذلك حمل شيركي إلى قوبيلاي قاآن ، فأرسله إلى مناطق السواحل والجروم (الأماكن الحارة) ليقضي نحبه هناك . كذلك لمنگوقاآن من هذه الزوجة بنت اسمها « بايالون » زوجها من « چاوقور چين مريك » الذي كان أخا لهولوداي . وكان هولوداي جد هذه الفتاة .

كذلك كان لمنگوقاآن زوجة أخرى اسمها « أوقول قويمش » من قبيلة

اوبرات ، ومن سلالة « قوتوقه بيگي » . وكانت أختا لأولجاي خاتون . وكانت هذه الزوجة قوية الشخصية ، ومسيطرة إلى حد كبير . وفي بادىء الأمر كانت خطيبة لتولوي خان . ولهذا السبب كانت تدعو أخوَيْ زوجها : قوبيلاي قاآن وهولاگوخان بكلمة « ابني » . وكانا يهابانها . ولم تنجب هذه السيدة أولادا ذكورا ، وإنما كان لها بنتان : الكبرى اسمها « شيرين » والصغرى بيجقه . ويقال لها أيضا « كرونان » . وقد زوجت شيرين من چوچمتاي بن تايجو گوركان . وكانت تايجو صغرى بنات چنگيز خان . تزوجها « التالون » من نسل « أولقونوت » . ولما توفيت شيرين ، زوجوا بيجقه من ابن تايجو گوركان .

وكان لمنگوقاآن محظيتان مشهورتان : إحداهما تدعى « باياوچين » من قبيلة « باياوت » . أنجب منها ولدا اسمه « شيركي » . ولشيركي هذا ولد يدعى « أولوس بوقا » . وكان سبب اتخاذ باياوچين محظية ، هو أن أباها سرق وترا لقوس من مستودع للأسلحة ، وعثر عليه في ساق خفه ، فأحضروه لمعاقبته على هذا الذنب . وكانت معه ابنته « باياوچين » فراقت في نظر منگوقاآن ، فأخذها محظية له .

أما المحظية الأخرى فاسمها « كوي يه » من نسل « ايلچيكين » أنجب منها ولدا اسمه « اسوتاي » . وقد اتحد مع « اريق بوكا » ، وشق عصا الطاعة على قوبيلاي . وكان لأسوتاي هذا أربعة أولاد : أكبرهم : أولجاي ثم هولاچو وهنتوم وأولجاي بوقا . وكان هؤلاء الأبناء الأربعة يعيشون في حضرة القاآن . ولم تعرف أحوالهم بالتفصيل . وجدول فروع الأبناء المذكورين مثبت على هذا النمط .

ذكر سبب انتقال القاآنية إلى منكوقاآن ، ومقدمة جلوسه على عرش الخانية والحكم

سبب انتقال القاآنية إليه ، وسعي وتدبير أمه سيور قوقتيتي بيگي في هذا السبيل بما لها من مقدرة وكفاءة

لما توفي « كيوك خان » تطرق الخلل مرة أخرى إلى شئون المملكة . وكانت زوجته أوقول قيمش تدبر مصالح البلاد مع أركان الدولة .

وقبل ذلك أي في الوقت الذي سار فيه أوكتاي قاآن بحملته على ولاية الخطا ، ووافى تولوي خان أجله المحتوم ، كان القاآن ينوح دائما حزنا على فراق أخيه ، ويبكي كثيرا عندما يفرط في الشراب ، ويقول : « إنني جد متألم لفراق أخي . ولهذا أختار أن أغرق في السكر ، لعل شعلة فراقه تخمد لحظة » .

ولفرط تألمه وتحسره على أحوال أبناء أخيه ، أمر بأن تفوض مصالح الأولوس ، وتدبير شئون الجيش إلى زوجته الكبرى سيور قوقتيتي بيگي إحدى عاقلات العالم ، وأن يكون الأبناء والجنود طوع أمرها . وللإشراف على أبنائها ، وتنظيم شئونهم وشئون الجيش والرعية ، أوجدت سيور قوقتيتي بيگي أنظمة لم يكن في مقدور أي ملك أن يأتي بمثلها ، ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذها .

وكان القاآن يستشيرها في مهام الأمور ومصالح المملكة . ولم يكن يحيد عما تراه صالحا ، ولا يجيز التغيير والتبديل في كلامها . وكان أتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام والاحترام . ولم يصدر عنهم في أية فتنة شيء يخالف القوانين القديمة والحديثة .

وعند جلوس كل ملك ، كان الأمراء الأنجال قاطبة يشعرون بالخجل لما فعلوه إلا سيور قوقتيتي بيگي وأبناؤها العظام . ولا شك أن هذا يمكن أن يعد دليلا على بالغ كفاءتها وكمال عقلها وكياستها وتبصرها بعواقب الأمور .

ومنذ وفاة تولوي خان ، حرصت دائما على أن تراعي جانب العشائر والأقارب بتقديم التحف والهدايا . وببذلها جودها استمالت العساكر والأجانب ، وجعلتهم مطيعين لها ومؤيدين ، بحيث أن أكثر الناس ـ بعد وفاة

كيوك خان ـ قد اتفقت كلمتهم على تفويض الخانية إلى ابنها الأكبر منكوقاآن . وعلى هذا المنوال ، صارت تسترضي كل الجهات إلى أن أجلس الله تعالى ـ جل جلاله ـ عروس المملكة بجوار منگوقاآن بفضل حصافتها وكفاءتها.

ورغم أنها كانت تعتنق الديانة المسيحية ، وتعمل على ترويجها ، إلا أنها كانت تسعى سعيا جديا في إظهار شعائر الشريعة الإسلامية .

وكانت تغدق الصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم . ومصداق هذا الأمر ، أنها منحت ألف كيس من الفضة (بالش) لإقامة مدرسة في بخاري ، وأن يتولى ذلك العمل الخير ، ويشرف عليه شيخ الإسلام « سيف الدين الباخرزي » ـ قدس الله روحه العزيز ـ كما أمرت بشراء الضياع ، ووقفها على هذه المدرسة . وقد اختير لها المدرسون وطلاب العلم . وكانت توالي إرسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي ، وتنفق الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين . وظلت تسلك هذا الطريق إلى أن توفيت في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة (٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) . والله أعلم وأحكم .

مقدمة جلوس منگوقاآن على عرش الخانية

عندما توفي كيوك خان ، كان باتو مصابا بمرض في رجله ، فأرسل الرسل على التوالي عن طريق كبار أفراد الأسرة الحاكمة لإعلان العشائر والأقارب بأن يحضر جميع الأبناء لديه ، وعقدوا القوريلتاي . وعلى حد تعبيره : « نجلس على العرش من يكون جديرا به ، ونرى فيه الصلاحية لتولي هذا المنصب » .

ولكن أبناء أوكتاي قاآن وكيوك خان وجغتاي أبوا الانتقال إليه قائلين : « إن اونان وكلوران هما الموطن الأصلي وحاضرة چنگيزخان . ولسنا ملزمين بأن نخطو خطوة إلى دشت القپچاق » .

ثم أنابوا عنهم « خواجه » و « ناقو قونقوريتاي نويان » و « تيمور نويان » الذين كانوا أمراء في قراقورم ، وأرسلوهم إلى القپچاق ليقدموا وثيقة بما يتفق عليه الأمراء الأنجال ، إذ أن « باتو » على حد تعبيرهم « هو الأخ الأكبر لكافة الأمراء ، وأمره نافذ على الجميع . وإننا لن نحيد بأي وجه عما يراه صوابا » .

بعد ذلك قالت سيور قوقتيني بيگي لمنگوقاآن : « مادام الأبناء قد خالفوا الأخ الأكبر باتو ، ولم يذهبوا إليه ، اذهب أنت مع إخوتك ، وقم بعيادته » . فتوجه منگوقاآن وفق إشارة والدته ، قاصدا حضرة باتو . فلما بلغ بلاطه ، وقام بواجبات الإجلال والتعظيم ، شاهد باتو على ناصيته آثار الرشد والكفاءة ، وصرح بقوله : « إن لمنگوقاآن من بين الأمراء الأنجال الاستعداد والأهلية للخانية ، لأنه رأى الدهر خيره وشره ، وذاق كل عمل حلوه ومره ، وقاد الجيوش عدة مرات إلى الأطراف . كما أنه يمتاز على الجميع بعقله وكفاءته .

« وإن ما له من وقار واحترام في نظر أوكتاي ، وبقية الأمراء الأنجال والأمراء والجنود كان ولا يزال على أتم وجه . وقد أرسله القاآن كما أرسل شقيقه كولكان وابنه كيوك معي أنا باتو ومع اورده وأسرة جوجي كلنا دفعة واحدة إلى ولاية القپچاق والممالك الواقعة في تلك المناطق لكي نستولي عليها . فأخضع منگوقاآن قبائل الاوليريك والقپچاق والزوقيناقيين والجركس . كذلك قبض منگوقاآن على باجمان قائد القپچاق ، وعلى « بو مفاس »[1] قائد قبائل الجركس ، وعلى « اجيس » قائد قبائل الآس ، واستولى على مدينة كرمان ، وأعمل فيها القتل والنهب حتى أخضعها » .

« وفي (اوط ييل) أي عام الثور الموافق سنة ثمان وثلاثين وستمائة (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ - ١٢٤١ م) ، أصدر القاآن يرليغا بعودة الأمراء الأنجال . ولكنهم لم يكادوا يصلون حتى توفي القاآن . وكان اليرليغ ينص في جملته على أن يكون حفيده « شيرامون » وليا للعهد . ولكن توراكنه خاتون بدلت فرمان القاآن الراحل ، ولم تستجب له ، وأجلست كيوك خان على عرش الخانية . أما الآن فمنگوقاآن هو الجدير واللائق للملك . وأي ابن آخر من أسرة چنگيزخان يستطيع أن يضبط الممالك والجيوش بفكر ثاقب ورأي صائب ، غير منگوقاآن ابن عمي الصالح « تولوي خان » الذي كان الابن الأصغر لجنگيزخان ، ويشرف على موطنه الأكبر ؟ ! . . . ومن المعلوم أنه بمقتضى الياسا ورسوم المغول ، يحتل الابن الأصغر مكان أبيه . وبناء على هذه المقدمات يكون الملك لمنگوقاآن » .

---

(١) هكذا في الأصل .

ولما استقر رأي باتو تماما على هذا الأمر ، أرسل الرسل إلى زوجات ، چنگيزخان ، وزوجات أوكتاي وأبنائه وسيور قوقتيني بيگي زوجة تولوي خان ، وبقية الأمراء الأنجال وأمراء الميمنة والميسرة يقول : « إن منگوقاآن هو من بين الأمراء الأنجال قد رأى بعينيه قوانين چنگيزخان ومراسيمه ، وسمعها بأذنيه . وإذن فإن مصلحة الالوس والجيش والرعية ، ومصلحتنا نحن الأمراء الأنجال تقضي بأن نجلسه على عرش القاآنية » . ثم أمر بعقد جمعية تضم إخوته : اورده وشيبان وبركاي وجميع أفراد أسرة جوجي ، وقراهولاكو من أبناء چغتاي ، وأحد أمراء الميمنة . ثم أقاموا المآدب عدة أيام . وبعد ذلك اتفقوا على إجلاس منگوقاآن . لكنه كان يأبى ويعارض في تقلد هذا المنصب العظيم ، إذ لم يكن يفكر في هذا الأمر الخطير . وكلما ألحوا عليه ، كان يمانع في اعتلاء العرش .

وأخيرا وقف أخوه « موكاي اوغول » وقال : « لقد تعهدنا كلنا في هذه الجمعية ، وقررنا كتابة ألا نحيد عن أوامر باتو (صاين خان) . فكيف يعدل منگوقاآن عن رأيه الصائب ؟ ! . . » فاستحسن باتو قول « موكاي اوغول » ، وأشاد به . فالتزم منگوقاآن بهذا القرار .

وعندئذ نهض باتو جريا على المعتاد والمعهود عند المغول ، وحل جميع الأمراء الأنجال و « النوينان »[1] أحزمتهم ، ورفعوا قلانسهم ، وجثوا على ركبهم ثم أخذ باتو الكأس . وبذلك وضع الخانية في موضعها . ثم بايع جميع الحاضرين منگوقاآن .

بعد ذلك تقرر أن يُعقد مجلس كبير للشورى في السنة الجديدة ، وعاد كل واحد إلى مقره ومخيمه على هذا الرأي . وقد انتشر نبأ هذه البشرى في الأطراف .

ثم أمر باتو أخويه : بركاي وتوقاتيمور بأن يذهبا في صحبة منگوقاآن ، ومعهما جيش جرار إلى كلوران عاصمة چنگيزخان حيث يعقدون مجلسا للشورى

---

(١) معرد « نوين » ، وهو أمير التومان أي أمير فرقة تعدادها عشرة آلاف جندي .

بحضور كافة الأمراء الأنجال لإجلاس منكّوقاآن على عرش السلطنة . وعلى أثر ذلك انصرف الجمع من عند باتو .

مصراع

العز والإقبال على اليمين ، والفتح والنصر على اليسار .

وأخيرا نزلوا في موضع « چركاي » . وأخذت سيور قوقتيني بيگي تستميل الأقارب والعشائر باللطف والحفاوة ، وتدعوهم لحضور القوريلتاي . ولكن جماعة من ابناء أسرة القاآن وكيوك خان وييسومونككا وبوري ، وأبناء چغتاي كانوا يعارضون ذلك ، ويبثون الفرقة فيما يتعلق بهذا الأمر بحجة أن الخانية ينبغي أن تظل في أسرة القاآن وكيوك خان . وقد أوفدوا الرسل عدة مرات إلى باتو يقولون : « إننا بعيدون عن هذا الاتفاق ، ولسنا راضين عن هذا الميثاق . وإن الملك يصل إلينا بالإرث ؛ فكيف نعطيه شخصا آخر ؟ ! . . . » فردَّ عليهم باتو قائلا : « لقد فكرنا في هذا الأمر بموافقة أعضاء الأسرة الحاكمة . وأنجزناه بصورة لا يمكن فسخها . ولو لم يتيسر التصرف على هذا الوضع ، وتقلد شخص آخر هذا المنصب غير منگوقاآن ، لاختلت أمور السلطنة ، وصارت إلى حالة لا يمكن تداركها . وإذا تأمل الأبناء هذا الأمر ، ونظروا إليه نظرة المتبصر بعواقب الأمور ، لا تضح أنه قد روعي فيه جانب الأبناء والأحفاد ، لأن تدبير شئون مثل هذا الملك العريض الفسيح الذي يمتد من الشرق إلى الغرب لا ينصلح بقوة سواعد الأطفال » .

وهكذا انتهى العام الموعود في الأخذ والرد ، وانتصف العام الثاني ، وشئون العالم ، وأمور الملك تزداد انحطاطا . ونظرا لبعد المسافة بينهم ، لم تتح لهم فرصة الاجتماع . فكان منگوقاآن وسيور قوقتيني بيگي يرسلان إلى كل منهم مراعين في ذلك طريق المراعاة والموالاة .

ولما لم تجد النصائح والمواعظ في تلك الطائفة ؛ صاروا يبعثون إليهم بالرسائل تلو الرسائل على سبيل الوعد والوعيد ، فكانوا يتعللون بشتى العلل . على حين أن منگوقاآن وسيور قوقتيني بيگي كانا يكرران إقامة الحجة عليهم لعلهم ينزجرون بالرفق والمداراة ، ويستيقظون من نوم الغفلة والغرور .

فلما بلغ ذلك العام نهايته ، كانوا قد أرسلوا الرسل إلى كل مكان كي يجتمع الأقارب والأبناء بموضع كلوران ، وبعثوا بـ « شيلامون البيتكچي » إلى اوقول قيمش وابنيها « خواجه » و « ناقو » . كما أرسلوا « العلم دار البيتكچي » إلى ييسومونككا برسائل يقولون فيها : « لقد اجتمع أكثر أفراد أسرة چنگيزخان ، ولم ينعقد القوريلتاي حتى الآن بسبب تخلفكم . وليس ثمة مجال للاعتذار والمماطلة . وإذا كنتم تفكرون في الوفاق والاتحاد ، فينبغي أن تحضروا مجلس الشورى حتى تبرم مصالح الملك بتضامننا » .

فلما عرف هؤلاء أنه لا حيلة لهم، سار « ناقو اوقول » وغادر قداق نويان وجمع من أمراء حضرة كيوك خان ، وييسو نتوقه اوقول حفيد چغتاي خان ـ مقارهم ، وقدموا بمحض اختيارهم إلى شيرامون . ثم اجتمع ثلاثتهم في مكان واحد . وبعد ذلك تحرك أيضا « خواجه » . وكانوا لا يزالون يتصورون أن شئون القوريلتاي لن تتم بدونهم .

وأخيرا أرسل « بركه » رسالة إلى باتو يقول : « لقد مضى عامان ، ونحن نريد إجلاس منگوقاآن على العرش . وسبب ذلك أن أبناء أوگتاي قاآن وكيوك خان وييسومونككا بن چغتاي لم يحضروا » فرد باتو قائلا : « أجلسه أنت على العرش ، وكل شخص يخالف الياسا ، يطاح برأسه » .

فاجتمع الأمراء الأنجال والأمراء الذين كانوا عند منگوقاآن ، مثل بركاي وهرقسون من الأمراء العظام ، وتغاچار . ومن أمراء الميسرة : يكوييسونككه من أبناء جوجي قسار وايلچيتاي بن قاچيون وتغاچار بن اوتچي نويان وأبناء بيلكوتاي الذين كانوا جميعا أبناء إخوة چنگيزخان . ومن أمراء الميمنة قراهولاكو من أبناء چغتاي ، وقدان من أبناء أوگتاي قاآن ، ومن أحفاده مونكدو بن كوتان وإخوة منگوقاآن ، وقوبيلاي قاآن واريق بوكا ، اجتمع كل هؤلاء . ثم اختار المنجمون طالعا سعيدا . وكان من دلائل إقباله المتزايد أن الجو خلال عدة أيام كان مكفهرا ، فالسماء كانت محتجبة بنقاب السحب ، والأمطار تهطل باستمرار . ولم ير أحد وجه الشمس . ولكن في هذه الساعة التي كان المنجمون قد اختاروها ، وكانوا يريدون أن يرصدوا فيها الطالع اتفق أن ظهرت الشمس من بين ـ

السحب ، فأضاءت العالم ، وتفتحت السماء بمقدار جرم السماء . فأخذ المنجمون مقياس الارتفاع بسهولة .

ثم إن جماعة الحاضرين من الأمراء الأنجال المذكورين والأمراء العظام المشهورين ، وسراةكل قوم ، والجنود الذين لا حصر لهم ممن كانوا في تلك الجهات ، جميعهم رفعوا القلانس ، وألقوا الأحزمة على أكتافهم . وفي « قاقاييل » الذي هو عام الخنزير الموافق « لذي الحجة سنة ثمان وأربعين وستمائة »[1] (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) ، أجلسوا منگوقاآن على سرير الحكم وعرش السلطنة في منطقة قراقورم التي كانت عاصمة چنگيزخان . أما الأمراء والجنود الذين كانوا خارج المعسكر فقد ركعوا تسع مرات اقتداء بالأمراء الأنجال .

وإبان جلوسه المبارك ، فكروا في كيفية إدارة شئون الحكم حتى يقوم كل واحد بواجبه . واتفقوا على أن يجلس بركاي في مكانه بسبب وجع رجله . وقرروا أن يليه قوبيلاي ، وأن يصغي الجميع إلى كلامه . فأشار بأن يقف منگوقاآن على الباب ، ليتمكن من منع الأمراء الأنجال ، والأمراء من الخروج . ثم أمر هولاگو بأن يقف أمام الطهاة والسقاة حتى لا يتفوه أحد بكلام في غير موضعه ، أو يستمع لمثل هذا الكلام . وقد رتبوا الأمور على هذا النحو . وكان كلا هذين الأميرين يجيء ويروح حتى استقامت أمور القوريلتاي .

ولما جلس منگوقاآن على عرش البلاد باليمن والبركة ، أراد - في هذه المناسبة ، مدفوعا بكمال علو همته - أن يهيء وسائل الراحة لكل الأجناس ، والأنواع ، فأصدر قرارا بألا يسلك أي مخلوق في هذا اليوم المبارك طريق المنازعة والمشاجرة ، وأن يشتغل الجميع بالمتعة والأنس . وكما أن أصناف الناس يأخذون من الدهر نصيبهم من التمتع والتلذذ ، ينبغي ألا تكون أنواع الحيوانات

---

(١) يقول ابن العبري : « وفي سنة تسع وأربعين وستمائة في وقت الربيع حضر أكثر الأولاد مثل بركه اغول وأخوه بغاتيمور وعمهم الجتاي الكبير والأمراء المعتبرين من اردو چنگير خان . وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر كشفوا رؤوسهم ،ورموا مناطقهم على أكتافهم ، ورفعوا مونككا على سرير المملكة ، وموبككا قاآن سمّوه ، وجثوا على ركبهم تسع مرات » .
(تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦١) .

وأجناس الجمادات أيضا بغير نصيب من تلك الميزات . وأمر أيضا بألا يتعرض الناس للحيوانات المستأنسة من المركوب والمحمول ، وألا يشقوا عليها بعناء الركوب والحمل والقيد والشكال ، وألا تراق دماء الحيوانات المباح أكلها بحكم الشرع ، وأن تكون الوحوش من الطيور والزواحف ـ برية كانت أم مائية ـ آمنة من سهام الصيادين وشباكهم ، فتخفق أجنحتها في رياض الأمان وفق مرادها ، وألا يتعبوا أديم الأرض بدق المسامير ، وطرق النعال ، وألا يلوثوا الماء الجاري باستعمال الأنجاس والأرجاس .

فسبحان الله لوجود شخص جعله الباري تعالى منبع الرحمة ومجمع فنون العدالة إلى حد أنه يريد إراحة سائر الحيوانات والجمادات ، وإلى أي درجة يستطيع القيام بإصلاح حال الضعفاء ، وبسط العدل والرأفة بين الخواص والعوام . فليمتع الله تعالى أسرته المشهورين أعواما مديدة وقروناً عديدة بالملك والإقبال بمنه ولطفه .

وهكذا واصلوا النهار بالليل على هذا المنوال . وفي اليوم التالي أقاموا مأدبة في إحدى الخيام ، كان قد أعدها الصاحب يلواج من الاقمشة المنسوجة والمزركشة بالألوان المختلفة بحيث أنه لم يقم أحد ـ قبل ذلك ـ خيمة مثلها ، ولم يعد سرادقا على شاكلتها .

وعلى الوجه الذي مرّ ذكره ، تربع ملك العالم على العرش. واجتمع الأمراء الأنجال على يمينه كعقد الثريا ، ووقف إخوته السبعة النبلاء ـ في أدب ـ على خدمته . وجلست على يساره زوجاته على مثال الحور العين . وكان السقاة ذوو السيقان الفضية يطوفون بكؤوس القميز ، وبأباريق الشراب وأكوابه . وقد وقف بين النويان ، مقدمهم منكاسار في مكان المشرفين على الذخيرة في خشوع وخضوع كالعبد ، واصطف الكتاب والوزراء والحجاب والنواب ، ومقدمهم • بلغا آقا • كل في مرتبته ومقامه . ووقف ـ بأدب ـ سائر الأمراء والحاشية خارج السرادق كل في موضعه . وعلى هذا النمط دامت الملذات والمسرات مدة أسبوع. ولقد تقرر ـ يوميا ـ لبيت الشراب ألفا دن من الشراب والقميز ، وللمطبخ ثلثمائة رأس من الخيل والثيران ، وثلاثة آلاف رأس من الغنم . ونظرا لحضور بركاي ، كانوا يذبحونها بالطريقة المشروعة .

وأثناء إقامة هذه المادب ، وصل «قدان اوقول» وأخوه «ملك أوقول» و«قراهولاكو» ، فقدموا مراسم التهنئة حسب عادتهم المعهودة ، وطريقتهم المألوفة . واتفقوا جميعا على استيفاء الملذات والمتع . والسلام .

حكاية تدبير الغدر والمكر من جانب بعض الأمراء الأنجال من أسرة أوگتاي في حق منگوقاآن ، واكتشاف تلك الواقعة على يد كشك القوشچي ، وإبلاغ منگوقاآن هذا النبأ ، وإلقاء القبض على المتآمرين

لما كان منگوقاآن وأنصاره ينتظرون وصول بقية الأمراء الأنجال ، ويسرفون في ضروب الأنس والطرب ، ولم يكن أي مخلوق يتصور أن قوانين چنگيز خان العتيدة تقبل التغيير والتبديل ، أو أن أي خلاف أو نزاع قد وقع بين أفراد أسرته . لما كان ذلك كذلك ، صاروا يهملون جانب الاحتياط في غمرة لهوهم وأنسهم .

ومضمون الواقعة هو أن شيرامون وناقو من أحفاد أوگتاي قاآن ، وتوتوق ابن قراچار قد اتفقوا مع بعضهم ، واقتربوا من مقر منگوقاآن . وكانت معهم عربات كثيرة مكدسة بالعتاد . وقد أضمروا المكر والغدر .

ولكن فجأة ونتيجة للمصادفات الحسنة التي هي دليل الإقبال حقاً أن سائساً يدعى كشك من قبيلة القنقلي ، ومن الصيادين التابعين لمنگوقاآن قد ضاع منه جمل ، فصار يتجول للبحث عنه ، وتصادف وجوده بين مرابط جيش شيرامون وناقو ، فرأى جنودا كثيرين ، ومعهم عربات لا حصر لها ، ومعبأة تماما - من حيث الظاهر - بالمأكولات والمشروبات اللازمة لتقديم التهنئة في المأدبة . ولكنه كان غافلا عن اكتشاف السرّ في هذا الأمر ، إذ ظل يبحث عن ضالته إلى أن قابل صبيا في الطريق كان يجلس أمام عربة محطمة . فظن الصبي أن الفارس واحد منهم . فطلب إليه أن يساعده في إصلاح العربة . فترجل كشك لكي يعاونه ، فوقع نظره على أسلحة ومعدات حربية كانت قد عبئت في العربة . فسأل الصبي : ما هذا الحمل ؟ أجاب : أسلحة كالموجودة في

العربات الأخرى . فعرف كشك أن المسير بعربات مملوءة بالأسلحة أمر لا يخلو من مكر وغدر ، لكنه تظاهر بالغفلة . وعندما فرغ من معاونة الصبي ، وصل ليلا إلى أحد المنازل ، وتقدم على أنه ضيف ، وبجرأة أخذ بالتدريج يستفسر عن الأحوال . فلما وقف على الحقيقة ، وثبت لديه أن تفكير تلك الجماعة قائم على المكر والنفاق ، وأنهم مصممون على أن يتجاوزوا جادة الحرمة عندما يشمل منگوقاآن وأتباعه أثناء الحفل المبارك ، فيمدون يد التطاول ، وينفذون ما تشاوروا بشأنه . ولكن « لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » . إذ أن كشك لم يتمالك نفسه ، فأخذ بكمام ناقته ، وقطع مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد . وفجأة اقتحم البلاط دون استئذان وبغير وجل ، وبدأ يتكلم بثبات وثقة ، فقال : « لقد شغلتم باللهو والطرب ، على حين أن الأعداء قد نهضوا لمهاجمتكم ، وهم يترقبون الفرصة . وقد أعدوا أسباب القتال » . ثم سرد على منگوقاآن كل ما شاهده ، وصار يحرضه على المبادرة بتلافي ذلك الخطر ، واتخاذ التدابير العاجلة للحيلولة دون وقوع هذه الكارثة .

وحيث أن أمثال تلك الحيل لم تكن معهودة في قوانين المغول ، لا سيما في عهد دولة جنگيز خان وأسرته ، صاروا يستبعدونها للغاية ، وأخذوا يسألونه عدة مرات عما تفوه به . فكان كشك يجيب نفس الإجابة دون أي اختلاف . ولكن ذلك الكلام لم يجد أذنا مصغية من منگوقاآن ، ولم يعر ذلك التفاتا . غير أن كشك كان يصر على صحة أقواله . وكان يشاهد على ملامحه القلق والاضطراب . أما منگوقاآن فقد بدا عليه السكون والثبات .

ولكن الأمراء الأنجال ورؤساء الفرق الذين كانوا حاضرين ، صاروا ينكرون على منگوقاآن هذا الثبات احترازاً من أنه قد يقع سوء . وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء الأنجال يريد أن يخطو خطوة في سبيل تدارك هذا الأمر ، فيذهب بنفسه ليتحرى عن حقيقة الموقف .

وأخيراً اتفقوا فيما بينهم على أن يتقدمهم الأمير « مانكسار نويان » الذي كان كبير أمراء الحضرة ، ويقف على جلية الأمر . فتحرك ـ بناء على هذا الأمر ـ مع ألفين أو ثلاثة آلاف من الفرسان ، ووصل إلى أماكن المتآمرين في الصباح المبكر .

ثم أوغل في السير مع خمسمائة فارس شجاع حتى أشرف على منازلهم ، فوصل الجنود من كل جانب . وكان شيرامون قد ترك القسم الأكبر من جيشه وأفراد أسرته في موضع « ماسكي » . وكان يجيء مع فرقة مكونة من خمسمائة فارس . وفي موضع « ساري كهرا » أدرك الأمير « منكاسار » المذكور والأمير « موكه » الذي كان قائدا للجيش ، وجسوقبال گوركان من قبيلة كرايت ، والجنود الذين كانوا معه ، أدركوا شيرامون وناقو وتوتوق وبقية الأمراء الذين كانوا في معيتهم ، وأحاطوا بهم ، فأرسلوا إليهم رسولا يقول : « إنه قد نقل عنكم ، ووصل إلى مسامع القاآن المباركة أنكم قدمتم بنية سيئة . فإذا كان هذا الكلام مخالفا للحقيقة ، فإن الدليل على حسن نواياكم هو أن تتوجهوا إلى بلاط القاآن دون تفكر وتردد . وإلا فالفرمان يقضي بأن نلقي القبض عليكم ، ونحملكم إلى هناك . فأي الأمرين تختارون ؟! . . . » .

فلما سمعوا ما جاء بتلك الرسالة ، ظلوا في غاية الحيرة والاضطراب ، وأصبحت أحوالهم كنقطة وسط دائرة ، لأن أتباعهم وأشياعهم كانوا بعيدين عنهم . فرضخوا لحكم القضاء مضطربين ، وأنكروا هذا الأمر ، وقالوا : « إننا نجيء بنية صادقة » . واتخذوا قرارا بالإجماع على أن يسيروا إلى حضرة منگوقاآن . وعندئذ تقدم الأمراء المذكورون إلى شيرامون والأمراء الأنجال ، وتبادلوا معهم أقداح الشراب . ثم توجهوا إلى حضرة القاآن مع نفر من الفرسان . فلما اقتربوا من بلاط منگوقاآن ، جردوهم من السلاح ، واعتقلوا أكثر أتباعهم . ثم صدر فرمان يقضي بأن يقف في الخارج جماعة من الأمراء الذين في صحبة الأمراء الأنجال ، وتم اعتقالهم جميعاً . أما الأمراء فقد احتفوا بهم تسعة تسعة ثم دخلوا المعسكر ، وأقاموا المآدب ثلاثة أيام دون أن يسألوهم شيئا قط . وفي اليوم الرابع عندما قدموا إلى البلاط ، ورغبوا في الانصراف ، وصل رسول من لدن منگوقاآن ، وقال : « انتظروا اليوم » . وفي الحال وصل رسول آخر ، وصرح قائلاً : « إن على جميع الخدم والجنود الذين كانوا مع هؤلاء الأمراء ـ أن يذهبوا إلى أماكنهم بالألف والمائة والعشرة لأنهم إذا مكثوا هنا ، فسوف يقتلون » .

فعادوا جميعاً بموجب هذا الفرمان ، وبقي الأمراء الأنجال وحدهم ، وعُيِّن عدد من الجنود لحراستهم .

حكاية حضور منكوقاآن إلى معسكر چنگيزخان واستجوابه الأمراء بنفسه

في اليوم التالي حضر منكوقاآن إلى معسكر چنگيز خان ، وجلس على كرسي ، وحقق بنفسه مع شيرامون والأمراء الأنجال ، فسألهم : « لقد نقل عنكم أنكم تصرفتم ، على هذا المنوال من الغدر وسوء النية . ولو أنه لا يصدق ولا يعقل ، ولا يقع موقع المسموع والمقبول في أذن العقل ، غير أنه ينبغي البحث والتحري عن طريق المباسطة حتى يتجرد وجه اليقين من غبار الشك والشبهة . وإذا كان هناك بهتان وافتراء ، فسوف يلقي الكذاب والملفق جزاءه فيكون عبرة للعالمين » .

فأنكر الأبناء ذلك قائلين : « لا علم لنا بهذا الأمر » . فأمر بإحضار المدعو « باباكرديدي » أتابك شيرامون » وسئل عما نسب إلى شيرامون وأتباعه فأنكر . فلما أمر منكوقاآن بأن يُستجوب مع ضربه بالعصا ، أقر بالحقيقة ، وقال : « إن الأبناء يجهلون هذه المؤامرة . وإننا نحن الأمراء قد تشاورنا ، واتفقنا على تدبيرها . ولكن حال دون تنفيذها إقبال منكوقاآن » . ثم طعن نفسه بالسيف فمات .

قصة محاكمة « منكاسار نويان » للأمراء الذين بيتوا نية الغدر بالاتفاق مع الأمراء الأنجال

في اليوم التالي أمر باعتقال جماعة من رؤساء الفرق والأمراء مثل ايلچيتاي القائد الكبير ، وتونال وقاتاكرين وچنكي وقلختاي وسرغان وتونال خرد وطوغان وييسودر الذين كان كل واحد منهم يتصور أن الفلك لا يقوى عليه . ومعهم جماعة أخرى من أمراء الفرق الأعلى والرؤساء ممن يؤدي ذكرهم إلى التطويل . وقد أمر الأمير منكاسار المحققين بالجلوس ، وشرعوا يحققون مع جمع آخر من الأمراء ، ويستجوبونهم ، وظلوا يحققون معهم عدة أيام فيما يتعلق بهذا

الاتهام ، ويدققون معهم في توجيه الأسئلة إلى أقصى حد حتى تضاربت أقوال تلك الطائفة في نهاية الأمر . ولم يبق أي بشك في إدانتهم ، وأقروا جميعا باشتراكهم في المؤامرة ، وصرحوا قائلين : «كنا قد تشاورنا في مثل هذه الخطة ، وبيتنا النية على الغدر» . غير أن منگوقاآن جريا على عادته المحمودة ، أراد أن يشرفهم ويمنحهم العفو والإغماض عن جرمهم . ولكن الأمراء الأنجال والنوينان والأمراء قالوا : «إن التعود على الإهمال والإمهال في القضاء على الخصوم عند سنوح الفرصة أمر بعيد عن منهج الصواب .

بيت

إنما ينبغي أن تأمر بكى الجرح . . . ،

فلن يجدي المرهم نفعا إذا وضعته عليه .

فلما عرف منگوقاآن أن قول أمرائه عن إخلاص ، وليس على سبيل التمويه والنفاق ، أمر بتقييد جميع المتهمين وسجنهم ، وصار يفكر مدة في أمرهم .

وذات يوم كان جالسا في البلاد على عرش السلطنة وسرير السيطرة . فأمر بأن يذكر كل واحد من الأمراء وأركان الدولة نصيحة جيدة مما يرونه مناسبا في حق المجرمين . فأخذ كل منهم يتفوه بكلام على قدر عقله ، ودرجة علمه . ولكن أقوالهم لم يكن لها أثر في نفسه . وكان محمود يلواج واقفا في آخر المجلس . فقال منگوقاآن : « « لم لا يقول الجد[1] شيئا ؟! . . . » فقال الحاضرون : « تعال ! . . وتكلم » فرد قائلاً : « الناس في حضرة الملك إن يكونوا أذنا تسمع ، فذلك خير من أن يكونوا لسانا يتكلم . لكني أتذكر حكاية إذا أذن لي فسوف أقولها » . فقال منگوقاآن : « قل » .

فقال يلواج : « لما استولى الاسكندر على أكثر الممالك ، أراد أن يسير إلى الهند . غير أن أمراء الدولة وأعيانها خرجوا على طاعته ، ورفضوا متابعته ، فأخذ كل منهم يعلن الاستقلال والاستبداد . فلما عجز الإسكندر عن إقناعهم ، أرسل رسولا إلى بلاد الروم لدى وزيره المنقطع النظير «أرسطاطاليس» ، وأطلعه على تمرد أمرائه وعصيانهم ، وسأله : «ما التدبير في هذا

---

(١) ترجمة لكلمة أبو كان أو ابوكى (أنظر : Pavet De Courteille, P.2.)

الأمر؟ . . . فدخل أرسطو ومعه الرسول إحدى الحدائق ، وأمر بأن تجتث الأشجار الكبيرة من جذورها ، وتغرس في موضعها الشجيرات الصغيرة الضعيفة . ولم يكن يجيب على ما طلبه الرسول . وعندما مل الرسول الانتظار ، عاد إلى الإسكندر ، وقال : إنه لم يعط أي جواب . فسأله الإسكندر : ماذا شاهدت منه ؟! . . . فأجاب : دخل إحدى الحدائق ، وأخذ يقتلع الأشجار الضخمة ، ويغرس مكانها شجيرات صغيرة . فقال الإسكندر : «لقد أجاب ، وأنت لم تفهم مقصوده» . ثم أهلك الأمراء المتسلطين الذين كانوا ثائرين ، ونصب أبناءهم مكانهم .

فأعجب منگوقاآن جدا بذلك القول ، وعرف أنه ينبغي البطش بتلك الجماعة ، وإحلال طائفة أخرى محلها . وعلى هذا أمر بأن تضرب بالسيف أعناق الأمراء المحبوسين ، والأشخاص الذين كانوا يحرضون الأمراء الأنجال على العصيان ، وأوقعوهم في ورطة مثل هذا الإثم . وكانوا سبعة وسبعين شخصا ، قتلوا جميعا من جملتهم ولدان لايليجيكتاي ، صاروا يضربون فاهيهما بالحجارة إلى أن ماتا . واعتقل أبوهما في بـادغيس ، وذهبوا به إلى حضرة باتو ، فألحقه بولديه . والسلام .

حكاية وصول ييسون توقا حفيد چغتاي ، وزوجته طوقاشي ، وبوري ، وكيفية أحوالهم في تلك القضية

وصل أيضاً ييسون توقا وزوجته طوقاشي ، وبوري . وكانوا قد تركوا جميع الجنود في الطريق ، وقدموا بأنفسهم مع ثلاثين فارسا ، وأرسلوا بوري في صحبة الرسل إلى حضرة باتو ، فقضي عليه بعد ثبوت جرمه . وحقق قراهولاكو مع طوقاشي خاتون بحضور ييسو نتوقا ، وأمر بأن تهشم أعضاؤها بضربات الأقدام ، وأن يشق صدرها المملوء بالحقد الدفين .

ولما كان قدان نويان ـ عند مسير شيرامون وناقو ـ يعرف أنه المهيّج لتلك الفتنة ، والمثير لغبار تلك الوحشة ، وأنه ليس في مقدوره تدارك ذلك الأمر ، توارى عن الأنظار . ولكن وصل إليه فجأة وكلاء القاآن ، كأنهم قابضو الأرواح ، فقال :

مصراع
رحل الرفاق جميعهم ، والآن حلّت نوبتك

ولأنه كان يدعي المرض ، أجلسوه في عربة ، وأحضروه . فلما بلغ حضرة القاآن ، صدر الفرمان بالتحقيق معه على الرغم من أن جرمه كان أوضح وأشهر من كفر إبليس . وبعد أن أقر واعترف بذنبه ، صدر الفرمان بأن يلحقوه برفاقه . والسلام والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين .

حكاية استدعاء « منگوقاآن » « أو قول قايميش خاتون » و« خواجه بن كيوك خان » ، وقتل « اوقول قايميش » ، وكيفية معاقبة « بيدي قوت »

لما لم يكن بعض المجرمين قد وصلوا بعد ، ولم تكن قلوبهم قد تطهرت من حقد خبثهم ، أرسل منگوقاآن « بريكتاي نويان » مع مائة ألف جندي من الأتراك ، الشجعان إلى حدود أولوغ طاق وموبقاي وتوبلنك الواقعة بين بش باليغ وقراقورم كي ينضموا حلقة حلقة إلى « قونقرات أوغول » الذي كان على حدود قياليق ، وكان يصطف بجنوده حتى ساحل أترار ، وأرسل منگوقاآن موكانويان إلى حدود قيرقيز « وكم كمچيوت » ، ومعه عشرون ألف جندي . وأرسل « شيلامون البيتكچي » رسولاً إلى « أوقول قيمش » و« خواجه » اللذين لم يكونا قد وصلا ، وأبلغهما قائلاً : « إذا لم يكن لكما دور المشاركة في هذه المؤامرة ، فإن سعادتكما تكون في المبادرة بالمجيء إلى الحضرة » .

وبعد أن أدى شيلامون الرسالة ، أراد « خواجه أوغول » أن يؤذيه . فأقبلت زوجته ـ التي كانت أقل شأناً من بقية الزوجات ، ولكن أكثرهن عقلاً ودهاء ـ قبل تنفيذ هذه الفكرة ، وقالت : « يجب على الرسول تبليغ الرسالة . ومن المعروف أنه لم يتعرض بسوء لرسل الأعداء في أي عهد من العهود . فكيف يمكن إيذاء رسول ، قدم من لدن منگوقاآن ؟! . . . وأي نقص يمكن أن يلحق بالملك من قتل نفس واحدة خاصة عندما تكون ضمن تلك المفاسد

المتوقعة ، فتتموج من جراء ذلك بحار الفتنة والثورة ، وتصير الدنيا المستقرة قلقة ومضطربة ، وتلتهب نيران البلاء . وعندئذ لا تنفع الندامة . إن منكوقاآن هو الأخ الأكبر ، وفي مقام الأب ، فيجب الذهاب إلى حضرته ، والانقياد لأوامره » .

فأصغى « خواجه » إلى نصيحتها المشفقة بسمع الرضا ، وأعز شيلامون واحترمه وأكرمه . ثم توجه مع زوجته إلى الحضرة وبيمن إصغائه إلى نصيحتها ، لم يقع في ورطة المتاعب اللانهائية ، ونزل في ساحة الأمن والاستقرار .

أما « أوقول قيمش » والدة « خواجه » فقد أعادت الرسول قائلة : « إنكم معشر الأمراء الأنجال قد تعهدتم ، وقدمتم وثيقة خطية بأن يظل الحكم دائماً في أسرة أوكتاي قاآن ، وألا تخالفوا أولاده ، ولكنكم الآن قد نقضتم العهد ، ولم تنفذوا هذا الكلام » .

فلما أبلغ منكوقاآن هذه الرسالة ، غضب غضباً شديدا ، وكتب يرليغا ينص على أن زوجات جوجي قسار واوتجكين وبلكوتاي نويان ـ الذين كانوا إخوة جنگيز خان ـ كن ممن حضرن القوريلتاي .

وإذا كان قامان وقدان وجينقاي وبلا ـ الذين كانوا أمراء معسكر كيوك خان ـ ينادون بشخص ملكاً أو ملكة ، أو يرفعونه إلى العرش ، فيصير حسب قولهم ملكاً أو ملكة ، فسوف يرون ما يرون » .

ثم أرسل في الحال رسلاً ، قبضوا على أوقول قيمش ، وأحضروها بعد أن خاطوا يديها في جلد ثور . فلما وصلت ، أرسلوها مع والدة شيرامون « قداقاج خاتون » إلى معسكر سيور قوقتيتي . ثم عرّاها المحقق « منكاسار » وشرع يحقق معها ، ويستجوبها فقالت : « إن الجسم الذي لم يكن قد رآه أحد سوى الملك ، كيف يشاهده شخص آخر ؟! . . . » .

وبعد أن حققوا معها في التهم المنسوبة إليها ، لفوها في لباد ، وقذفوا بها في اليم . كذلك وصل « جينقاي » ، فقضي عليه أيضاً بيد « دانشمند حاجب » ، وذلك في رمضان سنة خمسين وستمائة (٦٥٠هـ = ١٢٥٢م) .

وفي « بش باليق » اتفق « بيدي قوت » - الذي كان زعيما للبوذيين - مع جماعة على أن يخرجوا في يوم الجمعة لقتل جميع المسلمين عندما يجتمعون في المسجد الجامع . واتفق أن أسلم غلام كان معهم ، وكان مطلعا على ذلك التدبير . فوشي بهم ، وأثبت إدانتهم . بعد ذلك أحضر « بيدي قوت » وحقق معه ، فاعترف بذنبه . وصدر فرمان بحمله إلى « بش باليق » ، حيث قتل على مشهد من كافة الخلق .

حكاية إيفاد منكوقاآن بعض الأمراء إلى كل ناحية للقضاء على بقية المتمردين ، وعفوه عن ذنوب الأقارب

لما كان بعض المتمردين لا يزالون في الزوايا والخبايا، وتطول إجراءات إحضارهم ، ويتعذر ذلك ، أرسل منكوقاآن المحقق « بالا » مع طائفة من الأتباع إلى جنود ييسومونككا ليتحرى عن أحوال تلك الجماعة ، ويقتل كل من اشترك في تلك المؤامرة كما عيّن القاآن أميرا آخر لهذه المهمة في ولاية الخطا .

وحيث أنه قد زال من الخاطر المبارك التفكير في أحوال الأشرار ، اقتضى حسن خلق الملك السعيد أن يعتبر رعاية جانب القرابة وصلة الرحم فرض عين عليه ، فأمر بأن يسير شيرامون بصحبة قوبيلاي، قاآن وناقو وجغان نويان إلى إقليم الخطا ، وأن يعفى « خواجه » من العمل في الجيش مراعاة لحق زوجته التي كانت قد تكلمت بقول محمود . كذلك عيّن منكوقاآن مقرا له على حدود « سلنكه » القريبة من « قراقورم » .

وقصارى القول أن الخلاف قد بدأ يظهر منذ ذلك الوقت بين المغول . وكان جنگيز خان قد أوصى أبناءه بالاتفاق والاتحاد ، فقال لهم : « إن الإقبال والنصر يكونان حليفاً لكم ما دمتم تتفقون مع بعضكم البعض . وبهذا لا يظفر بكم عدوكم » . وبهذه الصفة تيسرت لجنگيز خان وأفراد أسرته السيطرة على أكثر ممالك العالم .

ويقال إنه ذات يوم في بدء خروجه للغزو والفتح ، أخذ ينصح أبناءه ، فأخرج لهم على سبيل التمثيل والتشبيه سهما من كنانته ، وسلمه لهم قائلاً : « اكسروا هذا السهم » . فانكسر بقليل من الجهد . ثم أعطاهم سهمين ،

فانكسرا بسهولة . وعلى هذا النحو صار يزيد السهام حتى بلغت العشرة ، فعجز عن كسرها الأقوياء وأبطال الجند . عندئذ قال لأولاده : إن أحوالكم على هذا المنوال . فيا دمتم متحدين ومتضامنين ، لن يظفر بكم أحد ، وتتمتعوا آمادا طويلة بالملك والممالك » . فإذا سلك سلاطين الإسلام هذه الطريقة ، لما استؤصلت أسرهم أبداً .

حكاية استئذان الأمراء الأنجال والأمراء حضرة منكوقاآن في العودة بأسرهم ، وإيفاده إياهم بالإعزاز والإكرام والرعاية التامة

لما فرغ بال منكوقاآن المبارك من المهام الضرورية ، واستقرت الأوضاع في الملك والممالك المضطربة ، وخلص له الملك باتفاق جملة الأمراء الأنجال ، التمس هؤلاء الأمراء الأنجال والأمراء الإذن لهم بالعودة إلى مواطنهم . فأمر بتكريمهم ، وأن يذهب كل منهم إلى مقره مشمولين بصنوف المكرمات ، وفنون العواطف .

ونظرا لبعد المسافة ، وطول مدة مفارقة بركاي وتوقاتيمور لحضرة باتو ، بادر بإعادتهما قبل الآخرين ، ومعهما صلات لا حصر لها .

كما أرسل إلى باتو - بصحبتهما - الهدايا والتحف ما يليق بملك مثله .

كذلك شمل برعايته أبناء كوتان : « مونكدو » و« قدغان اوغول» و« ملك اوقول » . فأنعم على كل منهم بقصر من قصور القاآن بما فيه من الخواتين . وأعاد أيضاً قراهولاكو بكل إعزاز وتكريم ، ومنحه مقام جده الذي كان قد اغتصبه منه عمه ييسومونككا فرجع وقد حقق مراده . ولكن عاجلته المنية قبل بلوغ مأربه .

وكذلك فعل منكوقاآن مع بقية الأمراء الأنجال والأمراء والنوينان ، فأعادهم بعد أن أنعم على كل منهم حسب منزلته ومرتبته ، وجعل « كشك » ترخانا[1] ، وأعطاه المال الكثير ، فصار ثريا ثراء تاما ، وارتفعت منزلته إلى أقصى حد .

(١) ترخان : لقب يخول لصاحبه أن يتمتع بالإعفاء من جميع المؤن والتكاليف ، وأن يسلم له ما يغنمه في الحرب . وله أن يدخل على القاآن دون استئذان . ولا يعاقب على ما يقترفه من ذنوب .

ولما عاد الأمراء الأنجال والأمراء ، وانجزت مهماتهم ، وجه عنايته إلى ضبط شئون المملكة وترتيبها ، وعمر الدنيا بعدله . والسلام .

حكاية نظر منگوقاآن في أمور الممالك ، وابتكار طريقة لضبطها وانتظامها ، وتقديم المساعدات لأصناف الناس ، وإعادة حكام الأطراف

لما كانت همة منگوقاآن الملكية منصرفة إلى رعاية المطيعين ، وقهر المتمردين ، اتجه عنان تفكيره المبارك إلى الترفيه عن الرعايا ، وتخفيف أنواع المؤن عنهم . فاختار لكمال عقله الجد على الهزل ، وترك إدمان شرب المدام .

وقد بادر أولا بإرسال الجنود إلى أقاصي الشرق والغرب ، وديار العرب والعجم ، وولى على بلاد الشرق الصاحب محمود يلواج الذي قرن سوابق الطاعة والعبودية بلواحق الإخلاص والتأييد ، وارتبط بشرف الطاعة قبل الجلوس المبارك . وأعطى بلاد التركستان وما وراء النهر وبلاد الاويغور وفرغانة وخوارزم للأمير مسعود بيك الذي كان قد تحمل كثيرا من المخاوف والمخاطر بسبب صدقه وإخلاصه للحضرة . وقد تشرف كوالده قبل الآخرين بتقبيل تراب أعتاب الحضرة المشرفة . ونظرا لثبوت ذلك الحق ، رد لهما حقوقهما السابقة . كما اختص بأنواع الإنعام والرعاية الأشخاص الذين كانوا قدموا في صحبتهما من كل طرف .

أما الأمير أرغون اقا الذي كان قد وصل بعد انعقاد القوريلتاي بسبب بعد الطريق ، وخروجه من مكان قصيّ ، والذي عرف قبل ذلك بإخلاصه وتفانيه وطاعته للحضرة ، فقد ميزه القاآن بإنجاح المآرب وإدراك المطالب ، وفوض إليه حكم أقاليم إيران وغير إيران مثل خراسان ومازندران والعراق وفارس وكرمان وآذربيجان وجورجيا (گرجستان) واللور وأران والأرمن والروم وديار بكر والموصل وحلب . وقد أنعم على كل من كان في صحبته من الملوك والأمراء والنواب والكتاب وفق رأيه الصائب . وعاد في العشرين من رمضان المبارك سنة خمسين وستمائة (٦٥٠ هـ = ١٢٥٢م) . وقد أرسل القاآن « علي

ملك ، لمعاونته ، ومنحه ملك إصفهان ونيسابور بصفة خاصة . ثم صدر فرمان يقول : « قوما من جديد بإحصاء كل الرعايا والجنود ، وقررا لهم راتبا معينا . فإذا فرغتما من تلك المهام ، عودا إلى حضرتنا » . كذلك أمرهما قائلا : « انهضا بواجب البحث والتحري عن الأموال السابقة ، لأن هدفنا هو ترقية أحوال الرعايا ، وليس توفير الأموال للخزائن » .

كذلك أصدر القاآن مرسوما بشأن تخفيض الضرائب عن الرعايا . ومن المعروف أنه بعد كيوك خان كان كثير من الخواتين والأمراء الأنجال قد منحوا الناس اليرالغ والپايزات بغير حساب ، وأرسلوا الرسل إلى أطراف الممالك وأكنافها ، وحموا الوضيع والشريف بحجة التجارة . فأمر منگوقاآن الجماعة المذكورة بأن يبحث كل منهم في ولايته ليسترد كل المراسيم والپايزات التي حصل عليها الناس في عهد جنگيز خان وأوگتاي قاآن وكيوك خان والأبناء الآخرين ، وألا يكتب الأمراء الأنجال ـ بعد ذلك ـ منشورات عن أمور تتعلق بمصالح الولايات دون استطلاع رأي نواب الحضرة ، وألا يصدروا أوامر لأي شخص ، وألا يستعمل الرسل الكبار أكثر من أربعة عشر جوادا ، وأن يتنقلوا من دار للبريد إلى دار أخرى ، وألا يغتصبوا دواب الناس في الطريق .

وكان المتعارف عليه في عهد القاآن ، أن التجار كانوا يسافرون إلى ولاية منغوليا على الخيول التي تملكها الدولة ، فاستنكر منگوقاآن ذلك ، وقال : « إن التجار يتنقلون لكسب الأموال ، فما معنى ركوبهم الخيول التي تملكها الدولة ؟! . . . » وأمر بأن يتنقلوا على دوابهم الخاصة . وأمر كذلك بألا يذهب الرسل إلى أية مدينة أو قرية ليست لهم مصلحة فيها ، وألا يأخذوا من العلف أكثر من المقرر .

ولما كان الظلم والجور قد بلغا أشدهما ، بحيث أن الدهاقين بصفة خاصة قد ضاقوا ذرعا بسبب كثرة المشقات والمطالب ، وأداء الضرائب ، لدرجة أن محصولهم لم يعد يفي بنصف ما يطلب منهم ـ أمر بأن يسلك الوضيع والشريف من التجار وأصحاب الأعمال والأشغال مع أتباعهم طريق المسامحة والمواساة ، وأن يؤدي كل شخص على قدر استطاعته وقدرته كل ما عليه من ضرائب دون مماطلة أو اعتذار . وذلك باستثناء الجماعة المعفين من الضرائب والتكاليف .

ومن هؤلاء طائفة السادات الكرام والمشايخ الكبار والأئمة الأخيار من المسلمين «وكبار القسس»[1] والرهبان والأحبار من النصارى واللامات المشهورين من البوذيين . كما يعفى من كافة التكاليف الجماعة الذين طعنوا في السن وعجزوا ، عن الكسب والعمل .

ولما لم يكن كل صاحب عمل يستطيع أن يسدد جزءا من الضريبة كل يوم ، حدد له مبلغا يدفعه سنويا . وأمر بأن يدفع الثري الكبير في ممالك الخطا أحد عشر دينارا كل يوم وقياسا على هذه النسبة يؤدي الفقير دينارا واحدا . وكذلك الحال فيما وراء النهر . أما في خراسان والعراق فيدفع الغني سبعة دنانير ، والفقير دينارا واحدا ، وأن يمتنع العمال والكتاب عن المحاباة والمداهنة ، وألا يعملوا وفق أهوائهم ، ولا يقبلوا الرشاوى والهدايا ، وأن يدفع كل من يملك مائة رأس من كل صنف من المواشي التي ترعى في المراعي المسماة «قوبجور» رأسا واحدا . أما من يملك أقل من المائة فلا يدفع شيئا قط ، وألا يطالب الرعايا ببقية الضرائب التي يعجز كل شخص ، وفي كل مكان عن دفعها .

وقد خص المسلمين بمزيد من الإكرام والاحترام ، وميزهم على جميع الطوائف والمذاهب ، وأمر لهم بالصلات والصداقات . ومصداق هذا الأمر هو أنه في عيد الفطر سنة خمسين وستمائة (٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م) حضر إلى المعسكر القاضي جلال الدين محمود الخجندي وطائفة من المسلمين ، فخطب في الناس ، وأمهم ، ووشح الخطبة بذكر ألقاب الخليفة ، ودعا لمنكوقاآن ، وأثنى عليه . فأمر بمنحهم العيدية على سبيل التشريف ، وإعطائهم

---

(١) ترجمة لكلمتي «اركاونان كشيشان» . وترد كلمات : اركاون ـ اركان ـ اركون ـ اركؤن في اصطلاح المؤرخين في العصر المغولي بمعنى الرؤساء الدينيين لطائفة النصارى . وقد استعمل ابن العبري هذه الكلمة ، فقال : «وأمر هولاكو البتيكجية ليكتبوا على السهام بالعربية أن الاركاونية والدانشمندية وبالجملة كل من ليس يقاتل ، فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله (تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧١) .
وترد كلمة أركون بضم الهمزة في معاجم اللغة العربية بمعنى رئيس قرية ودهقان عظيم .
ويبدو أن أصل كلمة اركؤون الفارسية واركون العربية لفظة أرخون او أرخول اليونانية والجمع اراخنة أو أراخلة .
(انظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١) .

عربات محملة بأكياس النقد من الذهب والفضة والملابس القيمة . وكان لأكثر الناس نصيب من هذه الصلات .

كذلك أصدر أمرا نافذا بإطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين في سائر الممالك . وقد وفد الرسل على أطراف البلاد لإنجاز هذه المصالح .

ونحن إذا أردنا أن نشرع في شرح الأحوال التي كانت تصدر - يوما بعد يوم - عن تلك الحضرة من العدل والإنصاف ، فإنها تستغرق مجلدات ، ولا تنتهي هذه الحكايات .

« والقليل منها على الكثير دليل »

ولما ذاع عدله وصيته في أطراف الأقطار ، وأكناف الأمصار ، صار الترك والتازيك من قريب ومن بعيد يلجأون إليه برغبة صادقة ، وكان الملوك الذين لم يدخلوا بعد في طاعته ، يرسلون إليه التحف والهدايا .

وحيث أننا ذكرنا نبذا عن أوصافه وأخلاقه الحميدة ، على سبيل الإيجاز ، والإجمال ، نورد حكاية واحدة تجمع كثيرا من الخصال الحميدة ، كي يتبين ويتحقق للعالمين أن ما قررناه منزه عن شائبة التكلف .

لما كان التجار يترددون من الأقطار على بلاط كيوك خان ، ويتعاملون مع نوابه بصفقات كبيرة ، ويأخذون من الحوالات النقدية على الولايات ، تأخرت حقوقهم ، بسبب وفاته ، ولم تصل إليهم . وكان خدمه وأولاده وأبناء إخوته يتعاملون أيضا على تلك القاعدة ، ويكتبون الحوالات . وعلى هذا كان التجار يصلون أفواجا أفواجا ، ويتساهلون في معاملاتهم ، ويأخذون الحوالات . فلما جلس منكوقاآن على عرشه المبارك ، وتغير أمر تلك الجماعة عما كان عليه ، لم يكن بعض التجار قد تسلموا من أموالهم المسجلة عشر مستحقاتهم ، ولم يصل بعضهم إلى أمكنة الحوالات . وهناك طائفة لم تأخذ الحوالات ، وجماعة لم تسلم البضائع وقوم لم يقدروا الأثمان بعد .

فبقي الجميع حيارى . وأخيرا توجهوا إلى الحضرة ، وتقدموا إلى البلاط على سبيل الامتحان مؤملين في عدله وإنعامه ، فأنهوا أحوالهم إلى مسامع منكوقاآن المباركة . ورغم أن كفاة الحضرة وأركان الدولة ، كانوا يمانعون في

الدفع بحجة أنه ليس من اللازم تسديد قيمة هذه المعاملات من خزانة الملك ، ولم يكن لأحد أن يعترض على ذلك . رغم هذا بسط منكَوقاآن من كمال رحمته جناح العطف على تلك الجماعة ، وأصدر أمرا بصرف كل تلك المستحقات من بماله ، فبلغت ما يزيد على ألف كيس من النقود الذهبية والفضية . ولو مانع في صرفها ، لما كان هناك سبيل إلى الاعتراض . وبهذه الموهبة ، فاق جميع الملوك الذين لهم سيرة حاتم . ففي أي تاريخ قرأنا ، ومن أي راو سمعنا أن ملكا يؤدي دين ملك آخر . فهذه القصة دليل على محاسن أخلاقه ، ومرضيّ عاداته الملكية ، بحيث أنه يمكن الاستدلال منها على سائر الأمور .

كذلك أمر منكَوقاآن بأن يقوم الأمير « منكاسار نويان » مع طائفة من الأمراء الأكفاء . ببحث كل ما يرتبط بشئون الجمهور ، وتمهيد قواعد العدل . وأمر أيضا بأن يكون « بلغاي آقا » ـ الذي كان متميزا بسابقة حقوق الخدمة ـ رئيسا للكتاب ، وأن يكتب المنشورات والفرمانات وينسخها . ومن طبقة الكتاب المسلمين ، عيّن الأمير عماد الملك ، الذي كان يقوم بهذا العمل في حضرة أوكَتاي قاآن وكيوك خان . كما عيّن الأمير فخر الدين الذي كان من قدماء خواص الحضرة .

وأمر بأن يمنح التجار پايزات تميزهم عن عمال الديوان ، وأن تقوم جماعات منهم ممن أحضروا بضائع ليتعاملوا مع الخزانة . بتقييم هذه البضائع ، فطائفة لتقييم الجواهر ، وجماعة لتقييم الثياب ، وقوم لتقييم الفراء ، وفوج لتقدير قيمة النقود . ومثل ذلك أيضا لتسليم المراسيم ، وصنع الپايزات . وعين المختصين المثابرين ، وممن لديهم خبرة بمعامل الأسلحة وشئون الطيور وحيوانات الصيد وتنظيم مهام أهل كل ملة وكل طائفة . وبالإضافة إلى ذلك ، تقرر أن تتجنب تلك الجماعة الربا وزيادة الطمع ، وألا يعتقلوا أحدا ، وأن ينهوا ـ على الفور ـ حال كل شخص إلى المسامع المباركة . وكان الكتبة من جميع الأجناس ملازمين للحضرة ، منهم الفارسيّ ، والأويغوري والخطائي والتبتي والتنكقوتي حتى إذا ما كتبوا الفرمانات إلى أي جهة تصدر بلغة أهلها وخطهم .

وصفوة القول أنه في أيام الملوك القدماء وعهود سلاطين الصين السالفين

ـ عندما كانت النظم والقوانين على أتمها ـ لو كان هؤلاء الملوك أحياء فمن المؤكد أنهم كانوا يقتدون بهذه الطريقة . والسلام .

حكاية إرسال منكوقاآن أخويه قوبيلاي قاآن وهولاكوخان إلى نواحي المشرق والمغرب مع جيوشهما ، وزحفه هو نفسه بالجيش معتزما فتح ممالك الخطا التي لم تخضع بعد

لما جلس منكوقاآن باليمن والبركة على عرش الملك ، ونصر أولياءه ، وقهر أعداءه ، أمضى الشتاء بأكمله في موضع « أونك قين » . بمقر أوكتاي قاآن الواقع على حدود قراقورم . وعندما حل العام الثاني ، وبعد انعقاد القوريلتاي الكبير ، واستقراره على سرير الملك ، وفراغه من أمر الأصدقاء والأعداء ، وقف همته المباركة على فتح بلاد الشرق والغرب في العالم .

ففي أول الأمر حدث أن جماعة من المتظلمين في بلاد الملاحدة ، قد تشرفوا بالمثول بين يدي منكوقاآن ، فسير للقضاء عليهم أخاه الأصغر هولاكوخان الذي كانت تبدو على ناصيته آثار الفتح والسيطرة ، وعظمة الملك وشدة الإقبال . فقدم إلى ولاية التاجيك[1] سنة الثور . . .[2] وعين أخاه الأوسط قوبيلاي قاآن في عام الفهد لفتح بلاد الشرق، وسيّره إلى هناك. وأرسل بصحبته « موقلي » من قبيلة الجلاير . وسوف يأتي ذكر تلك الحكاية بالتفصيل في تاريخ كل منهما لأنهما كانا ملكين .

ولما سار قوبيلاي ، أرسل ـ وهو في طريقه ـ رسولا يقول : « لا يوجد علف في هذا الطريق ، والسير فيه في غاية الصعوبة والتعذر . فإذا صدر

(١) اسم يطلق على المواطنين في آسيا الوسطى (أنظر : Pavet De Courteille, p.194.) والمقصود بولاية التاجيك هنا ولاية الايرانيين .
(٢) هكذا في الأصل .

الفرمان ، فسوف نذهب إلى ولاية قراچنگ » . فصدر الإذن بذلك . وعندئذ هاجم قوبيلاي قاآن تلك الولاية المعروفة هنا بقندهار، ونهبها . ثم قدم إلى حضرة منگوقاآن .

بعد ذلك عقد منگوقاآن القوريلتاي في موضع « قبور قتوق جور » الذي يقع وسط ولاية منغوليا . وعندما تيسر لقوبيلاي قاآن فتح ذلك الموضع ، رقص طويلا مع أتباعه هناك تحت شجرة رقصا كانت تهتز له الأرض .

وصفوة القول أنه عندما انتهى انعقاد القوريلتاي ، وانصرف الجمع الغفير من الناس ، أخذ كل واحد من الأمراء والأمراء الأنجال يقول نصيحة قيمة . وفي أثناء تلك الحال ، تقدم داركاي گوركان من قبيلة ايكيراس ، والذي كان صهرا لجنگيز خان ، فقال : « إن ملك ننكياس قريب منا ، ولا زال متمردا علينا . فكيف نهمل ونعطل المسير إليه لإخضاعه؟!. . . » ، فاستحسن منگوقاآن هذا القول ، وقال : « إن كل واحد من آبائنا وإخوتنا الكبار ـ الذين كانوا ملوكا سابقين ـ قد عمل عملا ، وفتح ولاية ، وأذاع اسمه بين الناس ، فأنا أسير بنفسي للغزو حتى أذهب إلى ناحية ننكياس » . فقال الأمراء الأنجال معا : « كيف يذهب بنفسه لحرب الخصوم شخص هو ملك لكل ما على سطح الأرض ، وله سبعة إخوة ؟!. . . » فقال منگوقاآن : « ما دمنا قد انتهينا من الكلام ، يكون التصرف بخلافه أمرا بعيدا عن الرأي والروية » .

وفي « تولي ييل » (أي عام الأرنب) الموافق المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة (٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م) يعني في السنة السادسة من جلوسه المبارك ، صمم تصميما قاطعا على محاربة چوكان ملك الخطا ، فترك أخاه الأصغر « أريق بوكا » على رأس المعسكرات وجنود المغول الذين كانوا يقيمون هناك . كما عهد إليه بالإشراف على الأولوس وعلى أبنائه اورنكتاش . . .[1] وعيّن الجنود الذين

(١) هكذا في الأصل .

سوف يصحبهم معه من الأمراء الأنجال والأصهار والأمراء الكبار ، وذلك حسب التفصيل التالي :

الميمنة

الأمراء الأنجال :

شعبة من أسرة أوگتاي قاآن : يكه قدان ـ توقان .

شعبة من أسرة چغتاي : قوشيقاي ـ بقية الأبناء : أبيشغه ـ نارين قدان ـ قداق چي ـ ساچي .

شعبة من أبناء تولوي : موكه ـ اسوتاي .

شعبة من بني أعمام چاوتو ـ بقية الأبناء : . . .[1] .

الأمراء :بايجو من أسرة منگوقاآن ـ قورچي نويان .

الميسرة

الأمراء الأنجال : تقاچار بن أوتچي نويان ـ ييسو نككه بن جوچي قسار .

الأمراء : چاقوله بن الچيتاي نويان ـ قورمش بن موقلي كويانك ـ ايلچي نويان من قبيلة قنقرات ـ داركي گوركان من قبيلة ايكيراس ـ كهتي وقوچو من قبيلة اوروت ـ مونككا قلچا ـ چغان نويان من قبيلة منكقوت .

تحرك كل هؤلاء الأقوام في جيش المغول . وسار في صحبة منگوقاآن كل من كان في الميمنة مع جيش چاوقوت . فكان مجموع هذين الفريقين ستمائة ألف جندي .

وچاوقوت عبارة عن الخطا والتنكقوت وچورچه وسولنكقا ، تلك الجهات التي يسميها المغول « چاوقوت » . أما جنود الميسرة فقد سيّرهم في صحبة الأمير

(١) هكذا في الأصل .

النجل تقاچار[٢] عن طريق آخر . وكان مجموعهم ثلاثمائة ألف جندي ، وقائدهم تقاچار نفسه .

وفي مجلس الشورى ذكر بيلكوتاي نويان أن قوبيلاي قاآن قد سار مرة بقواته ، وأنجز مهمته . وهو الآن يشكو من ألم في قدمه . فلو صدر الفرمان ، فإنه يعود إلى دياره . فاستحسن منگوقاآن ذلك . وكان بيلكوتاي نويان قد بلغ العاشرة بعد المائة ، وتوفي في تلك السنة .

وهكذا صاروا في « لوي ئيل » (سنة التنين) الموافق المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ هـ = ١٢٥٦م) . وكان في الجناح الأيمن منگوقاآن وكونجو بن سوبتاي بهادر مع مائة ألف جندي . وفي ذلك الصيف وصل منگوقاآن إلى حدود ولاية تنكقوت وننكياس ، وقضى الصيف في موضع اسمه « ليوپاشان » . وهو ذلك الموضع الذي بمجرد أن بلغه چنگيز خان قاصدا الخطا ، مرض وأدركته الوفاة .

وفي فصل الخريف ، سار منگوقاآن قاصدا « ييسون قهلقه » الواقعة على حدود ننكياس . وفي تلك النواحي استولى على عشرين قلعة . وتسمى تلك الولاية « خان سيان » . ثم نزل حول القلعة الكبرى التي تدعى « دولي شانگ » وحاصرها .

أما « طغاچار نويان » فكان منگوقاآن قد سيّره في مائة ألف فارس عن طريق النهر العظيم « قاآن گنگ » ليحاصر المدينتين الكبيرتين : « سانگ يانگ فو » و « فانك چينگ » ، ويخضع سكانهما . فلما وصل إلى هناك حاصر هاتين المدينتين مع جنوده مدة أسبوع . ولكنهم عادوا إذ لم يتيسر لهم الفتح ، ونزلوا في ديارهم . فغضب منگوقاآن من هذا التصرف ، وأنحى عليهم باللائمة ، وأرسل إليهم رسالة يقول فيها : « عند عودتكم سوف آمر بمجازاتكم بما تستحقون » .

---

(٢) يكتب أيضا طغاچار .

كذلك أرسل قوريجي أخو بيسونككه رسالة إلى طغـاچـار يقول فيها : « إن قوبيلاي قاآن قد فتح مدنا وقلاعا كثيرة .

أما أنتم فقد عدتم من معارك غير متواصلة كحرب العصابات يعني أنكم كنتم مشغولين بالشراب والطعام » .

حكاية توجه قوبيلاي قاآن نحو ننكياس بمقتضى المرسوم ، ومحاصرة مدينة « ياوچو » وعودته وعبوره نهر الكَنگ

بعد ذلك قال منگوقاآن : « رغم أن قوبيلاي قاآن مريض ، فإنه سار بقواته - مرة أخرى - للقتال . فالآن يترك قيادة هذه الحملة لتغاچار ليسير بدلا منه » . فلما وصل المرسوم ، أرسل قوبيلاي رسالة يقول فيها : « لقد تحسنت قدمي . فكيف يسير أخي الأكبر بقواته للقتال ، على حين أبقى أنا هنا في الدار ؟! . . . » ثم ركب في الحال ، وسار متوجها إلى ننكياس . ولما كان الطريق بعيدا جدا وشاقا ، والبلاد كلها ثائرة ، والجو متعفنا ، صار المغول يقاتلون مرتين أو ثلاث مرات يوميا لخلاصهم من هذه المتاعب . وظل قوبيلاي يسير إلى أن بلغ مدينة « ياوچو » فأخذ يحاصرها حتى أدى الأمر إلى أنه لم يبق من جنوده المائة ألف ، أزيد من عشرين ألفا . وعندئذ عاد قوبيلاي قاآن من ميدان القتال حيث ترك أور يانقكداي مع بهادر نويان بن چيلاون كويانك بن موقلي كويانك مع خمسين ألفا من الجنود . فأقام جسرا بالسفن على نهر الكَنگ . ثم وصل من ناحية ننكياس جنود لا حصر لهم . وأرادت قوات المغول أن تعبر الجسر فكان ذلك متعذرا ، وسقط خلق كثير منهم في النهر . أو أنهم هلكوا على يد جنود ننكياس ، وبقي بعضهم في تلك الولايات .

وفي هذه الأيام الأخيرة عاد من بقي منهم حيا بعد فتح ننكياس . ثم قدم قوبيلاي قاآن من هناك . فبلغ المعسكر على حدود مدينة « جونكدو » حيث نزل . وباستثناء هذه المدة كان منگوقاآن مشغولا بمحاصرة القلعة المذكورة .

حكاية مرض منگوقاآن ووفاته ، وإيصال جثمانه إلى المعسكرات ، وقيام المغول بالتعزية

عندما كان منگوقاآن يحاصر القلعة المذكورة ، وحل الصيف ، واشتد الحر ، ظهر مرض الإسهال الدموي في جو ذلك المكان ، وانتشر الوباء بين جنود المغول ، حتى مات كثير منهم . فكان ملك العالم يحتسي الشراب دفعا للوباء ، ويداوم على ذلك . فانحرفت صحته فجأة ، وأدى به المرض إلى أزمة فمات في « موغاييل » (سنة الحية) الموافق المحرم سنة خمس وخمسين وستمائة (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م) بظاهر تلك القلعة المشئومة . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة . وكانت هذه السنة هي السنة الثامنة من جلوسه على عرش الملك .

وبعد وقوع الوفاة ، ترك اسوتاي اوقول « قندقاي نويان » على رأس الجيش ، وحمل جثمان والده إلى المعسكرات . وقد أقاموا له مراسم التعزية في أربعة معسكرات . ففي اليوم الأول كانت التعزية في معسكر قوتوقتاي خاتون . وفي اليوم الثاني في معسكر قوتلق خاتون . وفي اليوم الثالث في معسكر جايوي خاتون التي كانت مصاحبة له في تلك الرحلة . وفي اليوم الرابع في معسكر كيبا خاتون . وكانوا يضعون الجثمان كل يوم على سرير في أحد المعسكرات ، وينوحون عليه بحرقة تامة . ثم دفنوه في موضع « بولقان قالدون » الذي يدعى « يكه قوروق » في جوار جنگيز خان وتولوي خان . فليجعل الله تعالى سلطان الإسلام وارثا للأعمار سنين طويلة ، وليمتعه بالملك والإقبال والسلطنة بمنه وسعة جوده .

حكاية تتمة حال قوبيلاي قاآن في تلك الحملة ، وإبلاغه خبر وفاة منگوقاآن .

في ذلك الوقت كان قوبيلاي قاآن قد سار من تلك الناحية ، وبلغ النهر الكبير المسمى « خوي خو » . فلما سمع النبأ المشئوم عن وفاة منگوقاآن ، تشاور مع بهادر نويان حفيد موقلي كويانك ، وقال : « نحن لا نهتم بهذه الأراجيف » . ثم أرسل « اركه نويان بن بولقان قلجا » من قبيلة « برلاوس » في الطليعة . وكان يسير في إثره . ثم قبض على طلائع جيش ننكياس وقتلهم ، ولم

يدع هذا النبأ يتسرب إلى الخارج . ثم عبر نهر الكَنْك - الذي يبلغ عرضه فرسخين - بالسفن ، وبلغ مدينة « أوجو » وحاصرها ، واستولى عليها .

وقد ذهبت إلى تلك المدينة للإمداد، القوات التي كانت قد عادت من القتال إلى جانب منكَوقاآن . واسم أميرها « كياي داو » و « اولوس طايفو » . وعندما وصل هؤلاء كان قوبيلاي قاآن قد فتح تلك المدينة .

وعلى الفور وصل الرسولان : طوقان وأبوكان من لدن چابوي خاتون وأميرا معسكرها تايجو نويان ويكو نويان ، وأخبروا بوفاة منكَوقاآن . فلما تأكد قوبيلاي قاآن من ذلك الخبر ، خرج من المعسكر ، وأقام العزاء . ولما كان « اونك » في ولاية ننكياس ، وهولاكَوخان في ناحية المغرب وولاية التازيك . وكان بينهما وبين مقر الحكم مسافة بعيدة ، فإن أريق بوكا عندما سمع خبر وفاة أخيه ، اتجه نظره إلى العرش والملك ، وحرضه على هذا أيضاً أمراؤه وأتباعه ، حتى تمرد على قوبيلاي . وسيأتي شرح تاريخ وحكايات أريق بوكا وابني منكَوقاآن : « اسوتاي » و « ارنكتاش أوقول » وبقية الأبناء والأحفاد كلهم ضمن تاريخ قوبيلاي إن شاء الله تعالى .

ولما كان تاريخ منكَوقاآن قد انتهى ، وتم شرح الأحوال والحكايات التي جرت زمن حكمه ، نبدأ الآن بذكر تاريخ ملوك الخطا والماچين والأمراء والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة في إيران والشام ومصر والمغرب الذين كانوا يعاصرونه ابتداء من « قاقاييل » أي عام الخنزير الموافق سنة ثمان وأربعين وستمائة (٦٤٨هـ = ١٢٥٠م) إلى نهاية « موغاييل » أي عام الحية الموافق المحرم سنة خمس وخمسين وستمائة (٦٥٥هـ = ١٢٥٧م) وذلك على سبيل الإجمال والاختصار إن شاء الله العزيز .

ذكر ملوك الخطا والماچين والأمراء والخلفاء والسلاطين والملوك والأتابكة في إيران وديار الشام ومصر والمغرب ممن كانوا معاصرين لمنكوقاآن ابتداء من « قاقاييل » أي عام الخنزير الموافق سنة ثمان وأربعين وستمائه (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) إلى موغاييل أي عام الحية الموافق سنة خمس وخمسين وستمائة (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م) وذكر النوادر والحوادث التي وقعت في هذه المدة ، وذلك على سبيل الإجمال والاختصار .

تاريخ ملوك الخطا والماچين الذين كانوا في هذه المدة

. . . . (١)

تاريخ الأمراء والخلفاء والأتابكة والسلاطين والملوك
تاريخ الأمراء

في جمادي الآخرة سنة تسع وأربعين وستمائة (٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) ، توجه الأمير « ارغون آقا » الذي كان حاكماً على أكثر ممالك إيران إلى حضرة منكّوقاآن معتزماً حضور القوريلتاي . فلما وصل إلى هناك ، كان القوريلتاي قد انعقد ، وانصرف الأمراء الأنجال والأمراء ، وشرع منكّوقاآن يصرف مصالح البلاد . وفي اليوم التالي لوصول ارغون ، أعزه منكّوقاآن وأكرمه ، وذلك في غرة المحرم سنة خمسين وستمائة (٦٥٠ هـ = ١٢٥٢م) . ثم عرض ارغون على القاآن الأوضاع المختلفة في ممالك إيران ، فاختصه بالعطف والرعاية .

وبعد ذلك فرضت ضريبة على كل ثري من أهالي هذه الجهة قدرها سبعة دنانير في كل عام ، وعلى كل فقير دينار واحد . وأمر بألا يطالبوا بغير هذا . ومنح ارغون يرليغا ، وفوض إليه الاستمرار في حكم ما كان في حوزته ، وكلفه بالعودة إلى مقر عمله .

وكان يصاحبه في هذه الرحلة بهاء الدين محمد الجويني صاحب الديوان ، وسراج الدين الذي كان كاتبا من قبل نيكبي ، وأخذ لهما يرليغا وپايزه ثم عادوا معا في سنة إحدى وخمسين وستمائة (٦٥١ هـ = ١٢٥٣م) .

ولما وصل الأمير ارغون إلى خراسان ، بلغ الأحكام وأقر القوانين ، فابتهج الناس بذلك ، ثم أمر بألا يخالف أي مخلوق هذه القوانين ، ولا يظلم الرعايا . وبذلك صحح الأوضاع في ممالك إيران . ثم توجه حسب الفرمان في صحبة نجم الدين الكيلابادي إلى حضرة باتو عن طريق « دربند قبچاق » . وقد أحصى السكان في ممالك إيران ، وفرض عليهم ضريبة محددة . وهكذا تقلد أمور المملكة ـ حسب المقرر ـ حتى زمن وصول هولاگوخان .

---

(١) هكذا في الأصل .

في بغداد : كان الخليفة المتعصم[1] بالله رجلاً عابدا زاهدا ، لم يتناول شيئاً من المسكرات مطلقا ، ولم يمد يده إلى غير محارمه . وخلال هذه السنوات خرج عن طاعة الخلفاء حسام الدين خليل بدر بن خورشيد البلوچي الذي كان من كبار الأكراد ، ولجأ إلى المغول . وكان قبل ذلك يرتدي زي الصوفية . وكان يعد نفسه من مريدي سيدي أحمد .

في ذلك الوقت تشاور حسام الدين مع جماعة من المغول ، وذهب إلى خولنجان من نواحي النجف ، وداهم جماعة من أتباع سليمانشاه[2] ، وأعمل فيهم القتل والنهب . ومن هناك توجه إلى قلعة « وهار »[3] التي كانت تابعة لسليمانشاه ، وحاصرها . فعلم بذلك سليمانشاه ، واستأذن الخليفة ، وتوجه إلى هناك لصد حسام الدين . فلما بلغ حلوان ، اجتمع حوله جند كثيرون . وكان قد اجتمع حول « خليل » أيضاً طائفة من المسلمين والمغول . ثم التقى الفريقان في موضع يدعى « سهر » . وكان سليمانشاه قد أعد كمينا . فلما حمى وطيس القتال ، تقهقر سليمانشاه متظاهراً بالهزيمة ، فصار حسام الدين خليل يتعقبه ثم عاد بعد أن اجتاز موضع الكمين . ولكن جنود سليمانشاه خرجوا من الكمين ، وأحدقوا بحسام الدين وجنوده ، وقتلوا منهم الكثيرين . وأسر

---

(١) انظر ابن طاطا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٢٩٠ وما بعدها ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٤ - ٤٦٧ .

(٢) هو سليمان شاه بن برجم الإيوائي ، أحد قواد المستعصم المشهورين . يقترن اسمه بحادثة سقوط بغداد ، إذ كان أحد الأشخاص الثلاثة الذين آلت إليهم مقاليد الأمور في دولة المستعصم : سليمان شاه والدواتدار الصغير ومؤيد الدين بن العلقمي الوزير . وذلك بعد وفاة إقبال الشرابي والدواتدار الكبير وسليمان شاه كان في مقدمة الأشخاص الذين أشاروا على المستعصم برفض مهادنة المغول والاستعداد للقائهم . ونظرا لأهميته في دولة المستعصم كان هولاكو في رسائله إلى الخليفة يطلب إليه أن يرسل سليمان شاه . فكان الخليفة يعتذر دائما . وهكذا إلى أن صار النصر محققاً للمغول . فأجبر الخليفة على إرساله مع الدواتدار الصغير إلى هولاكو فقتلهما . ومما يؤثر عن سليمان شاه أنه كان له إلمام بعلم النجوم والكواكب كما كان ينظم الشعر الفارسي (انظر الجويني : تاريخ جهانگشاي ، ج ٣ ، ص ٤٦١) .

(٣) يطلق عليها أيضا « بهار » وهي قلعة تقع على مسافة ثلاثة فراسخ شمال غربي همدان حيث توجد حاليا قصبة بنفس الاسم « بهار » (انظر حمد الله المستوفي القزويني ، ص ١٢٧) .

خليل وقتل . أما أخوه فقد لجأ إلى جبل ، وطلب الأمان ، ثم نزل . وقد استولى سليمانشاه على قلعتين من ولاياتهم إحداهما « شيكان » التي كانت حصنا حصينا ، والأخرى « دزبز » التي كانت وسط مدينة « سابور خواست » .

وخلال هذه السنوات أيضاً ، سار من همدان جمع من المغول يقرب من خمسة عشر ألف فارس ، وهاجموا المناطق المحيطة ببغداد . وقصد فوج منهم الخانقين، والتحموا بفوج من أصحاب سليمانشاه و . . .[1] وذهبت طائفة إلى ناحية « شهرزور » . فأمر الخليفة بأن يخرج للقاء المغول« شرف الدين إقبال الشرابي »[2] و« مجاهد الدين أيبك »[3] الدواتدار الصغير ، و « علاء الدين التون

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) هو شرف الدين أبو الفضائل إقبال الشرابي من خواص الخليفة المستنصر . كان يعمل ساقيا للخليفة المذكور . ثم آلت إليه قيادة الجيش وفي عهد المستعصم صار مقربا إليه كثيرا . إلى أن أصبح واحدا من أعظم الرجال في دولته وطوال حياته كانت إدارة شئون الدولة في غاية النظام والاستقرار ، وذلك بحسن كفاءته وتدبيره . ولكن على أثر وفاته أحدت الدولة في الضعف والانحدار وأثناء حملات المغول المتكررة على سواد العراق قبل واقعة بغداد الكبرى أبلى شرف الدين بلاء حسنا ، ودافع دفاعا مجيدا عن هذه النواحي كان هذا الرجل عالي الهمة شجاعاً كريما صاحب خيرات ومبرات وصدقات . أقام المدارس والمساجد والأربطة في كثير من بقاع المملكة ، وفي مكة المشرفة ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة كانت وفاته في ١٨ شوال سنة ٦٥٣ هـ . (انظر شرح أحواله في كتب . الحوادث الجامعة لابن الفوطي - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي - الفخري في الآداب السلطانية - تاريخ جهانگشاي ، ج ٣ ، حواشي وإضافات) .

(٣) هو أمير الحاج ، مقدّم الجيوش أبو الميامن أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير . كان في بادىء الأمر من الخواص المقربين إلى المستنصر . ثم صار يترقى شيئا فشيئا في عهد المستعصم إلى أن صار واحدا من أعظم الرجال في دولته . وفي سنة ٦٣٢ هـ تزوج من إحدى بنات بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . ويقال إنه دفع عشرين ألف دينار من الذهب الإبريز صداقا لها .
وفي سنة ٦٥٣ هـ ثار على المستعصم ، وأراد خلعه . ولكن سرعان ما تم الصلح بينهما . وكان يذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر اسم الخليفة .
وقبيل سقوط بغداد كان على رأس الفريق الذي كان يرى ضرورة مقاومة المغول وعدم مهادنتهم .وهو في هذا كان على طرف نقيض من مؤيد الدين بن العلقمي الوزير الشيعي الذي كان يرى ضرورة مهادنة المغول ومداراتهم ، والنزول على حكمهم ، وتقديم الهدايا والتحف لهم . ولهذا اتسعت هوة الخلاف والنزاع بين الاثنين مما كان له أكبر الأثر في إضعاف الحكومة في بغداد وفي الثاني من صفر سنة ٦٥٦ هـ قتل مجاهد الدين بأمر هولاكو . وأرسل رأسه مع رأسي سليمانشاه ، وتاج الدين ابن الدواتدار الكبير إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليعلقها =

بارس »[1] الدواتدار الكبير مع جيش كبير من الأتباع والأعراب فنصبوا المجانيق على أبراج بغداد . ثم وصل خبر يفيد أن المغول قد بلغوا قلعة . . . . .[2] فأعد سليمانشاه وهذه الطائفة من الأتباع خطة القتال . وتقدم المغول حتى اقتربوا من الجعفرية ، وأشعلوا النيران في الليل ، ثم عادوا . وفجأة جاء نبأ بإغارة المغول على « دجيل »فذهب « الشرابي » على رأس جيش لصدهم . ولكن المغول عادوا أدراجهم .

تاريخ السلاطين

في بلاد الروم : كان السلطان عز الدين كيكاوس ، فخالفه أخوه علاء الدين ، وذهب إلى أنقره (انكوربه) فأحضره عز الدين من هناك ، وسجنه في قلعة « هشيار » سبع سنوات .

وفي الموصل : كان السلطان بدر الدين لؤلؤ الذي جهز جيشاً خلال هذه السنوات ، وطلب المدد من تاج الدين محمد بن الصلاية زعيم « اربيل » .

فأرسل إليه ألف رجل . ثم توجه بدر الدين إلى « ماردين » فجلب سلطان ماردين أيضاً جيشاً ، وطلب المدد من حلب . فلما التقى الطرفان ، انكسرت ميمنة جيش ماردين . فتعقبهم جنود الموصل ، واستولوا على الغنائم . ولكن ابن القيمري قائد جيش حلب داهم قلب جيش الموصل ، وكسره

على أسوار مدينته . (انظر شرح أحواله في كتب : الحوادث الجامعة لابن الفوطي - جامع التواريخ ، الايلخانيون ، تاريخ هولاكو ، الترجمة العربية - طبقات ناصري للقاضي الجوزجاني - الفخري في الآداب السلطانية - تاريخ جهانگشاي ، ج ٣ ، حواشي وإضافات)

(١) صحة هذا الاسم « علاء الدين الطبرس » ويبدو أن كلمة « الطبرس » مخففة من الطيبرس من الأعلام التركية المركبة من جزأين : « الطي » (التي) بمعنى ستة و« برس » (بارس) بمعنى فهد أي ستة فهود وهو علاء الدين أبو شجاع الطبرس من مماليك الخليفة الظاهر . وكما يبدو من اسمه نسب إلى هذا الخليفة فقيل الظاهري ثم بلغ أرقى المناصب في عهد المستنصر والمستعصم . وكانت زوجته ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . ويقال إن المستنصر في ليلة زفافه وهبه مائة ألف دينار من الذهب وتذكر الروايات أن عوائد أملاكه الخاصة كانت تقدر سنويا بثلاثمائة ألف دينار . وكانت وفاته في شوال سنة ٦٥٠ هـ (انظر شرح أحواله في كتب الحوادث الجامعة لابن الفوطي - المنهل الصافي لابن تغري بردى - تاريخ جهانكشاي ، ج ٣ ، حواشي وإضافات)

(٢) هكذا في الأصل .

فهرب السلطان بدر الدين ، وبلغ الموصل مع عشرة أشخاص . وقد نهب جنود ماردين خزانة بدر الدين . فكان الجنود المنهزمون يأتون تباعا من ورائهم .

وفي مصر : كان السلطان هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل . وكان قد أسلم الروح . فاستدعى الأمراء وأهل مصر ابنه الملك المعظم توراناشاه الذي كان حاكما على حصن كيفا . فلما بلغ مدينة دمشق ، استولى عليها. ومن هناك رحل إلى مصر . وفي سنة ثمان وأربعين وستمائة (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م) تولى سلطنة مصر ، وحارب جيش الفرنجة الذين كانوا قد استولوا على دمياط[١] وحدود مصر وما حولها ، فهزمهم وقتل ما يقرب من ثلاثين ألفا من الفرنجة ، وأسر « افريدس »[٢] أحد ملوكهم مع جمع لا يحصى ، واسترد دمياط .

وبعد ذلك اتفق المماليك البحرية على قتل السلطان ، وأقسموا على ذلك . ثم حضر أيبك التركماني مقدم الأمراء ، وجلس على المائدة في حضرة السلطان . وبينما كان السلطان يتحدث معه ، وفي أثناء عرضه للكلام ، نهض أيبك[٣] ، واستل سيفه ، وضرب به السلطان . فدفعه السلطان بيده ، لكنه جرح جرحا بليغا ، وهرب إلى منزل خشبي . فقال المماليك لأيبك : « أتمم العمل الذي بدأت به » . ثم أتوا بنفاط فألقى قارورة من النفط على ذلك المنزل . فاشتعلت فيه النيران . فصعد السلطان فوق السطح ، فرماه أيبك بسهم ، وألقى السلطان بنفسه في اليم ، حتى وصل إلى الساحل ، فتعقبه أيبك وأتباعه ، وقبضوا عليه ، وأهلكوه بركل الأقدام . ثم ألقوا به في البحر .

ولما علم أسرى الفرنج بهذا النبأ ، حطموا قيود أقدامهم ،وأخذوا يقتلون المسلمين . فدخل عليهم الأتباع من المماليك وحاصروهم ، وقتلوا منهم في

---

(١) لمعرفة مزيد من التفصيلات عن هذه المعركة انظر المقريزي . كتاب السلوك ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٢) المقصود به لويس التاسع . والمصادر العربية تسمية ريدافرانس . يقول عنه المقريزي في حوادث سنة ٦٤٧ هـ « اسمه » لويس بن لويس ريدافرانس لقب بلغة الفرنج معناه افرنس (نفس المصدر ، ص ٣٣٣) .

(٣) يذكر المقريزي أن الذي ضرب الملك المعظم توراناشاه هو بيبرس البندقداري . (انظر نفس المصدر ، ص ٣٥٩) .

لحظة ثلاثة عشر ألف فرنجي . ثم ذهب العرب إلى منازلهم ، وعاد الأكراد إلى القاهرة وبقي المماليك في المنصورة ، واستردوا دمياط نهائياً من أيدي الفرنج ، وصارت تحت تصرفهم . ثم قرروا فدية على « افريدس » قدرها مائة ألف دينار[1] ، وأطلقوا سراح أخيه وابنه وجمع من أقاربه بضمان . وقد اصطحب آفريدس أحد المسلمين معه ، لكي يسلمه الفدية المتفق عليها .

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة (٦٥٢ هـ = ١٢٥٤م) استولى أيبك التركماني على مصر . ولم يكن قد بقي أحد من أبناء الملك الكامل . وفجأة قتل « اقطاي » « الجمدار » في القلعة .

وقد أمر أيبك التركماني بأن يذكر اسمه في الخطبة ، ويضرب على السكة . وجلس على العرش برسم السلاطين .

وفي كرمان : كان السلطان ركن الدين . وفي سنة خمسين وستمائة (٦٥٠هـ = ١٢٥٢م) ، قدم قطب الدين من لدن حضرة القاآن . فهرب ركن الدين في الحال ، واحتمى بدار الخلافة . لكن الخليفة لم يقتله ، خوفا من المغول ، فتوجه من هناك إلى حضرة منگوقاآن . فذهب في إثره قطب الدين . ثم حقق معه ، وسلم لقطب الدين بعد أن ثبتت عليه التهمة ، فقضى عليه . وبذلك خلا له ملك كرمان ، وجلس على عرش السلطنة . والسلام .

تاريخ الملوك والأتابكة

في مازندران .....[1] .

في ديار بكر .....[1] .

في المغرب .....[1] .

في فارس : كان الأتابك مظفر الدين أبو بكر .....[1] .

في سجستان .....[1] .

تاريخ النوادر والحوادث التي وقعت في هذه المدة

....[1]

(١) يقدرها المقريزي بأربعمائة ألف دينار (انظر المقريزي . كتاب السلوك ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٦٣)

(١) هكذا في الأصل .

(القسم الثالث) من تاريخ منكوقاآن

في سيره وأخلاقه الحميدة ، والنصائح الغالية والأمثال والحكم المستحسنة التي قالها ونصح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده ، مما لم يذكر في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص

سبق أن ذكرنا نبذا عن مكارم ذات منكوقاآن ، ومحاسن أفعاله وأخلاقه في ثنايا الحكايات على سبيل الإجمال ، لتغني هذه الخلاصة عن التفصيل . ولكننا لتأكيد ما مر ، نورد حكاية[1] واحدة جامعة للعدل والجود ، حتى يتبين ويتحقق للعالمين أن هذا التقرير منزه عن سمة التكلف ، ومبرأ عن وصمة التصلف . وتلك الحكاية هي أنه عندما بادر التجار من الأقطار بخدمة كيوك خان ، عقدوا صفقات تجارية كبيرة . ولأنه لم يمتد الأجل لكيوك خان ، بقي أكثر تلك الصفقات ، ولم تصل إلى تلك الجماعة . وبعد وفاته ، صاروا يجرون معاملات مع زوجته وأولاده وأبناء أخيه أزيد مما كانوا يجرونه في عهده . وقد كتبوا حوالات على الممالك جريا على تلك القاعدة .

وعندما تغيرت أحوال تلك الجماعة ، وخرج الأمر من يدهم ، وجد بعض من التجار لم يكن قد استوفى عشر الحوالات المكتوبة ، وبعضهم لم يكن قد وصل إلى مكان الحوالة . وكانت هناك جماعة قد سلمت البضائع . ولم يحدد لها الثمن بعد ، وآخرون لم يتسلموا الحوالات .

فلما جلس منكوقاآن باليمن والبركة على عرش السلطنة ، قدم أصحاب تلك المعاملات إلى حضرته على سبيل الامتحان بين الرجاء في عدله ، والأمل في

---

(١) سبق أن أورد المؤلف صيغة مشابهة لهذه الحكاية (انظر ص ٢١٨ - ٢١٩ من هذا الكتاب)

الحصول على حقوقهم نتيجة هذه المعاملات ، وأبلغوا المسامع المباركة حالتهم .

ورغم أن كفاة الحضرة وأركان الدولة قد أجمعوا على أنه لا ينبغي دفع هذه المبالغ من خزانة الدولة . وليس لأي مخلوق مجال الاعتراض على هذا ، فإن القاآن بسط جناح مكرمته عليهم جميعاً ، وأصدر منشوراً بتسديد كل هذه المبالغ من أموال الممالك ، فزادت على خمسمائة ألف كيس من النقود الفضية . ولو امتنع منگوقاآن عن دفعها لما كان لأي شخص اعتراض على هذا التصرف . فهذا برهان على عاداته وأخلاقه الملكية يمكن الاستدلال به على الأمور الأخرى .

بداية تاريخ قوبيلاي قاآن بن تولوي خان

لما كان أريق بوكا يريد من صميم قلبه ، أن يصير قاآناً ، خالف أخاه الأكبر قوبيلاي قاآن . وفي سبيل ذلك تعاون مع ابني منكوقاآن : اسوتاي واورنكتاش وأبنائهما وأقاربهما . ولكن ذلك الأمر لم يتحقق في النهاية ، إذ أنهم أطاعوا قوبيلاي قاآن . ولهذا السبب نذكر تاريخهم وحكاياتهم ضمن هذا التاريخ .

وهذا التاريخ على ثلاثة أقسام :

القسم الأول - في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته وشعب أبنائه الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته ، وجدول شعب أبنائه .

القسم الثاني - في مقدمة جلوسه على العرش ، وصورته ، وصور زوجاته ، والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على عرش الخانية ، وحكايات زمان حكمه ، وتاريخ وحكايات أريق بوكا ، والأمراء الأنجال الذين كانوا متفقين معه ، والحروب التي قام بها القاآن ، والفتوحات التي تيسرت له ، وذكر أمرائه .

القسم الثالث - في سيره وأخلاقه الحميدة ، والنصائح الغالية ، والأمثال والحكم المستحسنة التي صاغها وتفوه ونصح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقاً وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص ، وارتبط بالحقيقة .

(القسم الأول)

في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وشعب أبنائه الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته ، وجدول شعب أبنائه

ذكر نسبه الرفيع

قوبيلاي قاآن هو الابن الرابع لتولوي خان . ولد من زوجته سيور قوقتيني بيگي . ومرضعته والدة موكه كانت محظية من قبيلة النايمان . وقد اتفق أن ولد قوبيلاي قاآن قبل ولادة موكه بشهرين . وعندما وقع عليه نظر چنگيزخان ، قال : « إن أبناءنا كلهم شقر . وهذا الغلام أسمر اللون ، فلا بد وأنه يشبه أخواله . فقولوا لسيور قوقتيني بيگي : عليها أن تسلمه لمرضعة لائقة ، لكي تقوم بتربيته » . فسلموه لأم موكه التي تدعى « ساروق » . فلما ولد موكه بعد ذلك بشهرين ، أعطته أمه مرضعة من قبيلة تنكقوت لتربيه . وقامت هي بنفسها بتربية قوبيلاي قاآن ، إلى أن كبر . وكانت تعتبره ابنها ، وصارت ترعاه ، وتحافظ عليه من كل الوجوه . ولهذا كان القاآن يعزها كثيراً . ولما توفيت كان يتذكرها دائماً ، ويتصدق على روحها . والسلام .

ذكر زوجاته

كان لقوبيلاي زوجات ومحظيات كثيرات ، كانت كبراهن جميعاً چابوي خاتون ابنة ايلچي نويان من أتباع ملوك قنقرات . وكانت طيبة جداً ، وجميلة ومحببة إليه . وقد توفيت قبل وفاة قوبيلاي قاآن في « پيجين ييل » أي عام القرد الموافق سنة اثنتين وثمانين وستمائة (٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م) .

كان لقوبيلاي قاآن اثنا عشر ولداً ذائعو الصيت . وكما كان الأبناء الأربعة الذين ولدوا من زوجة چنگيزخان الكبرى بورته فوچين أرفع شأناً ، كان أربعة من هؤلاء الأبناء الاثني عشر ، والذين كانت أمهم چابوي خاتون أوفر احتراماً .

وأسماء هؤلاء الأبناء الاثني عشر على هذا التفصيل والترتيب :

الابن الأول لقوبيلاي قاآن - تورچي

ولد من چابوي خاتون ، ولم يتزوج . وبالتالي لم يكن له أولاد . وكان أكبر سناً من آباقاخان . وكان دائماً عليلاً ومريضاً . وقد توفي بسبب تلك العلة المزمنة . والسلام .

الابن الثاني لقوبيلاي قاآن - چيم كيم

اسمه الأصلي كيم چيم . ولد من الزوجة الكبرى المسماة « تايخو » ، والتي كانت من قبيلة قنقرات . ومعنى لفظ تايخو « أم القاآن » وقد توفي چيم كيم هذا في شبابه . وأنجب ثلاثة أبناء نجباء على هذا التفصيل والترتيب :

الابن الأول - كملا . له ثلاثة أولاد : ييسون تيمور - جونكشان - دلكر بوقا .

الابن الثاني - ترمه بلا . أنجب أيضاً ثلاثة أولاد : خايشانك - أموكه - أجور پريه تبره .

الابن الثالث - تيمور قاآن الذي هو القاآن في هذا العهد ، ويدعى أولجايتو قاآن . وله ولدان : تيشي طايشي - مقابلين .

الابن الثالث لقوبيلاي قاآن - مينكقالا

ولد أيضاً من چابوي خاتون . وكانت له زوجة كبرى تدعى بوتري . ومعنى كلمة بوتري باللغة الهندية الأميرة (ابنة الملك) . وهي حفيدة ايلچي نويان من قبيلة قنقرات . وله ثلاثة أبناء على هذا التفصيل والترتيب :

الابن الأول - ارسلان بوقا .

الابن الثاني ـ التون بوقا .

الابن الثالث ـ آننده . وسبب تسميته بهذا الاسم أن المغول وقت ولادته كانوا قريبين من دولة ثائرة ، كان اسم أميرها « آننده » فسموه بهذا الاسم . وهو مسلم . وقد فوض إليه القاآن حكم ولاية تنكقوت . وله ولد واحد هو أوركتيمور ، وبنت لا يعرف اسمها .

الابن الرابع لقوبيلاي قاآن ـ نوموغان

ولد أيضاً من جابوي خاتون . وحكاياته وأحواله كثيرة ، سوف يجيء كل منها في موضعه . وقد أنجب بنتين كبيرتين ، لا يعرف اسماهما .

الابن الخامس لقوبيلاي قاآن ـ قوريداي

ولد من قوروقچين خاتون من قبيلة مركيت . اقترن بها قوبيلاي قاآن قبل جميع الزوجات . كذلك كانت أكبرهن سناً . وفي نهاية الأمر انحطت منزلتها . وهي ابنة قوتوقو أخي « توقتا بيگي » ملك المركيت الذي كان قد تمرد في عهد چنگيزخان ، فحاربه المغول عدة مرات . وفي النهاية خضع لهم هو وقومه ، وأطاعوهم بسبب عجزهم واضطرارهم .

الابن السادس لقوبيلاي قاآن ـ هوكاچي

ولد من دور باچين خاتون من قبيلة دوربان . وقد فوض إليه القاآن حكم ولاية « قراچانگ » . وذات يوم اغتصب بطاً كثيراً من إحدى القرى . فلما وصل الخبر إلى سمع القاآن ، أمر بضربه سبعين ضربة بالعصا بحيث أن لحمه الرقيق تقطع قطعاً قطعاً . ولما لحقته الوفاة ، كان له ولد يدعى « ايسن » فعينه القاآن حاكماً على ولاية قراچانگ مكان أبيه . ويطلق على تلك الولاية باللغة الهندية اسم « كندو » يعني الولاية الكبرى .

الابن السابع لقوبيلاي قاآن ـ اوقروقچي

ولد من دور باچين خاتون . وقد فوض إليه القاآن حكم ولاية التبت ، وله ولدان :

الابن الأول ـ تيمور بوقا : له ابن واحد يدعى « شاسكبه » . ولما توفي

« هوكاچي »[1] ، أعطيت ولاية التبت لتيمور بوقا هذا .

الابن الثاني - إيجيل بوقا .

الابن الثامن لقوبيلاي قاآن - أياچي

أمه هوشيچين ابنة بورقول نويان من قبيلة « هوشين » . وقد تزوج هذا الابن ، وعاش مع زوجته مدة . لكنه لم ينجب أولاداً .

الابن التاسع لقوبيلاي قاآن - كوكچو

وهذا الابن أيضاً ولد من أم تدعى « اياچي هوشچين » من قبيلة هوشين . وفي هذا الوقت . . . .[2] وقبل هذا ، كان قد سار بجيشه مع نوموغان ، وقدم إلى « درسو » لمحاربة قايدو فاعتقلوه مع نوموغان. وبعد مدة أرسلوهما إلى القاآن .

الابن العاشر لقوبيلاي قاآن - قوتلقتيمور

لا يعرف اسم والدته . وقد ولد في تلك السنة التي خالف فيها أريق بوكا القاآن . ولما بلغ العشرين من عمره ، أدركته الوفاة . وكان قد تزوج لكنه لم ينجب أولاداً .

الابن الحادي عشر لقوبيلاي قاآن - توقان

ولد من بايا وچين ابنة بوراقچين من قبيلة « باياوت » . وله ولد واحد اسمه « لاوجانك » . وقد فوض إليه القاآن حكم مدينة عظيمة اسمها « جينكجو » . يبلغ تعداد سكانها ما يقرب من مائة ألف نسمة . وتقع هذه المدينة في ولاية « منزى » التي تسمى « ماچين » .

---

(١) صحة هذا الاسم اوقروچي ، إذ أن هوكاچي كان هو الابن السادس لقوبيلاي قاآن . وكان يتولى حكم ولاية قراجانگ .

(٢) هكذا في الأصل .

الابن الثاني عشر لقوبيلاي قاآن . . . .[١]

ولد من نمبوي خاتون ابنة ناچين گوركان . وكان القاآن قد تزوج منها بعد وفاة چابوي خاتون . ثم أحضرها إلى مقر چابوي خاتون وقصرها بعد سنة ، إذ أنها كانت ابنة أخيها .

وجدول شعب هؤلاء الأبناء مذكور على هذا النمط الذي نسجله .

---

(١) هكذا في الأصل .

(القسم الثاني) من تاريخ قوبيلاي قاآن

في مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على عرش الخانية ، وتاريخ وحكايات زمان حكمه ، وتاريخ وحكايات أريق بوكا ، والأمراء الأنجال الذين كانوا معه ، والحروب التي قام بها قوبيلاي قاآن ، والفتوح التي تيسرت له ، وذكر أمراء الجيش الذين عينهم في كل ثغر ، وذكر الأمراء الأنجال الذين كانوا عنده ، وأسماء أمرائه .

مقدمة جلوسه على عرش الخانية

لما جلس الملك العادل منكوقاآن على عرش الخانية ، وكانت حاضرته في منطقة قراقورم بموضع أونان كلوران . وبعد أن رتب أمور المملكة ، عيّن أخاه قوبيلاي قاآن لفتح الديار والبلاد الشرقية وممالك الخطا ، وأرسل أخاه الأصغر هولاكوخان إلى المنطقة الغربية ، وولايات التازيك .

وكما ذكر في تاريخه ، أمر بأن يسير قوبيلاي قاآن معثمانية آلاف من الجنود المجهزين تماماً من المغول والجاوقوت إلى جهة الخطا ، وأن يقيموا هناك ، ويستولوا على ولاية ننكياس المتصلة بالخطا . ولما كان ملوك تلك المناطق قد أخلوا المواضع ـ التي كانت على الطريق ـ من المأكولات ، أصبح السير إلى تلك الجهات متعذراً تعذراً تاماً . فأرسل قوبيلاي قاآن رسولاً إلى حضرة منكوقاآن عرض عليه صورة الحال ، وطلب أن يأذن له بالمبادرة بالاستيلاء على ولاية قراجانگ وجغان چانگ ، حتى يحصل الجيش على المؤن . ثم يسيروا إلى ناحية ننكياس .

وهاتان الولايتان تسميان « داي كيو » باللغة الخطائية ، يعني الممالك العظيمة . وباللغة الهندية « قندو » ، وبلغة هذه الديار « قندهار » وتنتهي حدود

تلك الولاية ببلاد التبت وتنكقوت وبعض الولايات والجبال في الهند وولاية الخطا، و« زردندان » .

وصفوة القول أن منگوقاآن قد استحسن هذا الكلام فأذن له .- وفي « لوييل » (أي عام التنين) الموافق المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م) أعمل قوبيلاي قاآن القتل والنهب في تلك الولاية ، وقبض على ملكها المدعو « مهاراو » أي الملك العظيم ، وأحضره معه ، وانفصل عن الجيش .

وعندما عزم منگوقاآن بعد ذلك على فتح ولاية ننكياس ، قال : « لأن قوبيلاي مصاب في قدمه ، وزحف بالجيش قبل هذا ، وأخضع الولاية الثائرة ، له أن يستريح الآن في بيته » .

وبناء على هذه الإشارة ، استراح في معسكراته التي كانت في موضع « قروان خيدون » في منغوليا . وبعد عام لما عاد - بخفي حنين - تغاجار نويان والأمراء الأنجال ممن كانوا في الميسرة ، وذهبوا إلى ناحية ننكياس ، أرسل إليهم منگوقاآن يؤاخذهم ويعنفهم بشدة . ولكن المرسوم نفذ على الصورة التالية .

فقد أرسل قوبيلاي رسالة يقول فيها : « إن قدمي قد تحسنت . فكيف يجوز أن يقود منگوقاآن الجيش ، وأظل أنا قابعاً في بيتي ؟ » . فتقرر أن يأخذ قوبيلاي الجيش الذي كان يقوده تقاچار نويان ، ويتوجه إلى حدود ننكياس . وبمقتضى الفرمان ، سار قوبيلاي مع عشرة آلاف من جيش القاآن الخاص ، ومائة ألف من الجاوقوت الذين كانوا تحت إمرة تقاچار نويان ، واستردوا منه .

وعندما وصل قوبيلاي إلى حدود ننكياس ، استولى على كثير من المدن والولايات . وكان منگوقاآن في تلك المدة مشغولاً بمحاصرة قلعة « دولي شانك » . فحدث وباء بسبب عفونة الهواء ، ومرض منگوقاآن ، وأسلم الروح .

ثم وصل نبأ وفاته إلى قوبيلاي ، وهو على ضفاف نهر « قوبيقه موران » .

فتشاور مع بهادر نويان حفيد موقلي كويانك والد هنتوم نويان من قبيلة الجلاير ، وصرح قائلاً : « لقد وصلنا إلى هنا بجيش كالنمل والجراد . فكيف نعود بسبب هذه الأراجيف دون أن ننجز عملاً ؟! . . . » ثم سار إلى ناحية ننكياس ، وداهم مقدمة جيش الأعداء ، وقبض على طلائعهم .

ثم عبر نهر الگنگ - الذي يشبه بحراً جارياً ، وعرضه فرسخان - بطلسم من قشور شجرة التوز ، وحاصر « أوجو » . وهي مدينة عظيمة .

وقبل هذا كان منگوقاآن قد أرسل جيشاً تعداده ثلاثين ألف جندي من إحدى جهات ننكياس بقيادة المدعو « اوريـانكقداي بن سبوداي بهادر » . وأرسل معه من أحفاد چغتاي : المدعو أبيشقه وخمسين شخصاً من أمراء الميسرة . ولما كانت الطرق وعرة ، والمواضع والقلاع حصينة ، قاتلوا عدة مرات ، وتعذر عليهم الدخول والخروج . وبسبب عفونة الهواء أيضاً ، مرض ومات الكثيرون من ذلك الجيش ، بحيث أنه لم يبق من مجموعهم أزيد من خمسين ألفاً . ولما علموا بوصول قوبيلاي ، اعتزموا السير نحوه . وبعد عشرين يوماً ، لحقوا به فجأة في المناطق المحيطة بالمدينة . فأرسل إليه أهلها الرسل لعجزهم ، ودخلوا في طاعته . أما هؤلاء الجنود الذين كانوا قد ذهبوا لصد منگوقاآن ، فقد عادوا مسرورين عندما علموا بوفاته . وبعودتهم قويت عزيمة المدينة .

وفي أثناء تلك الأحوال ، وصل رسل چابوي خاتون ، وأمراء المعسكر وتايجوتاي ويكر ، وأبلغوا قوبيلاي رسالة مؤداها : « لقد قدم من لدن اريق بوكا أميران كبيران هما : دورچي والعلمدار لسحب الجنود المدرعين من المغول والجاوقوت . ولا يعلم سبب ذلك فهل نسلمها هؤلاء الجنود أم لا ؟! ثم إنها ضربا مثلاً غامضاً هذا نصه [قد قطع رأس السمكة الكبيرة والصغيرة] . فمن بقي غيرك وغير اريق بوكا ؟؟! . . . فهلا عدت إلينا . وهل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟! . . . » .

وبعد يومين ، وصل رسل اريق بوكا . فلما مثلوا بين يدي قوبيلاي قاآن ، قالوا : « لقد أرسلنا لتلقي أخبار السلامة والوصول بالسلامة » . فسألهم قوبيلاي : « إلى أي جهة ترسلون الجنود المدرعين والقوات التي تستدعونها ؟!. . . » . فأجاب الرسل : « نحن أتباع لا نعلم ذلك . ولا بد أنه خبر كاذب » . ولأنهم أخفوا الحقيقة ، خالج قوبيلاي الشك ، وفكر في نفسه قائلاً : « إذا كان أريق بوكا يريد أن يرسل القوات إلى جهة معينة . فلماذا يخفي ذلك ؟!. . . إذن من المؤكد أن يكون في هذا الأمر مكر وخديعة » . ثم تشاور خفية مع بهادر نويان وأوريانكقداي قائلاً : « هذا هو الحال ، ولا يعرف ما يكنه أريق بوكا لنا . انتظرا أنتما الاثنان هنا مع بعض القوات حتى أعود أنا إلى نهر قراموران على حدود الخطا لأستطلع الأحوال ، وأخبركما إياها » .

وبناء على هذا القرار عاد قوبيلاي ، وخرج معه كل من الأمراء الأنجال طغاچار وقدان ويسونككه مع بقية الجيش . وصاروا يستولون على الولايات والقرى ويخربونها . ولما بلغ قوبيلاي قاآن مدينة تمكين الواقعة على شاطىء نهر قراموران ، تحقق لديه أن دورچي والعلمدار جاءا لاستدعاء الجند ، وأنهما استعملا العنف البالغ مع المغول والجاوقوت . فأرسل رسولاً إلى أريق بوكا يقول : « إنه لم يحدث شيء من الجنود المدرعين والقوات التي يخرجها أتباعك من منازل المغول وولاية چاوقوت . فيجب على أريق بوكا أن يعيد إليهم وإلينا الأموال والدواب التي نهبت من الولايات ، وأن يسلم الجنود الذين كانوا مع طغاچار ويسونككه ونارين قدان وجنود الميسرة ، ويسلم أيضاً جنود الميمنة الذين كانوا قد ساروا مع منگوقاآن ، وهم الآن مع موكه وقدان واسوتاي وجاوتو الذين هم أمراء الميمنة حتى نعد تكاليف الدواب والعلف والأسلحة ، ونحسم مسألة نتكياس » .

وهكذا أرسل الرسالة على هذا الوجه . وكان العلمدار قد ذهب في ذلك الوقت ، وبقي دورچي في مدينة چونكدو التي تسمى خان باليق . فأرسل إليه قوبيلاي قاآن يقول : « أرسل أنت أيضاً تابعاً لك مع هؤلاء الرسل » . فأرسل

دورجي سراً رسالة على لسان تابعه إلى أريق بوكا يقول فيها : « إنه يبدو أن قوبيلاي قاآن قد اطلع على ما تدبره له . والمصلحة تقتضي الآن أن تبعث بواحد من أمراء النويان الكبار في صحبة هؤلاء الرسل مع بعض الصقور والدواب حتى يطمئن قوبيلاي قاآن وينخدع بذلك » .

فاستحسن أريق بوكا هذا الكلام ، وأرسل « نويانا » مع خمسة من الصقور برفقة الرسل على سبيل الهدية ، وقال : « إنه يجيء ليحمل خبر السلامة » . وأفهمه - بناء على إشارة دورجي نويان - أن يقول الرسل كلاماً رقيقاً ليناً لقوبيلاي حتى يعود سريعاً فارغ البال ، مطمئن الخاطر . وعلى هذا النحو قال نويان كلاماً مقبولاً . وبالتضامن مع رسل أريق بوكا ، ذكروا في حضرة قوبيلاي أن أريق بوكا قد أوقف استدعاء الجنود المدرعين والقوات الأخرى . فقال قوبيلاي : « ما دام قد تبين لكم هذا التصرف المعيب ، اطمأن الخاطر من كل ناحية » . ثم أعادهم مسرورين .

بعد ذلك أرسل قوبيلاي الرسل إلى بهادر نويان وأوريا نكقداي يقول : « ارفعا الحصار حالياً عن مدينة « اوجو » وعودا ، إذ أن أحوالنا قد تغيرت كتغير الزمن » .

ولما وصل الرسل إلى هناك ، كان طغاجار وييسونككه ونارين قدان قد عادوا . وأقلع أيضاً بهادر وأوريانكقداي بالجيش ورجعا ، وقدما إلى حضرة قوبيلاي قاآن .

أما دورجي وتوقان فعندما وصلا إلى أريق بوكا ، وأطلعاه على حقائق الأمور ، قال لهما : « بعد أن وقف قوبيلاي - إلى حد ما - على غدرنا ومكرنا ، فإن المصلحة تقضي بأن نستدعي الأمراء الأنجال والأمراء الذين يسيطر كل منهم سيطرة كاملة على موطنه ودياره ، ونقر أمر الخيانة الذي عطل وأهمل ، ونضعه في موضعه » .

فتشاوروا في هذا الأمر ، وأرسلوا الرسل إلى كل ناحية . فقدم إليه كل

من نايمداي بن طغاجار وييسو أخو چينتيمور الأصغر . أما بقية الأمراء الأنجال ، فقد تخلف كل واحد منهم بعذر . ولما لم يحضر الكثيرون منهم ، تشاور أريق بوكا مع الأمراء مرة أخرى قائلاً : « إن المصلحة تقتضي أن نبعث بالرسل إلى قوبيلاي ونخدعه بالأقوال المزورة ونؤمنه » . وعلى هذا أرسل أريق بوكا إلى قوبيلاي « دورچي » مع شخصين آخرين من الأمراء والكتاب برسالة يقول فيها : « إن المصلحة تحتم أن يحضر قوبيلاي وجميع الأمراء الأنجال للتعزية في وفاة منگوقاآن » . وكان قصدهم من هذا أن يعتقلوهم جميعاً عند وصولهم .

فلما بلغ الرسل حضرة قوبيلاي قاآن ، كان قد قدم إليه من ذلك الجانب في مدينة «جونكـدو» الأمراء الأنجال : طغاجار وييسونككه ونارين قدان وآخرون ، وأمراء النويان . ثم بلغ الرسل الرسالة . فقال الجميع : « إن هذا الكلام صحيح ، وهو عين المصلحة . وإن الذهاب لواجب ولازم . ولكننا لم نفترق بعد عن الجيش . فلنبادر بالذهاب إلى ديارنا ، لنجتمع ونحضر معاً » .

فقال دورچي : « ليعد أتباعي بهذا الكلام ، وأبقى أنا هنا كي أرافقكم » .

وبناء على هذا القرار ، بعث دورچي بأتباعه . ثم أوفد قوبيلاي رسولاً إلى الجنود الذين كانوا قد ذهبوا مع منگوقاآن إلى ولاية ننكياس . كما أرسل إلى اسوتاي كي يحضر سريعاً . وكان موكه نفسه قد توفي أثناء القيام بهذه الحملة .

وعندما وصل أتباع دورچي إلى أريق بوكا ، وبلّغوه الرسالة ، قال جميع الأمراء الذين كانوا حاضرين : « إلى متى نستطيع أن ننتظرهم » . وعلى أثر ذلك اتفقت الجماعة التي كانت هناك ، وقر قرارهم على إجلاس أريق بوكا على عرش القاآنية في موضع « يايلاق التاي » ، وكانت تلك الجماعة تضم : « اورغنه قيزي » زوجة قراهولاكو واسوتاي واورنكتاش ابني منگوقاآن والغو حفيد چغتاي ، ونايمتاي بن طغاچار ، وييسو أخا چينگ تيمور الأصغر ،

ودورجي بن قدان ، وقورميشي بن اورده وقراچار وأحد أبناء بيلكوتاي نويان .

ولأنهم استدعوا اسوتاي ، وأبعدوه عن قيادة الجيش ، نصبوا العلمدار على رأس الجند باسم الإمارة والشحنة ، لكي يحافظ عليهم عن طريق كسب ثقتهم ، ويتلطف بهم حتى لا يتفرقوا . وبعد ذلك أوفدوا الرسل إلى معسكر أوگتاي قاآن وأبناء كوتان وچينكتيمور . كما أوفدوهم إلى ولايات المغول وأقوامهم ، وإلى التنكقوت والجاوقوت . وبعثوا برسائلهم ، وأشاعوا قائلين على لسان أريق بوكا : « إن هولاگو وبركاي والأمراء الأنجال قد اتفقوا على اعتلائي عرش القاآنية . فيجب ألا تعبأوا بكلام قوبيلاي وطغاچار ويبسونككه ويكه قدان ونارين قدان ، ولا تصغوا إلى أحكامهم » .

وهكذا نسجوا عبارات مموهة ، وسجلوها ثم أرسلوها . ولكن چينگ تيمور وأمراء الخطا قبضوا على هؤلاء الرسل ، وبعثوا بهم مع الرسائل إلى حضرة قوبيلاي . وعندئذ تحقق لديه أن أريق بوكا قد شق عصا الطاعة وتمرد عليه .

بعد ذلك اجتمع طغاچار ويبسونككه ويكه قدان ونارين قدان وچينگ تيمور وچاوتو وبقية الأمراء الأنجال . ومن الأمراء أبناء موقلي كويانك وهم . . .[1] وناچين گوركان وداركي گوركان ، ومن أمراء الميسرة بورچه بن سودون نويان ، والچيل بن قورچي . وكان كلاهما « ترخانا » ، وكل أمراء الميمنة . ثم تشاوروا في الأمر قائلين : « إن هولاگو قد ذهب إلى ولاية التازيك ، وأفراد أسرة چغتاي بعيدون ، وكذلك أفراد أسرة جوچي خان بعيدون جداً ، وإن أفراد تلك الجماعة الذين اتفقوا مع أريق قد ارتكبوا جهلاً » .

وبينما هم يترقبون هولاگوخان وبركاي من جانب چغتاي ، ذهبت اورغنه

---

(١) هكذا في الأصل .

قيزي بأقوال الأمراء إلى أريق بوكا ومضمونها « إننا ـ في هذا الوقت ـ إذا لم نولّ أحد القاآنية فكيف نستطيع أن نبقى على هذا الوضع ؟!. . . » ثم تشاوروا على هذا النحو ، وأجمعوا رأيهم .

وفي « بيجين ييل » (أي عام القرد) المذكور الموافق سنة ثمان وخمسين وستمائة (٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ ـ ١٢٦٠ م) في منتصف فصل الصيف ، أجلسوا قوبيلاي قاآن على عرش السلطنة في مدينة « مينك فو » . وفي ذلك الوقت ، كان قد بلغ السادسة والأربعين من عمره . وجرياً على رسومهم وعاداتهم كتب جميع أمراء الأنجال والأمراء وثائق خطية ، وركعوا إجلالاً وتعظيماً للقاآن .

* * *

حكاية إرسال الأمراء الأنجال الرسل بعد جلوس قوبيلاي قاآن إلى أريق بوكا ومحاربته القاآن مرتين أو ثلاث مرات وهزيمته في النهاية .

بعد ذلك اختير مائة رسول من قبل الأمراء الأنجال ، أرسلوهم إلى أريق بوكا برسالة يقولون فيها : « لقد تشاورنا نحن الأمراء الأنجال والأمراء معاً وأجلسنا قوبيلاي قاآن على عرش القاآنية » . ثم أمضوا ذلك اليوم في إقامة المآدب والاحتفالات . فلما أقبل الليل ، فر « دورجي » . فعلموا بذلك ، وأرسلوا رسولاً في إثره ، فلحق به في « مختان » ، وقبض عليه . ثم حققوا معه تحت التهديد . فأقر بجرمه ، وروى حكاية الفتن والاضطرابات ، والخطط التي كانوا قد دبروها من البداية حتى النهاية ، فسجنوه . بعد ذلك نصبّوا ابيشغه بن بوري بن مواتوكان بن جغتاي حاكماً على أولوس جده ، وسيروه . وأرسلوا في صحبته أخاه الأصغر ، نارين قدان . ولكن لحق بهما رسل أريق بوكا على حدود ولاية تنكقوت في جمع حاشد ، وقبضوا عليهما ، وحملوهما إلى أريق بوكا ، ثم سجنوهما .

وظلوا يحتفظون بهما ، وأعادوا رسل قوبيلاي قاآن . وفي ذلك الصيف تبادلوا إرسال الرسل العديدين . ولكن الوفاق لم يتحقق .

بعد ذلك أشاعوا أن هولاگوخان وبركاي وبقية الأمراء الأنجال قد وصلوا ، وأن أريق بوكا صار قاآنا بمشورتهم وتأييدهم . وهكذا صاروا يذيعون أمثال هذه الأراجيف إلى أن حل الخريف ، فأعطى أريق بوكا جومقور الابن الأكبر لهولاكو ، وقراجار بن أودور ، وعدة من الأمراء الأنجال جيشاً ، وأرسلهم لمحاربة قوبيلاي . وكان طليعة جيش القاآن ييسونككا ويكه قدان . فلما التقى الفريقان ، تحاربا على أرض ناسكى[1] ، فهزم جيش أريق بوكا ، وهرب جومقور مع نفر قليل ، وخرجوا من صفوف الجيش ، وفزع أريق بوكا وجنده .

وقبل هذا قتلوا الأميرين النجلين اللذين كانا محبوسين والرسل المائة ، ودخلوا ولاية قيرقيز . وكانت العادة المتبعة أن المأكولات والمشروبات اللازمة لمدينة قراقورم ، تجلب بالعربات من الخطا ، فمنع قوبيلاي قاآن ذلك . فظهر هناك قحط وغلاء شديدان . فعجز أريق بوكا ، وقال : « إن المصلحة تقضي بأن يذهب الغو ابن بايدار بن چغتاي - الذي كان ملازما للعرش مدة من الزمن ، وعارفاً السبل والتقاليد لكل مسألة - ليحكم حاضرة جده ورعاياه ، ويمدنا بالمؤن والعتاد ، ويحرس ثغور جيحون حتى لا يستطيع أن يسير من ذلك الجانب جيوش هولاگو وبركاي لإمداد قوبيلاي قاآن » . وبهذا التصميم شمله بعطفه ، وسيّره . فانطلق الغو انطلاق السهم من القوس ، وسار على حسب هواه . فلما بلغ حدود كاشغر ، اجتمع حوله ما يقرب من مائة وخمسين ألف فارس من المدربين ، وشرع في التمرد والعصيان .

ولما كان القاآن قد زحف بجيشه ، وكان يجد في السير حتى بلغ موضع « قيقي دبان » ، سمع أن أريق بوكا قتل ابيشغه والأميرين النجلين الآخرين اللذين كانا معه ، والرسل المائة ، فغضب ، وقتل دورچي نويان الذي كان يحتفظ به .

وقبل أن يقود الجيش كان قد أرسل الأمراء الأنجال « يكه قدان » وقابيچو ابن جوچي قسار مع عدة من الأمراء الأنجال الآخرين ، وبوري من الأمراء على

---

(١) هكذا في الأصل .

رأس جيش كبير إلى ولاية التنكقوت ، لأنهم كانوا قد أخبروه أن أريق بوكا قد أرسل العلمدار وقونديقي على رأس الجند الذين كانوا مع منگوقاآن في ناحية ننكياس ، ثم عهد بهم من بعده إلى اسوتاي ، وأرسل بعض الفرسان أمامه باسم الإمارة والشحنة . وكان هؤلاء على حدود التنكقوت .

وعندما وصل إليهم قدان وقابيجو ، تحاربوا ، فقتل العلمدار في تلك المعركة ، وقتل أيضاً بعض الجنود ، وتفرق بعضهم ، وفر الباقون إلى ولاية قيرقيز ، وذهبوا إلى أريق بوكا . فلما بلغ قوبيلاي قاآن حدود قرارقورم ، أدرك أربعة من معسكرات چنگيزخان ومعسكرات كولكان ثم رجع . وقد أمضى الشتاء في وادي نهرْ اونكقين موران .

أما أريق بوكا فقد كان مضطرباً وحائراً مع جيش هزيل وجائع ، ويقيم على حدود « كم كمجيوت » في وادي نهر برس[1] . وخشية وصول القاآن ، بعث إليه بالرسل يعتذر عما فعل ، ويقول : « إننا نحن الإخوة الصغار قد ارتكبنا ذنبا مدفوعين بدافع الجهل ، وأخطأنا . وأنت أخي الأكبر تعرف الجزاء الذي نستحقه . وحيثما تأمر سوف أجيء . ولن أتجاوز فرمان أخي الأكبر . وسوف أشبع الدواب وأسمنها ، ثم أتوجه إلى الحضرة . وسيصل أيضاً بركاي وهولاكو وآلغو . وأنا في انتظار وصولهم » .

على هذا النحو أرسل أريق بوكا الرسالة إلى أخيه . فلما مثل الرسل بين يدي القاآن ، وألقوا إليه الرسالة ، قال : « إن الصبية كانوا قد ضلوا الطريق . لكنهم استيقظوا الآن وتنبهوا ، وبلغوا درجة العقل والفهم ، وأقروا بذنبهم » .

ثم أضاف قائلاً : « عندما يصل هولاكو وبركاي وآلغو إلى هناك ، فلا بد أن يبعثوا برسلهم . فإذا ما وصلوا ، فسوف نعين المكان الذي ينبغي أن يجتمعوا فيه . فيجب عليكم أن تبادروا بتنفيذ كلامكم . وإذا حضرتم قبل وصولهم ، فسوف يكون ذلك أفضل » .

ثم أعاد الرسل ، ورجع هو نفسه ، ونزل في معسكراته . بموضع « قراون خيدون » ، ومنح قواته فترة راحة لكي يعودوا إلى أوطانهم . وسرح جنود

(١) هكذا في الأصل .

چنگيزخان وكولكان في مناطقهم ، وأمرهم بأن يقيموا هناك . وترك ييسونككه ابن عم القاآن على رأس مائة ألف جندي ليرابطوا على حدود الأولوس . وأمرهم بأن يظلوا هناك حتى إذا ما جاء أريق بوكا ، عادوا معه .

وفي ذلك الوقت كان هولاگو والغوييلان إلى جانب القاآن . فكان ثلاثتهم يتبادلون الرسل فيما بينهم تباعا . وكان هولاگو يبعث برسله ، مستنكراً تصرفات أريق بوكا ، بل منعه من الإقدام على محاولته . كذلك كان يرسل رسله إلى القاآن . كما أن الغو كان يبعث برسله . ولما علم أن قايدو وقوتوقو يقفان إلى جانب أريق بوكا ، هاجمهما وطاردهما عدة مرات .

كذلك أرسل قوبيلاي قاآن إلى كل من هولاگوخان وآلغو رسالة يقول فيها : « إن الولايات قد سادتها الفتن والاضطرابات . فيجب عليك أنت يا هولاگو أن تحكم ولايات التازيك الممتدة من ضفاف جيحون حتى بحر مصر ، وأن تحافظ جيداً على جنود المغول الذين ناضلوا[1] من أجل حسن سمعة أجدادنا . أما آلغو فيحكم المنطقة الممتدة من التاي حتى شاطىء جيحون بأقوامها ورعاياها ، ويحافظ عليها . وأما أنا فمن هذا الجانب أشرف على المنطقة الممتدة من التاي حتى ساحل المحيط » . وكان بركاي يبعث برسله إلى الطرفين ، وكان على علاقة طيبة بالجانبين .

أما أريق بوكا فبعد أن سمن خيوله وأراحها ، لم ينفذ كلمته ، ولم يف بوعده لا في الصيف ولا في الخريف ، فسار مرة أخرى لمحاربة القاآن . وعندما اقترب من ييسونككه الذي كان يرابط على حدود الولاية ، أرسل رسولاً يقول : « إنني أجيء إليكم طائعاً » . ولكنه غافله ، وحمل عليه فجأة ، وهزمه هو وجنوده وشتتهم . غير أن ييسونككه أعاد جنود چنگيزخان وكولكان وجنوده جميعاً . ثم اجتاز « جول » ، وسار متجها إلى القاآن ، وأخطره بقوله : « إن العدو قد وصل » .

---

(١) ترجمة للفعل المركب « تماجاميشي كرده اند » من مصدر « تماجاميشي كردن » مكون من لفظين تماجاميشي بمعنى نضال ، كفاح ، قتال ، نزاع ، مشاجرة ، مشاحنة ، مجادلة (انظر Steingass, P.323) + الفعل المساعد كردن .

فأرسل القاآن رسولاً إلى طغاجار ، وجمع القوات المساعدة .

وكان هو نفسه وطغاجار وهولاقور بن ايلجي تاي ويكه قدان في مقدمة الجيوش التي في حوزتهم . أما هولاقور وناجين گوركان وداركي گوركان من قبيلة ايكيراس واورداي وقدان فقد وقف كل منهم مع فرقته في المقدمة .[1] ولم يشترك بيسونككه في تلك الموقعة لأن جنوده كانوا قد تفرقوا .

أما القاآن فقد أقبل بالجيوش المذكورة إلى حدود چول لمواجهة أريق بوكا في تلك الموقعة . وتحارب الفريقان في موضع يسمى « امجيه كونكر » أمام ربوة اسمها « خوچه بولداق » وهضبة يطلق عليها « سيمولتاي » ، فدحروا جيش أريق بوكا ، وقتل الكثيرون من قبائل اويرات .

ولما انكسر أريق بوكا مع جيشه ، وحلت به الهزيمة ، قال القاآن لجنوده : « لا تتعقبوهم لأنهم أطفال جهلاء ، ينبغي أن يدركوا الحقيقة ، ويندموا على فعلتهم » .

وهكذا جرت أحداث هذه المعركة على تلك الهيئة . وبعد عشرة أيام ، لحق باريق بوكا « اسوتاي بن منگوقاآن » الذي كان حارساً له ، وسمع أن جند طغاجار وبقية جنود القاآن قد رجعوا . وتشاور أريق بوكا واسوتاي مرة ثانية ثم عادا .

واستأنف الجيشان القتال بعد منتصف النهار على حافة صحراء رملية يقال لها « آلت » في موضع « شيركان ناغور » ، وهضبة سيلكك . فهزم جيش القاآن ميمنة جيش أريق بوكا . ولكن جنود القلب والميسرة في جيشه قاوموا حتى الليل ، وأرغموا القاآن على التقهقر ليلاً .

وأخيراً عاد كلاهما بجيوشه ، وذهب إلى معسكراته . ولكن هلك أكثر الجيش بسبب بعد الطريق والمشي على الأقدام . وقد لزم الطرفان ديارهما ، وأمضيا الربيع والصيف .

---

(1) ترجمة لكلمة منقلاي أو منغلاي بمعنى مقدمة الجيش ، أو طليعته (انظر تاريخ وصاف ، ص ٧٠١) .

ولأن أريق بوكا كان قد طلب إلى آلغو ـ عدة مرات ـ أن يمده بالسلاح والعلف ، فلم يستجب له ، أعد جيشه ، وعزم على محاربته . والله أعلم بالصواب .

* * *

حكاية مخالفة « آلغو » لأريق بوكا ، وسبب ذلك ، ومحاربته جيش أريق بوكا ، وهزيمة آلغو ، ثم استعادته قوته ، وضعف حال أريق بوكا .

بعد أن عيّن أريق بوكا « آلغو بن بايدار بن چغتاي » على رأس اولوس چغتاي ، سيّره من عنده . ولما وصل آلغو إلى التركستان ، اجتمع حوله ما يقرب من مائة وخمسين ألف فارس . فتوجهت أورغنه خاتون ـ التي كانت حاكمة على اولوس چغتاي ـ إلى حضرة أريغ بوكا . وقد أرسل آلغو « بيگي اوقول » مع خمسة آلاف فارس والمدعو اوچاچار من جملة أمرائه ، وسليمان بيك بن حبش عميد من الكتاب ، والمدعو ابيشغه من القضاة ، أرسلهم إلى سمرقند وبخارى وولايات ما وراء النهر لكي يحافظوا على حدود تلك المناطق ، وينفذوا أحكام آلغو . فلما حلوا بتلك الجهات ، قتلوا سائر أتباع بركاي وخدمه . وقد أدى بهم الأمر إلى أنهم قتلوا ـ لهذا السبب ـ ابن شيخ الإسلام المدعو برهان الدين ابن الشيخ الأكبر سيف الدين الباخرزي ، واستولوا على كل ممتلكات تلك الجماعة من صامت وناطق ، وأرسلوا بعض النفائس إلى « بيگي اوقول » أما اوچاچار فقد ذهب إلى خوارزم .

وفي أثناء تلك الحال ، وصل رسل أريق بوكا وعلى رأسهم بوريتاي البيتكچي ، وشادى بن يشموت أبو كالون . فأبلغوا المسئولين نص المرسوم الذي يقضي بالاستيلاء على الأموال والخيول والأسلحة . وفي مدة وجيزة حصلوا على أموال طائلة . فطمع آلغو في تلك الثروة ، وصار يبحث عن مبررات للاستيلاء عليها . فأمر باحتجازهم إلى أن أبلغ آلغو ذات يوم أن هؤلاء الرسل قالوا : « لقد حصلنا تلك الأموال بمقتضى مرسوم أريق بوكا ، فما دخل آلغو في هذا ؟ ! . . . » .

فغضب آلغو . وتحت تأثير الغضب ، أمر باعتقالهم ، واستولى على تلك الأموال . وعندئذ قال له أمراؤه : « بما أنك أقدمت على مثل هذه الحركة ، فلا شك أنك فقدت بهذا جانب أريق بوكا ، خصوصاً عندما ذهبت إليه أورغنه خاتون شاكية . ونحن لا طاقة لنا بعتابه وغضبه علينا . ولأننا تمردنا عليه ، فالمصلحة تقضي بأن نرحل إلى القاآن » .

وهكذا اتفقوا على هذا الرأي ، وقضوا على هؤلاء الرسل ، ووزعوا الأموال على الجند .

فلما سمع أريق بوكا ذلك النبأ ، ثار غضبه ، وعزم على محاربة آلغو . ثم قال : « إن أهالي قراقورم يقفون معنا ويوافقوننا » . فعرض جماعة الأئمة والكهنة والنصارى قائلين : « كيف يتسنى لنا أن نعمل ، والحال أن القانون صعب ؟ ! . . » فقال أريق بوكا : « أي قلب للجيش دحرته هذه الطوائف الثلاث . وماذا يتأتى منهم في الحرب ؟ ! . . . فليلبثوا ، ويمدونا بالدعاء . وإذا ما وصل القاآن ، فليبادروا بالمثول بين يديه » .

ثم توجه لمحاربة آلغو . وعلى أثر رحيله ، بلغ القاآن مدينة قراقورم على الفور ، ومعه جيش جرار ، وضربوا حصاراً حول المدينة . فخرج إليه جماعة من كل طائفة ، وعرضوا عليه صورة الموقف ، فشملهم بعطفه ، ومنحهم لقب « ترخان » بموجب فرمان اوكتاي قاآن ومنكوقاآن الذي سبق صدوره . وعزم قوبيلاي قاآن على أن يتعقب أريق بوكا . وفي تلك الأثناء وصل الرسل ، وصرحوا له قائلين : « لقد ظهر القلق والاضطراب في ولاية الخطا » . ولهذا السبب عاد القاآن إلى حاضرة هذه الولاية .

وعلى حدود مدينة يولاد في موضع يقال له : « سوت كول » ، اشتبك قرابوقا الذي كان مقدم جيش أريق بوكا ـ في قتال مع آلغو . فتغلب آلغو ، وقتل قرابوقا . فأعجب آلغو بنفسه ، لأنه هزم مقدم جيش أريق بوكا ، وقتل قرابوقا . فتشجع وعاد مغروراً غافلاً إلى وادي نهر « هيله » ، ونزل في معسكراته ، وسرّح قواته .

في تلك الأثناء ، وصل اسوتاي على رأس الجيش الذي كان يحرس أريق

بوكا ، واجتاز الهضاب الموجودة في تلك الولاية ، والتي يقال لها « تيمور قهلقه » ، وأغار على مناطق « هيله موران » ، و « الماليق » ، واستولى عليها . كما استولى على الوس آلغو . ولما تشتت قواته ، اصطحب آلغو زوجته وجند الميمنة الذين لم يكن اسوتاي قد أدركهم بعد ، وهرب إلى ناحية الختن وكاشغر ، فتعقبه أريق بوكا . وقضى ذلك الشتاء في منطقة هيله موران والماليق . وكان دائماً مشغولاً بإقامة المآدب والاحتفالات للأنس والمتعة . وكان يقتل جنود آلغو ورعاياه ، وينهبهم .

وبعد شهر وصل المنهزمون من جيش آلغو . فارتحل مع جنوده ، وتوجه إلى ناحية سمرقند . وكانت قد ألمّت بجومغور بن هولاگوخان وعكة خفيفة . فاستأذن « جومغور » أريق بوكا في الذهاب إلى سمرقند بقصد العلاج ، وفارقه في « قولقنه ييل » أي عام الفأر الواقع في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وستمائة (٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ - ١٢٦٤ م) .

ولأن أريق بوكا كان يقتل جنود آلغو ورعاياه دون ذنب ، وبلا مبالاة ، ويشق عليهم ، نفر منه الأمراء ، وانصرف عنه كل واحد منهم تذرعاً بحجة من الحجج ، وقالوا : « إن أريق بوكا يقتل - بلا حياء - جنود المغول الذين ادخرهم جنگيزخان . فلماذا لا نتمرد عليه ، ولا نعرض عنه ؟ ! . . . » وفي ذلك الشتاء لم يتقدموا مرحلة تذكر . وعندما حل الربيع ، ظهرت ضائقة وقحط في الماليق . وكان الجنود يطعمون خيولهم القمح بدلا من الشعير . وقد نفقت كلها لأنها لم تأكل العلف الأخضر . كذلك مات خلق كثيرون بسبب الجوع . أما الأحياء فقد لجأوا إلى حضرة الحق تعالى بسبب المظالم والاعتداءات التي لاقوها على يد الجنود ، ورفعوا أكفهم بالدعاء .

وذات يوم كان أريق بوكا عاكفا على الأنس واللهو والمجون . وفجأة هبت ريح عاصف مزقت خيمة البلاط ذات المسامير الألف ، كما كسرت الأعمدة . ولهذا السبب اعتلت صحة جمع من الناس وجرحوا . فاعتبر أركان دولته وأمراء حضرته تلك الظاهرة - من وجهة نظر الفأل - مقدمة لزوال إقباله ، وانفضوا نهائياً من حوله ، وتفرقوا جميعهم عنه . وبقي هناك أريق بوكا واسوتاي في نفر ضئيل من الجند . فتأكدا أن تلك الحالة ، وذلك الارتباك إنما نتجا بلعنة أولئك

المعوزين الذين فاضت أرواحهم بسبب ذلك القحط وتلك الضائقة . وأية شبهة في هذا ، فإن كثيراً من القصور قد خرّب بتأثير آهات المظلومين .

شعر

من المؤكد أن آهات المظلوم في السحر

أدهى وأمر من السهم والحربة والرمح .

في ذلك الوقت كان أورنكتاش بن منگوقاآن في ولاية منغوليا في موضع « ريگ التاي » في واد يقال له « چابقان موران » . وبعد أن وصل أمراء « الهزاره » إلى حدود تلك البلاد ، أرسلوا إليه رسالة يقولون فيها : « إننا سوف نذهب مع الجيش إلى حضرة القاآن . فبِمَ تشير علينا في هذا الأمر ؟ ! . . . » فاستحسن اورنكتاش سلوكهم هذا ، واتفق معهم . ثم أرسل رسولاً إلى أريق بوكا ، يطالبه باسترداد الأحجار الكريمة الكبيرة التي كانت لأبيه ، فأرسلها إليه . ثم ذهب اورنكتاش مع أمراء الهزاره والجيش إلى حضرة القاآن .

وعندما علم آلغو بضعف حال أريق بوكا ، صمم على محاربته . وما أن بلغ أريق بوكا هذا النبأ ، وعرف أن آلغو قد اقترب منه ، أعاد أورغنه خاتون في صحبة مسعود بيك ، وأرسلها إلى آلغو لكي تهدأ ثائرته ، فتزوج آلغو منها . وإكراماً لها ورعاية لخاطرها ، شمل مسعود بيك بعطفه ، وجعله صاحباً للديوان ، في ممالكه . ثم أرسله إلى سمرقند وبخارى كي « يدير »[1] شئونهما .

فذهب إلى هناك ، وصار يحصل الأموال تباعا من الرعية ويرسلها إلى آلغو على التوالي . ولهذا السبب استقامت أمور آلغو مرة ثانية ، وأعاد جمع جنوده المتفرقين . وحارب مرة أخرى جنود بركاي ، ودحرهم ، ونهب أترار . ثم توفي بعد سنة . فولت أورغنه خاتون ـ بموافقة الأمراء والوزراء ـ ابنها مباركشاه حاكماً مكان آلغو كما مر في تاريخ چِغتاي . يا رب أعن واختم بالخير .

---

(١) ترجمة للفعل المركب « ياساميشى كند » من مصدر « ياساميشى كردن » مكون من لفظين : ياساميشى بمعنى إدارة ، إنجاز ، ترتيب .
(أنظر تاريخ وصاف ، ص ٧٠٧ ، .Steingass, P.1526)
+ الفعل المساعد كردن .

حكاية توجه أريق بوكا إلى حضرة القاآن بسبب عجزه واضطراره ، واعترافه بجريمته وعاقبة أمره .

لما تخلى الجند والأمراء عن أريق بوكا ، وذهب كل واحد من الأمراء الأنجال لشأنه ، صار عاجزاً ، وتوجه مضطراً إلى حضرة القاآن . وكان ذلك في « قولقنه ييل » أي عام الفأر الموافق سنة اثنتين وستين وستمائة (٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤ م) . وعندما بلغ حضرة القاآن ، صدر الفرمان بتسيير جيوش جرارة . كما أمر بإعزاز أريق بوكا والتلطف معه . وكانت الإجراءات المتبعة في مثل هذه القضايا ، أنه وقت تقديم التحية للقاآن في السرادق ، يلقى على عاتق المذنب لباس مقلوب . وقد ارتدى أريق بوكا زيا على هذا النمط ، ثم أدى التحية . وبعد ساعة سمح له بالدخول ، ووقف في مكان الكتاب . فنظر إليه القاآن مليا ، فحركته حمية الأخوة وعاطفتها ، وبكى أريق بوكا ، ودمعت أيضاً عينا القاآن ، فمسح دموعه ، وسأله : « يا أخي العزيز ! . . . . أكنا نحن على حق في هذا العناد والجدال أم أنتم ؟ ! . . . » فأجاب : « نحن في ذلك اليوم ، وأنتم في هذا اليوم » .

وفي ذلك الوقت قدم رسول يدعى چينكقوت من قبل هولاكوخان . وكان حاضراً هناك ، وشاهد هذا الموقف فلما عاد إلى هناك ، عرض عليه صورة تلك الحال . فأرسل هولاگوخان رسالة إلى حضرة القاآن يقول : « بموجب الياساق كيف يجوز السماح لواحد من أسرتنا بأن يؤدي التحية على هذا النحو . إن كبار أفراد الأسرة الحاكمة يعيبوننا على هذا التصرف » . فلما سمع القاآن ذلك الكلام استحسنه ، وبعث برده قائلاً : « إن الحق مع هولاگو ، وإني فعلت ذلك عن جهل . وبعد ذلك لم يأذن لأريق بوكا في المثول أمامه لمدة عام .

وصفوة القول أنه في تلك الحالة ، حضر اچيغي أخو ابيشغه الذي كان قد قتل على يد اسوتاي ، فقال لاسوتاي هذا : « أنت قتلت أخي » . فأجاب : « لقد قتلته بمقتضى فرمان أريق بوكا ، ملك ذلك العهد . وما كنت أريد أن يُقتل واحد من أسرتنا على يد أفاق . واليوم إذا أمرني ملك العالم قوبيلاي قاآن بقتلك لقتلتك » . فقال القاآن لاچيغي : « الآن لا يصح هذا الكلام ، إذا أنهم في غضب شديد » .

وخلال هذا الجدل ، نهض طغاچار نويان ، وقال : « إن فرمان القاآن يقضي بألا نسأل اليوم عن الأقوال الماضية ، بل نعكف على اللهو والمتعة » . فاستحسن القاآن ذلك ، وصرفوا يومهم في الشراب . ثم قال طغاچار : « إن أريق بوكا واقف على قدميه ، فليعين الملك مكانه حتى يجلس » . فأشار القاآن بأن يجلس مع أبنائه وهكذا أنهوا ذلك اليوم في المتعة والأنس .

وفي صباح اليوم التالي اجتمع في البلاط الأمراء الأنجال والأمراء الكبار : طغاچار بن اوتچي نويان وييسونككه بن جوجي قسار وهولاقو ويكه قدان وچينگ تيمور بن اجيقي وجاوتو بن شيرامون بن شينكقور واجيغي بن بوري وحفيد چغتاي . ثم أمر القاآن باعتقال أمراء أريق بوكا وتقييدهم . كذلك أمر بأن يجلس الأمراء الأنجال : شيركي وتقاي وچراقو وبايتمور ، والأمراء هنتون نويان ودور باتاي و « پولاد چينگسانگ » الذي كان في هذا الإقليم ، ويحققوا مع أريق بوكا وأمرائه ، ثم يوافوه بالنتيجة .

فقال أريق بوكا : « إن التفكك الذي حدث كنت أنا مصدره ، فالذنب ذنبي ، وليس لهؤلاء أي ذنب » . ولكن لم يسمع كلامه . وعندئذ صرح القاآن قائلاً : « قولوا للأمراء المذنبيـن في عهد منگوقاآن ، هل أمسك الأمراء في ذلك الوقت قوساً ، وهل سحبوا وترا في وجهه . وفي الحقيقة لم يحدث خلاف شديد . ومع هذا فقد أطلع العالم على مدى ما حل بمعارضيه من النكال والعقاب لمجرد هذا الخلاف اليسير الذي عقدوا النية عليه . أما أنتم فقد أثرتم كل هذه الفتن ، وأوجدتم كل هذه المشاغبات ، والاضطرابات بين الجميع ، وأهلكتم الكثيرين من الأمراء الأنجال والأمراء والجنود . وإذن فماذا يكون مصيركم ؟ ! . . . » فلزموا جميعاً الصمت .

ثم تقدم « تومان نويان » الذي كان أكبر الأمراء ، ومن نسب عريق ، فقال : « أيها الأمراء ! . . . لماذا لا تجيبون ، ولماذا خرست ألسنتكم الفصيحة ؟ . إننا في ذلك اليوم الذي كنا نجلس فيه أريق بوكا على العرش ، قد تعهدنا مع بعضنا البعض على أن نموت أمام عرشه . وذلكم اليوم هو يوم الموت . فلنكن عند كلمتنا » . فرد عليه القاآن قائلاً : « مرحى بعهدك وميثاقك . فقد نفذت كلامك » .

وعندئذ سأل قوبيلاي قاآن «أريق بوكا» : «من حرضك على الفتنة والشغب؟ ! . . » أجاب : «ذكر لي بولغا والعلمدار أن قوبيلاي قاآن وهولاكو كلاهما قد سار بجيشه ، وأن القاآن قد عهد إليك بالالوس الكبير . فما رأيك في هذا . هل ستتركنا يقطعون رقابنا كالأغنام؟ ! . . . فقلت لهما : هل شاورتما دورجي؟ ! أجابا : إننا لم نتشاور معه بعد . فقلت : تشاورا مع تومان وتوقوز واليجار وخوجه . وأخيراً اتفقوا جميعاً على الشورى . ولما لم يكن دورجي حاضراً بسبب المرض ، قلت لهم : استدعوه كي نتم الكلام في هذا الموضوع . فحضر هو أيضاً ، واتفق مع المتشاورين . وهكذا أبرمت تلك الجماعة هذا الأمر متضامنين ، وقاموا به . ومن بين الأمراء لم يخالف تومان كلامي ، إذ قام بتنفيذ كل ما أمرت به . وكان هناك چينگ تيمور المتسبب في هذا الضرر لأنه قال كلاما في حق القاآن لا يصح أن يصدر من أمثاله» .

عندئذ قال الأمراء جميعاً : «إن ما حدث على هذا المنوال ، ذكره أريق بوكا ، فكلامه كله صدق» . فقال چينگتيمور : «إن أريق بوكا هو الذي وجهني فكيف يحملني الآن تبعة ما حدث؟ ! . . . وإن بولغا آقا شاهد على ذلك . وهو يعترف بهذا» . فأمر القاآن بأن يواجه چينگ تيمور أريق بوكا» . فكرر چينگ تيمور نفس ذلك الكلام في مواجهة أريق بوكا . فاشتد وقع هذا الكلام على أريق بوكا ، وقال : «إذا كانت الحقيقة كما تدعي فعش أنت كي أموت أنا» . فلما عرضوا هذا الكلام على القاآن ، عرف أن كلام چينگ تيمور صدق . فأطلق سراحه . ثم تشاور مع كافة الأمراء الأنجال من كبار أفراد الأسرة الحاكمة ، وقال : إن بولغه البيتكچي قد أطاع كلام أوگتاي قاآن ومنگوقاآن ، فأبقينا على حياته ، وأطلقنا سراحه ، لا سيما وأنه سوف يكون أيضاً شاهداً على أحوال المتهمين في هذه القضية لدى هولاكو وبقية الأمراء» .
كذلك أطلق القاآن سراح أبنائه بناء على مشورة الجمهور . فلما علم اسوتاي بإطلاق سراح بولغه ، قال : «كيف يجوز الإبقاء على حياة اسوتاي؟ سأواجهه لأكشف عن جرائمه الشنيعة» . ثم قال لبولغه : «أنت ذكرت مثلاً مغوليا معناه : لقد أقدمنا على عمل لا يجوز أن نتراجع عنه ، ولا ينبغي إهماله . وإن جريمتك الكبرى هي أنك أقررت الرأي الذي يقول : ينبغي الموت في سبيل

أريق بوكا » . فلم ينكر بولغه نويان ذلك ، وصدقه . فلما عرضوا ذلك الكلام على قوبيلاي قاآن ، قال : « ما دام الأمر على هذا النحو ، فليقتل بولغه » .

وكانت جريمة ايلجيتاي تزيد في شناعتها على جرائم الآخرين ، إذ أنه وشى بقوروميشي بن قدان ، وسعى به حتى قتلوه . ولهذا السبب سلموه إلى قدان فقتله . كذلك كانت جريمة دوقوز « أكثر بشاعة ، ذلك لأنه سعى حتى قتل الكثيرون من رعايا القاآن . وهكذا قتل هؤلاء الأمراء المذكورون جميعاً . ثم أرسل القاآن هوقو بن كيوك خان ، وچيبات بن ناقو وتوتوق بن قراچار مع نفر من الأبناء الآخرين إلى ولاية التركستان .

بعد ذلك أراد قوبيلاي قاآن أن يحقق مع أريق بوكا ، وظل ينتظر وصول هولاگوخان وبركاي وآلغو . ولكن لما كان هؤلاء بعيدين جداً ، ويستغرق حضورهم وقتاً طويلاً ، اجتمع الأمراء الأنجال في تلك الجهات ، وهم : طغان جار وييسونككه ويكه قدان وهولاقور وجينگ تيمور وچاوتو والأمراء الأنجال الآخرون ، وأمراء المغول والخطا ، وحققوا مع أريق بوكا واسوتاي . والسلام .

* * *

تحقيق الأمراء الأنجال والأمراء من المغول والخطا مع أريق بوكا

بعد أن أعدم عشرة من أمراء أريق بوكا ، وحقق معه هو نفسه ، أصدر الملك مرسوما ، أرسله إلى كل نواحي البلاد . ثم تشاور جميع الأمراء ، وصرحوا قائلين : « ماذا نفعل إزاء الجريمة التي ارتكبها اريق بوكا واسوتاي ؟! . . . سوف نعفو عنهما تيمنا بسلامة القاآن » . ثم أوفدوا الرسل إلى هولاگو وبركاي وآلغو يقولون : « نظرا لأنه لن يتيسر حضوركم بسبب بعد الطريق وكثرة الأشغال والأحداث ، ثم إنه من الممكن أن يتطرق إلى أمور المملكة وهن وخلل لا يمكن تداركهما . لهذه الأسباب قتلنا أمراءهم ، وحققنا مع اريق بوكا واسوتاي كليهما . والآن نستشيركم فيما قررناه نحن جميع أعضاء الأسرة الحاكمة وهو أن نعفو عن اريق بوكا ، ونطلق سراح اسوتاي . فماذا تقولون بخصوص هذا القرار ؟! . . . » .

ولما وصل الرسل أولا إلى آلغو، وأبلغوه الرسالة، أجاب : « إنني أيضا جلست مكان جغتاي دون مشورة القاآن وهولاگو آقا . فإذا ما اجتمع أعضاء الأسرة الحاكمة كلهم، وتحققوا من صدقي وكذبي، فليسألوني ما إذا كانوا راضين عني . وعندئذ أجيبهم بما عندي من أقوال طيبة أو رديئة » .

بعد ذلك وصل الرسل إلى حضرة هولاگوخان، وعرضوا عليه تصويرا للموقف، فقال : « بما أن جميع أعضاء الأسرة الحاكمة قد اجتمعوا وتشاوروا في الأمر، وأنهوا الحديث في هذا الموضوع، يكون الأمر على هذا النحو . ونحن أيضا نبادر بالسير عندما يقصد بركاي القوريلتاي » . ثم أرسل رسله برفقتهم إلى بركاي، كي يحدد موعدا معينا يذهبان فيه إلى حضرة القاآن لحضور القوريلتاي .

فلما وصل الرسل إلى بركاي، وشرحوا له الأوضاع، قال : « إن كل ما تشاور بشأنه القاآن وهولاكوخان وجميع أعضاء الأسرة الحاكمة، يظل على ما هو عليه . ونحن أيضا سوف نعقد العزم على السير في « هوكارييل » (أي عام البقرة)، وسنقطع المسافة في « پارس ييل » (أي عام الفهد)، فنصل إلى القوريلتاي في صحبة هولاگوخان في « تولي ييل » (أي عام الأرنب) .

ولما وصل الرسل إلى حضرة القاآن، وعرضوا عليه نتائج سفاراتهم، سمح لأريق بوكا واسوتاي بتقديم فروض الخضوع والولاء للقاآن . ثم جيء بهما إلى المعسكر .

وفي خريف ذلك العام الذي هو عام الفهد الموافق سنة أربع وستين وستمائة (٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م) مرض اريق بوكا، وتوفي . وفي هذا العام أيضا وقعت الحرب ودب الخلاف بين هولاگوخان وبركاي وكما هو مذكور في تاريخهما . وبعد فترة وجيزة مات الاثنان . فليكن سلطان الإسلام غازان خان - خلد سلطانه - وارثا للأعمار سنين عديدة، وقرونا لا تحصى، وليظل متمتعا بطول العمر والإقبال .

ولما بلغ القاآن خبر وفاتهما، نصّب آباقا الابن الأكبر لهولاگوخان مكان أبيه على رأس المغول والتازيك في إيران، ومنح مونككاتيمور حكم اولوس

جوجي . وفي ذلك الوقت أيضا أصيب آلغو بمرض مزمن ، فلم يستطع الذهاب لحضور القوريلتاي ، وتوفي هو الآخر . فولت « اورغنه خاتون » ابنها مباركشاه مكان آلغو ، وذلك بمشورة أمرائه . ولكن براق بن ييسون توا بن مواتوكان ابن جغتاي تحدث في حضرة القاآن قائلا : « لماذا يجلس مباركشاه مكان عمي آلغو . فإذا صدر الفرمان بأن أحكم مكان عمي ، فسوف أتمنطق بنطاق العبودية والانقياد » . فأصدر له القاآن مرسوما ينص على أن يحكم براق الاولوس إلى أن يبلغ مباركشاه أشده . فقدم براق ، وحل محل مباركشاه . وقد انفصل عن براق ولدا آلغو : چوتان وقيان وأعضاء أسرتهما ، وذهبوا مع جنودهم إلى حضرة القاآن . والسلام .

حكاية إرسال القاآن ولديه نوموغان وكوكچو مع الأمراء الأنجال الآخرين لمحاربة قايدو ، وتفكير بعض هؤلاء الأمراء في الغدر بهما

بعد أن استراح خاطر القاآن من فتنة أريق بوكا وشغبه ، دخل جميع الأمراء الأنجال في طاعته ، ما عدا قايدو بن قاشين بن أوگتاي قاآن ، وبعض من أبناء جغتاي . فأرسل إليهم قوبيلاي قاآن رسولا يستميلهم إلى جانبه قائلا : « إن جميع الأمراء الآخرين قد حضروا هنا ، وأنتم لماذا تخلفتم ؟! . . . إن أمنيتي هي أن نير عيوننا برؤ ية بعضنا البعض ، ونتشاور في مختلف الموضوعات ، ثم تعودوا مشمولين بالعناية والرعاية » . لكن قايدو لم يقبل الدخول في طاعة القاآن . فاعتذر قائلا : « إن دوابنا هزيلة ، وعندما تسمن ، سوف نمتثل للأمر » . وهكذا ظل يتذرع بهذه الحجة مدة ثلاث سنوات . وبعد ذلك أخذوا يطاردون بالاتفاق مع قوينجي نويان « نارين » الذي كان من أتباع أورنكتاش بن منگوقاآن . وكان ينزل على مقربة منهم ، وأعملوا في السكان القتل والنهب ، وشرعوا في إثارة الفتن والاضطرابات .

ولهذا السبب سيّر القاآن ابنه نوموغان مع أمراء الميمنة والميسرة وشيركي من أبناء منكوقاآن ، وبوبوغور وملك تيمور من أبناء أريق بوكا ، وتوقتيمور بن سوتوكتاي واوروقتاي من أبناء إخوة القاآن ، وجراقو بن اوتچگين من بني أعمام

القاآن ، سيّرهم مع أمراء وجنود لا عد لهم ولا حصر للقضاء على فتنة قايدو .
وكان مقدم الأمراء « هنتون نويان » . فاصطافوا على شاطىء النهر ، وركبوا للصيد عدة أيام . وقد انفصل بعضهم عن الآخرين ، فتقابل توقتيمور مع شيركي في مكان الصيد ، وتشاورا واتفقا على اعتقال نوموغان وهنتون ، وتسليمهما إلى العدو . ثم خدع توقتيمور « شيركي » ، وقال له : « إن الملك حق لك . وإن القاآن قد جار كثيرا علينا وعلى إخوتنا » . وفي الليل قبضا عليهما ، ثم بعثا بنوموغان ، وأخيه كوكجو إلى منككتيمور . كما أرسلا هنتون نويان إلى قايدو بصحبة الرسل ، وقالا : « إن أفضالك علينا كثيرة ، ولن ننساها . ولهذا بعثنا إليك بابني قوبيلاي قاآن وأمرائه الذين كانوا ينوون الاعتداء عليك . فينبغي ألا يسيء الظن الواحد منا بالآخر ، ونتفق على مقاومة العدو » .

ثم عاد الرسل وأحضروا الجواب ، وفيه يقول : « إننا ممتنون منكما . وهذا ما كنا نتوقعه . فتعالا هنا لأن الماء والعلف يجودان في تلك المناطق » . فركب توقتيمور ، وذهب مباشرة إلى معسكر أوكتاي وجغتاي ، وقبض على الأبناء الذين كانوا على رأس تلك المعسكرات ومنهم ساربان وأخو مينقاتيمور ، وأشاع أن أبناء باتو وقايدو والأمراء قد اتفقوا ، وأنهم يجيئون في إثره ، فرحلوا كلهم وساروا في صحبة توقتيمور وساربان .

وفجأة وصل جند القاآن وعلى رأسهم بيكلاميش . فتبين لمن في المعسكرات أن نبأ مجيء أبناء باتو وقايدو كذب ، وأن توقتيمور وساربان كانا متصلين بشيركي . ثم حاربوا جند القاآن متضامنين ، وهرب توقتيمور وشيركي وساربان ، وقصدوا قوم « بارين » على شاطىء نهر أرديش . وانهمك كل منهم في الاستعداد للمعركة . فسار توقتيمور من هناك بقصد الإغارة على ولاية « قيرقيز » . ثم وصل جنود القاآن ، فنهبوا متاعه ، فعاد للمطالبة به ، وطلب العون من شيركي ، فلم يجبه ، فغضب توقتيمور منه . ولما عاد ، لحق بساربان فجأة في الطريق على الرغم من أن شيركي قد خدعه أيضا عندما وعده بالملك .
وفي تلك الحال كانت المسافة بينهما وبين شيركي بعيدة كل البعد . وكان ايت بوقا حاضرا ، وهو من قبيلة . . .[1] وكان على صلة بشيركي ، فأسرع وأخبره كما

(١) هكذا في الأصل .

أخبر ملك تيمور والأبناء الآخرين بتلك الحالة . فجمع شيركي وملك تيمور جنودهما ، وسارا في صحراء « جوركل » ، وأرسلا رسولا إلى توقتيمور يقول : « لماذا تثير الفتن والاضطرابات بين الرعايا ؟ » فأجاب قائلا : « إن شيركي ينقصه الجلد والشجاعة ، وأريد أن يكون ساربان مستعدا ليصير ملكا » .

فلما لم يجد شيركي حيلة ، أرسل إلى ساربان يقول : « إذا كنت ترى أن الملك ينبغي أن يكون لك ، فلماذا تطلبه من توقتيمور ؟! . . . اطلبه مني » . فقال توقتيمور ردا على ذلك الكلام : « لماذا نطلب منك الملك ، ونجيء إليك ؟ تعال أنت بنفسك إلينا » .

ولما كان شيركي يعلم أنه لا يستطيع المقاومة ، وإذا حارب ، فسوف يهلك الجنود الكثيرون دون فائدة ، قدم إليهما . وفي أثناء ذلك استدعى توقتيمور « بوقا » لكنه هرب ، فتعقبه جنود توقتيمور . وعندما أدركوه ، طعن نفسه بخنجر ، وقضى نحبه .

بعد ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجلس ساربان في مكان مرتفع ، ثم ألزموا شيركي على تنفيذ تعليماتهم ، فقالوا له : « إذا كنت قد جئت إلينا بقلب سليم ، فأرسل حالا الرسل إلى أبناء باتو وقايدو ليقولوا : إننا قد اخترنا ساربان طائعين ، وجعلناه مقدما ورئيسا » . فأرسل شيركي إليهم على الفور يخطرهم بذلك . وعندئذ قالوا له : « عد إلى معسكرك ، وسوف يبقى « ملك تيمور » هنا لحين وصول يوبوقور » . فاستنكر ذلك ، ولم يذهب إلى ساربان ، فقاد توقتيمور جيشه لمحاربته . فلما اقترب منه ، أرسل إليه رسولا يقول : « لقد استقر رأينا على هذا . فإذا وافقت فبها ونعم ، وإلا فاستعد للقتال » . فأجاب يوبوقور : « لا أريد الحرب ، وأريد مهلة خمسة أيام كي استعد لتقديم الهدايا . وفي الوقت نفسه عكف على إعداد الجيش ، ثم خرج في اليوم الخامس مع الجيش ، وهيأ الصفوف ليقاتل ، فحمل عليه يوقتيمور . ولكن في ذلك الوقت انسحب جند توقتيمور دفعة واحدة ، وانضموا إلى يوبوقور . فهرب توقتيمور مع اثني عشر شخصا من أتباعه . وبعد ثلاثة أيام بلغ ديار المغول . وقد ارتدى لباسا أسود ، وطلب ماء فلم يعرفوه ، وأحضروا له لبنا خاثرا . وعلى الفور وصل جمع من خلفه ، فعرفوه بسماته فصاروا يتعقبونه . وفجأة بلغوا نهرا مملوءا

بالماء والوحل ، فقال لأتباعه : « أولى بنا أن نقاتل ونموت بسمعة طيبة » . فقالوا : « أنت لك حسب لا يصيبه خلل ، ولكن الوضع يكون سيئا بالنسبة لنا » . فيئس من أتباعه وألقى سلاحه ، ووقع أسيرا في أيدي الأعداء ، فحملوه إلى يوبوقور . ثم طلب « شيركي » « توقتيمور » من يوبوقور ، فقال : « إذا كنت تحميه ، تصير عدوي الأكبر » . فقال شيركي : « إنه إذا كان قد صدرت منه سيئة واحدة ، فإنه قد فعل عشر حسنات » . فلم يجد ذلك نفعا ، وقضى يوبوقور على توقتيمور .

بعد ذلك قدم ساربان إلى شيركي وقال : « إن توقتيمور هو الذي حملني على ذلك » . فاسترد شيركي الجند منه إلى أن صار يتجول مع اثنين أو ثلاثة من أتباعه . وبعد مدة طفق الجند يهربون جماعات جماعات ، ويدخلون في طاعة القاآن . فأراد شيركي أن يتعقب الهاربين ويعيدهم . لكنه خشي أن يثير ساربان الفتن ، فأرسله مع خمسين من أتباعه إلى قوينجي حفيد جوجي . واتفق أن كان في طريقهم في منطقة جَنْد واوزگند ، ويمر على الديار الخاصة بساربان ، فاجتمع أتباعه ، وقبضوا على الخمسين خادما من أتباع شيركي ، وأطلقوا سراح ساربان . فسار بجيشه مرة ثانية ، واستولى على رحل شيركي . ثم أمر جنوده بالرحيل إلى القاآن . وسيّر في المقدمة رسولا إلى القاآن لإخباره بحاله . فعلم شيركي بذلك ، فجاء ليقاتل ساربان . لكن جنوده ذهبوا دفعة واحدة إلى ساربان ، وانضموا إليه ، وبقي هو وحده . ثم أمر ساربان بأن يحرسه خمسمائة فارس . فلما سمع يوبوقور بذلك ، زحف بجيشه ليحارب ساربان . لكن جنوده أيضا ، انفضوا من حوله ، وذهبوا إلى ساربان ، وانضموا إليه . فقبض عليه هو الآخر ، وعهد بحراسته إلى خمسمائة فارس ، وساروا إلى القاآن .

غير أن يوبوقور تمارض ، وطلب مهلة يومين أو ثلاثة . ثم أرسل خفية أموالا كثيرة من النقود والجواهر إلى ابن أخي جنگيز خان « أوتچگين » الذي كان مقره في تلك الجهات ، والتمس إليه أن يخلصه من تلك الورطة الهائلة . فجمع الأمير النجل لاوتچگين جنوده ، وفجأة طارد خيول ساربان ، وأحاط بجنوده . غير أنه هرب بجواده وهربت معه زوجته . ولما رأى أحد قواد نجل اوتچگين زوجة ساربان قد لاذت بالفرار ، عزم على أسرها . فصرخت الخاتون صرخة مدوية . فعاد سربان ، وصوب إليه سهمه ، فأرداه قتيلا ، وذهب مع زوجته

إلى حضرة القاآن . وكان شيركي قد وصل إلى هناك قبل وصول ساربان . لكن القاآن لم يسمح له بالدخول عليه ، وأمر بأن يقيم في جزيرة هواؤها عفن تماما ، حيث يقضي بقية عمره إلى أن قضى نحبه في النهاية . أما ساربان فقد شمله القاآن بعطفه ورعايته ، ومنحه الولاية والجيش . وقد توفي هو أيضا بعد مدة . وأما يوبوقور فقد استولى على معسكرات شيركي وساربان ، ودخل مضارب قوينجي .

وقدم ملك تيمور وقوربقا معا إلى قايدو ، وجاء « اولوس بوقا بن شيركي » إلى مضارب قوينجي ، ومكث هناك مدة ، وقد سئم يوبوقور من خدمة قايدو ، فلاذ بالفرار ، ولحق بحضرة القاآن .

وكذلك فعل اولوس بوقا ووالدته والجنود . ولما كان حفيد جوجي قد توفي ، أجلس مكانه « تودا مونككا » . كذلك تشاور نوقاي وتودا مونككا وقوينجي ، ثم بعثوا بنوموغان قائلين : « لقد خضع الجميع وأطاعوا . وسنحضر القوريلتاي » . وأرسل قايدو أيضا « هنتون نويان » ، ولكنه لم يذهب إلى القوريلتاي ، فتراجعوا هم أيضا عن رأيهم ، ولم يحضروا القوريلتاي . وقد توفي نوموغان بعد عام . والله أعلم بالصواب .

حكاية إرسال القاآن الجيش إلى ولاية

ننكياس ، واستلاؤه على تلك الممالك

لما كان القاآن قد أراح جيوش المغول عدة سنوات من السير للقتال ، فكر في نفسه قائلا : « حيث أن ممالك الخطا فتحت كلها ، ينبغي الاستيلاء على ننكياس أيضا » . وفي عهد منگوقاآن ، كان ملك ننكياس يرتبط بصداقة وطيدة مع منگوقاآن . وكانت الرسل تروح وتغدو بينهما دائما ، ذلك لأن ملوك ننكياس كانوا عريقين ومشهورين . وفي قديم الأيام كانت ممالك الخطا أيضا في حوزتهم . ثم إن « التان » خان الخطا ، ومن نسل أقوام چورچه[1] كان ممن خرجوا ، واستولوا على تلك الممالك .

---

١) للوقوف على مزيد من التفصيلات ، انظر جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، تاريخ هولاگوخان ، الترجمة العربية ، ص ١١٧ - ١١٨ .

وملوك ننكياس القدماء - كما سوف يأتي شرح ذلك في ذيل هذا الكتاب - كانوا يقدمون المدد لجنگيز خان عندما كان مشغولا بفتح ممالك الخطا ، وذلك بسبب أنهم كانوا يعادون ملوك هذه البلاد . وبناء على هذا أرسلوا إلى المغول جيشا معدا تمام الإعداد ، لا سيما في عهد أوگتاي قاآن ، وعاونوا المغول في حربهم ضد الخطا إلى أن غلب ملك الخطا على أمره . كما ذكر بالتفصيل في تاريخهم .

وفي بادىء الأمر ، عزم منگوقاآن على فتح ننكياس ، وصمم قوبيلاي قاآن أيضا على اتباع تلك القاعدة خصوصا ، وأن الخطا كانت عاصمة له ، وعلى مقربة من ممالكهم .

وصفوة القول أنه كان يرسل جيوشه إلى حدودهم . ولكن لم يتيسر له القيام بعمل حاسم حتى تاريخ . . .[1] عندما كان المدعو « بايان بن كوكچو » أميرا عظيما ، وهو من قبيلة « بارين » ، وجد الاق نويان الذي قتل بسبب اتهامه بجرم كبير . وكان بايان هذا جنديا من نصيب قوبيلاي قاآن . ولأنه كان في إيران في خدمة آباقاخان ، أرسل قوبيلاي قاآن « سرتاق نويان بن سدون نويان » في صحبة عبد الرحمن برسالة يطلب بايان . وفي عام البقرة الذي كان فيه هولاگوخان قد أسلم الروح ، أرسلوا بايان إلى حضرة القاآن في صحبة سرتاق . وظل عبد الرحمن مقيما في هذه الولايات لإنهاء المحاسبات .

وعندما وصل إلى هناك ، جهز القاآن « ثلاثين تومانا »[2] من جنود المغول ، و« ثمانين تومانا »[3] من جنود الخطا . وعيّن « شمكه بهادر » قائدا لجيش الخطا ، وهو من أمراء الخطا . ومن مدينة « چغان بلغسون » التي كانت قد خضعت في عهد منگوقاآن . وكان شمكه هذا قد رحل إلى بلاط القاآن بنية خالصة . وعيّن بايان المذكور والأمير آچو حفيد سوباداي بهادر ومن قبيلة « أوريانكقت » على رأس جيش المغول . وأمر بأن يكون شمكه بهادر قائدا عاما للجميع ، لأنه كان شديدا في تنفيذ القوانين . وكان دائما يقوم بأعمال مجيدة .

(١) هكذا في الأصل .
(٢) أي ٣٠٠,٠٠٠ جندي .
(٣) أي ٨٠٠,٠٠٠ جندي .

ثم أرسل القاآن هؤلاء إلى ننكياس . غير أن شمكه عاد أثناء سيره في الطريق بسبب مرضه . فصار بايان وآجو قائدين عامين للجيشين .

ولما كانت رقعة ممالك ننكياس فسيحة جدا ، وجنودها لا عد ولا حصر لهم ، كان فتحها أمرا صعبا ، ويتطلب وقتا طويلا . غير أن المغول والخطا جدوا واجتهدوا زهاء أربع سنوات ، فاستولوا على بعض أجزائها . ولكنهم بعد ذلك ، أرسلوا إلى حضرة القاآن قائلين : « إن الجيش غير كاف » . ولأنه لم يتيسر للقاآن إعداد جيش آخر بسرعة ، أصدر مرسوما يقضي باستدعاء جميع المسجونين في ممالك الخطا ، فكانوا نحو عشرين ألف رجل . ثم قال لهم : « أنتم جميعا تستحقون الموت والإعدام ، ومع هذا فقد أطلقت سراحكم نذرا لحياتي ، وسوف أعطيكم الخيول والأسلحة والثياب ، ثم أرسلكم للانخراط في الجيش . فإذا اجتهدتم ونشطتم ، فسوف تصيرون أمراء مشهورين . ثم خبر استعدادهم ، وجعل اللائقين منهم أمراء الألف (هزاره) والمائة (صده) والعشرة (دهه) ، وسيّرهم لكي ينضموا إلى الجيش الأكبر .

وبعد ذلك أرسل رسولا ، وطلب بايان وآجو ومعهما عدّاء ، فحضرا ومعهما سبعة من العدائين . فأرشدهم وعلمهم كيف يحاربون ثم رجعوا .

وفي العام السابع من توجه جنود قوبيلاي قاآن إلى هذه البلاد ، حاربوا أعداءهم على ضفاف نهر الكَنْكْ ، وهزموا جيش ننكياس البالغ عدده ثمانين تومانا ، واستولوا على هذه المملكة ، وقتلوا ملكها المدعو « سوجو » وفتحوا ولايات أخرى هي : كندو ـ انكربوره ـ مقومان ـ كلنك ـ كياي ـ « كفجه كوه » وغيرها .

أما أهل ولاية سولانكقه الذين كانوا قد خضعوا في عهد منگوقاآن ، ثم عادوا وتمردوا مرة ثانية ، فإنهم عندما جلس قوبيلاي قاآن ، قدموا إلى الحضرة مرة أخرى ، ودخلوا في طاعته .

ثم أرسل القاآن جيشاً إلى ولاية « جاوه » من ممالك الهند ففتحها عنوة . كذلك أرسل الرسل بالسفن إلى أكثر ممالك الهند ، ليدخلوا أهلها في طاعته . فصاروا لاضطرارهم أرقاء خاضعين . ولا تزال رسلهم حتى الآن تروح وتغدو لتقديم فروض الخضوع والطاعة .

ثم وزع قوبيلاي قاآن ممالك ننكياس على الأمراء الأنجال ، وأقام على الحدود في كل إقليم منها جيشاً مجهزاً ومعداً . ويروي الأمير « پولاد چينگسانگ »[1] ـ الذي كان له اطلاع كامل على أحوال تلك الممالك ـ أنه على الرغم من أن العادة المتبعة عند أهل ننكياس أنهم يحصون فقط المشهورين الذين يكونون رؤساء هؤلاء القوم ، ولهم أتباع ومريدون ، على الرغم من ذلك ، فإن عددهم « تسعة وتسعون تومانا »[2] . وليس ثمة بلد أوسع منها ، إذ أنهم ذكروا في الكتب أن ابتداء الأقاليم الخمسة ، من تلك البلاد . ومع كل هذا الاتساع ، فإن العمارات هناك متصلة بعضها ببعض . وحتى هذا الوقت لا تزال جيوش المغول والجاوقوت مستقرة هناك ، ولم يخرج جنودهم في أي وقت . ويقيم كل أمير تومان مع جنده في بلد معين ، ويفوض إليه حكمه . وكان يلازم كل أمير أربعة من الكتّاب من قبل الديوان . وعندما يطلب تأدية خراج الولاية ، يرسل مرسوم القاآن إلى ذلك الأمير ، فيحصله ـ بمقتضى الفرمان ـ من كل المدن التي تتبع ذلك الإقليم . ثم يرسل الخراج إلى القاآن ، ولا يتدخل أحد منهم قط في عمل غيره .

وقد أصبح سائر الأفراد في جماعة المسجونين أمراء بارزين ، وحصلوا لأنفسهم على مصنّيف ومشاتي . والله أعلم بالصواب . وإليه المرجع والمآب .

---

(١) هو رحل يتمتع بشهرة كبيرة لدى المغول وكثيراً ما يرد دكره في كتاب رشيد الدين ، ويوصف بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول ، فلا عرو أن يكون أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها رشيد الدين في تأليف كتابه جامع التواريخ ويقرر مؤرخنا أن الأمير بولاد آقا ينتسب إلى قبيلة مغولية من « دوربان » . وكان أبوه الذي يدعى « يوركي » يشتغل طاهياً « باورجي » عند چنگيز خان ، وكان ملحقاً بقصر « بورتاج قودچين » عظية چنگيز خان ، وتحت إمرته كتيبة مؤلفة من مائة رجل (صده) ، وهذه بدورها تؤلف فرقة من الكتيبة المكونة من ألف رجل (هزاره) الخاصة بالخان ، كان پولاد ملتحقاً بخدمة الخان الأعظم قوبيلاي ، ويجمع بين لقب چينگسانگ ، ولقب باورچي (أي طاه) . ثم أرسل سفيراً إلى ايران من قبل قوبيلاي قاآن حيث أقام زمناً طويلاً . وكان أميراً ذا صفات عالية . كما كان يتمتع بشهرة لا حد لها . وقد وصل إلى بلاط المغول في فارس في بداية حكم ارغون خان وبراه في سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ ـ ١٣٠٣ م) يبلغ غازان خان حديثاً طويلاً متزناً عن ماهية السلوك السياسي وقد توفي سنة ٧١٢ هـ = ١٣١٢ م) .

(٢) أي ٩٩٠,٠٠٠ جندي

ولما كانت حكايات قوبيلاي قاآن وأحواله ابتداء من ولادته إلى وقت جلوسه على عرش الملك ، واستيلائه على كل ممالك الخطا والماچين قد ذكرت بالتفصيل ، فإننا نسجل الآن عدة حكايات أخرى تختص بممالكه ، وتشمل القوانين والنظم التي وضعها ، وأحوال الجيوش التي عينها في كل مملكة ، وكل ناحية من تلك الولايات ، إن شاء الله العزيز وحده . والسلام .

* * *

حكاية العمارات التي أقامها القاآن في بلاد الخطا ، والقواعد والرسوم والإدارات والترتيبات المعهودة في تلك الممالك

ولايات الخطا بلاد واسعة جداً وممتدة الأطراف ، وعامرة إلى أقصى حد . ويذكر الرواة الثقاة أنه ليس في كل الربع المسكون بلاد تضارعها قط من حيث العمران وكثرة الخلق . وقد تفرغ من البحر المحيط خليج غير متسع من الناحية الجنوبية الشرقية على الحدود والسواحل الواقعة بين منزي وكولي . وتمتد خان باليغ وسط بلاد الخطا إلى أربعة فراسخ ، ويقصدها الناس بالسفن . ويكثر فيها المطر بسبب قربها من البحر وبعض تلك البلاد حار ، وبعضها بارد .

وقد استولى جنيگزخان في عهده على أكثر تلك الممالك ، وتم فتحها في عهد أوگتاي قاآن . ولم يكن لجنگيز خان وأولاده عاصمة في ممالك الخطا كما ذكر في تاريخ كل منهم . لكن بسبب أن منگوقاآن قد منح قوبيلاي تلك البلاد ، فرآها هذا ببعد نظره بلادا عامرة إلى أقصى حد ، وحولها الولايات والممالك العظيمة ـ اختارها عاصمة له . فاتخذ مدينة خان باليق ، التي تدعى باللغة الخطائية « چونكدو » ، وكانت عاصمة لملوك الخطا ، ـ مشتى له . وقد شيدت هذه المدينة في قديم الزمان بناء على اختيار المنجمين والحكماء ، واعتبرت دائما مقترنة بكامل السعادة والإقبال . ولأن چنگيز خان كان قد دمرها ، أراد قوبيلاي أن يعمرها ، فبنى بجوارها مدينة أخرى ـ طلباً للصيت والشهرة ـ اسمها « داي دو » . فاتصلت المدينتان ببعضهما . ولسور المدينة الجديدة سبعة عشر برجاً ، والمسافة بين برج وآخر فرسخ واحد ، وهي معمورة بحيث أنه قد أقيمت أيضاً عمارات غير محدودة في ظاهر الأبراج . وجلبوا إليها من كل ولاية

أنواع الأشجار المثمرة ، وغرسوها في حدائقها وبساتينها ، وأكثرها خصب ناضر .

وفي وسط تلك المدينة ، أقام ـ لبلاطه ـ صرحاً في غاية العظمة أسماه « قرشي » . وأعمدته وأرضياته كلها من الرخام والمرمر ، وفي غاية الروعة والنظافة ، وقسمه إلى أربعة أقسام ، يفصل بين كل قسم وآخر مسافة بمقدار رمية سهم بعيد المرمى . فالقسم الخارجي للبلاط والتشريفات ، والداخلي لجلوس الأمراء الذين يجتمعون كل صباح . والثالث للحرس ، والرابع للخاصة . ويقيم القاآن في ذلك القصر شتاء . وكثيرا ما صور المصورون مناظر ذلك الصرح في كتب التاريخ . وإنه لعلى تلك الهيئة التي صورت له .

والمدينتي خان باليق ودايدو نهر متسع جدا يمتد من الناحية الشمالية ـ التي هي طريق المصيف ـ من حدود جمجال . وهناك أنهار أخرى . وفي ظاهر المدينة أنشئت بركة واسعة جداً ، كأنها بحيرة . وقد أقيم عليها سد لإرساء السفن والتنزه . وكان ماء ذلك النهر يجري قبل هذا في موضع آخر ، ويصب في خليج يمتد من البحر المحيط إلى حدود خان باليق . ولما كان ذلك الخليج ضيقا في تلك الأماكن ، القريبة من خان باليق ، ولا تستطيع السفن الدخول فيه ، كانت الأحمال تحمل على الدواب . ثم تجلب إلى خان باليق . فتنبه المهندسون وحكماء الخطا ، وقرروا أنه من الممكن أن تأتي السفن إلى خان باليق من أكثر ولايات الخطا ، ومن دار ملك « الماچين » ، ومن مدينة خينكساي وزيتون والأماكن الأخرى . فأمر القاآن بأن يحفروا نهرا كبيرا يصب فيه ماء النهر المذكور وعدة أنهار أخرى متفرعة من قراموران وغيره ، فتربط المدن والولايات ، ثم تصب في ذلك النهر . وتسير السفن من خان باليق إلى خينكساي وزيتون التي هي ميناء الهند ، وقاعدة الماچين ، فتقطع المسافة في أربعين يوما . وقد أقيم على هذا النهر سدود كثيرة لإرواء الولايات . وعندما تصل سفينة إلى تلك السدود ، يرفعونها إلى أعلى بآلة رفع الأثقال مع حمولتها مهما كانت كبيرة وثقيلة ، ثم يلقونها في الماء في الناحية الأخرى من السد حتى تسير . وعرض ذلك النهر يزيد على ثلاثين ذراعا .

ثم أمر القاآن ببناء حاجز لذلك النهر من الحجارة حتى لا ينزل التراب

فيه . ويوجد بجوار ذلك النهر شارع فسيح يصل إلى الماچين ، ويمتد مسيرة أربعين يوما . وقد رصف كل هذا الطريق بالحجارة . حتى إذا نزل المطر بغزارة ، لا تغوص أرجل الحيوانات في الوحل . وقد غرست أشجار الصفصاف وغيرها على جانبي الطريق بحيث تلقي بظلها على الطريق كله . وليس لأي مخلوق ـ عسكريا كان أم مدنيا ـ الجرأة على أن يكسر فرعا من تلك الأشجار أو يناول الدواب ورقة منها .

وعلى جانبي الطريق أنشئت القرى ، وشيدت الحوانيت ومعابد الأصنام بحيث أن الطريق كله أصبح عامراً مسيرة الأربعين يوما . وقد أقيم سور مدينة دايدو من التراب ، إذ أن عادة أهل تلك الولاية أن يصنعوا لوحين ، ويملأوا ما بينهما بالتراب المبلل . ثم يدقونه بخشبة غليظة حتى يصير محكماً ، ثم ينتزعون الألواح فيكون جدارا . ولأنه يتفق سقوط المطر بغزارة ، وتراب تلك الولاية ضعيف ، فإن الجدار يصير هكذا أكثر إحكاماً .

وقد أمر القاآن في أواخر عمره بإحضار الأحجار ، وأراد أن يرصف بها سطح ذلك الجدار ، ولكنه مات . فليحالف التوفيق تيمورقاآن لإتمامه إن شاء الله تعالى .

كذلك أراد القاآن أن يقيم قصرا في مصيف مدينة « كيمين فو » التي تقع على بعد خمسين فرسخا ، ويشيد عمارة . ومن المشتى إلى هناك توجد ثلاثة طرق :

الأول ـ طريق خصص للصيد ، ولا يسير فيه غير رسول أمراء المغول .

الثاني ـ طريق بجوار مدينة « جوجو » الواقعة على ضفاف نهر غزير المياه . وهناك كروم وفواكه كثيرة .

كذلك توجد مدينة صغيرة أخرى قريبة من تلك الولاية اسمها « سيمالي » . وأكثر سكانها من أهالي سمرقند . وقد أنشأوا فيها بساتين كثيرة على شاكلة حدائق سمرقند .

الثالث ـ طريق يمتد على ربوة تسمى سينكلينك . وعندما يجتاز المارون تلك الربوة ، تكون كل الصحاري رياضا ومصايف حتى مدينة « كيمين فو » .

وقبل هذا كان الناس يصطافون على حدود مدينة «چوچو» المذكورة . ثم اختاروا الاصطياف بعد ذلك على حدود مدينة كيمين فو . وفي الناحية الشرقية من المدينة ، شيد قوبيلاي قاآن لنفسه قصرا اسمه «لنگ تن» . وذات ليلة رأى رؤيا ، فترك القصر ، وتشاور مع الحكماء والمهندسين بخصوص المكان الذي يمكن أن يصلح لبناء قصر آخر . فاتفقوا جميعاً على أن أفضل الأماكن بالنظر إلى خاصيتها موضع بركة بجوار مدينة «كيمين فو» وسط المروج . فأرادوا تجفيف البركة . ونظرا لأنه توجد حجارة في تلك الولاية يستعملونها بدلا من الحطب ، جمعوا كثيرا منها . كما يتوافر فيها الفحم . ثم ردموا تلك البركة مع ينبوعها بالحصى والآجر المفتت ، وصبوا عليها القصدير والرصاص حتى صارت محكمة ، وجعلوا ارتفاعها عن الأرض بقدر قامة رجل ، ثم أقاموا صفة في أعلاها . ولما كانت المياه محتبسة في جوف الأرض ، تسربت إلى الجوانب الأخرى ، ونبعت بمرور الأيام في المروج التي تبعد قليلا ، وتفجرت عيونا ، وعلى تلك الصفة أقاموا قصرا على «طراز»[١] الخطا ، وشيدوا جدارا من المرمر حول ذلك المرج ، وصنعوا (درابزين) من الخشب يمتد من ذلك الجدار حتى القصر لكيلا يستطيع أحد أن يروح ويغدو في المرج . ثم جمعوا في ذلك المرج أنواع طيور الصيد . وقد كثر عددها نتيجة التناسل والتوالد .

ثم أقاموا أيضاً وسط تلك المدينة قصرا أصغر من الأول ، وأنشأوا زقاقا بين القصر الخارجي والداخلي ، بحيث يكون ممرا خاصا يؤدي إلى القصر الكبير . وقد شيد قسم للبلاط يمتد إلى ذلك القصر مسافة رمية سهم بعيد المدى . ويقيم قوبيلاي قاآن في القصر المقام خارج المدينة .

وفي تلك الممالك مدن عظيمة كثيرة ، وضعوا لكل منها اسما له معنى خاص من حيث الاشتقاق . وتعلم مراتب الحكام من ألقاب تلك المدن ، بحيث أنه لا تكون هناك حاجة أبدا لكتابتها في المرسوم ، أو البحث عن أي حاكم من حكام تلك المدن يكون أكبر شأنا ، ولا يكون هناك جدل حول أماكن

---

(١) ترجمة للكلمة الصينية الأصل «يانك» بمعنى طراز أو طريقة (انظر جامع التواريخ ، جلد دوم در تاريخ پاد شاهان مغول از اوگتاي قاآن تاتيمور قاآن ، تصحيح بلوشيه ، ص ٤٦٥ ، حاشية h) .

جلوسهم في المحافل . كما أنه من كل رتبة يمكن تعيين أي الحكام يجب عليه أن يستقبل الآخر ، وأن يجثو على ركبته أمامه تحية له .

تلك الألقاب والرتب على هذا الترتيب الذي نشرحه فيما يلي :

المرتبة الأولى ـ كينك .
المرتبة الثانية ـ دو .
المرتبة الثالثة ـ فو .
المرتبة الرابعة ـ جو .
المرتبة الخامسة ـ . . . . .[1] .
المرتبة السادسة ـ كون .
المرتبة السابعة ـ هين .
المرتبة الثامنة ـ چين .
المرتبة التاسعة ـ شون .

وتطلق المرتبة الأولى على البلاد الواسعة مثل الروم وفارس وبغداد . وتطلق الثانية على بلد يكون قاعدة للملك . وهكذا يتمشى مع هذا القياس تنازليا . وتطلق السابعة على المدن الصغيرة ، والثامنة على القصبات ، والتاسعة على القرى والمزارع .

كما أن المراد بكلمة « مزيم » المزرعة والقرية . ويسمون الموانىء الساحلية « ماتو » . وهذه القاعدة وهذا الترتيب لا وجود لهما في الولايات الأخرى . وأكثر أمور الممالك مضبوطة على هذا النمط . والله أعلم .

حكاية أمراء ولاية الخطا ووزرائها وكتابها وتفصيل مراتبهم ، والقواعد والأنظمة

يطلق على الأمراء العظام الذين يشقون طريقهم إلى النيابة والوزارة لقب چينگسانگ . ويقال لأمير الجيش « طايفو » ، ولأمير التومان « ونكشي » .

---

(١) هكذا في الأصل

وللأمراء والوزراء ونواب الديوان الذين يكونون من التازيك والخطا والأويغور « فنجان » .

وجرت العادة على أن يكون في الديوان الكبير أربعة « چينگسانگ » من الأمراء العظام ، وأربعة فنجان من الأمراء الكبار من الأقوام المختلفة كالتازيك والخطا والأويغور وكبار المسيحيين . ولهؤلاء أيضاً نواب في الديوان . ومناصب الأمراء والحكام هناك تكون بحسب المراتب .

ونحن نذكر مراتبهم بالتفصيل على هذا الترتيب والنظام :

المرتبة الأولى -چينگسانگ : وهي لمن كانت لهم الوزارة والنيابة .

المرتبة الثانية - طايفو : وتكون لأمير الجيش . ومهما يكن منصبه كبيراً ، فإن عليه أن يرجع إلى چينگسانگ .

المرتبة الثالثة - فنجان : وتكون لنائب ووزير الديوان من أهل الأقوام المختلفة .

المرتبة الرابعة - يوچينگ .

المرتبة الخامسة - زوچينك .

المرتبة السادسة - سم چينك .

المرتبة السابعة - سمى .

المرتبة الثامنة - لنچون .

المرتبة التاسعة - غير معروفة . ويكون الكتاب جميعاً مرؤوسين له .

وفي عهد قوبيلاي قاآن ، كان هؤلاء الأمراء يحملون لقب چينگسانگ : هنتون نويان - أوچاچار - اولجاي ترخان - داشمن . وقد توفي هنتون في هذا التاريخ . أما الآخرون فباقون مع چينگسانگ آخر في عهد تيمور قاآن .

وقبل هذا كانوا يمنحون أهل الخطا منصب « الفنچانية » . أما الآن فيمنحونه أيضاً للمغول والتازيك والأويغور . ويقال لمقدم « الفناچين » « شوفنچان » يعني زبدة الفناچين . وبايان فنچان ابن السيد ناصر الدين وحفيد

السيد ناصر الدين . وحفيد السيد الأجل هو سيد الجميع في هذا الوقت الذي هو عهد تيمور قاآن . ويلقب في هذا الزمان بالسيد الأجل أيضاً . والثاني عمر فنجان من المغول . والثالث تكه فنجان من الأويغور . وقبل هذا كان « لاچين » فنجانا . وهو ابن أخي الأمير « سونجاق » . وابنه المدعو « كرمانه » هو فنجان هذا الزمان . والرابع بيغميش فنجان الذي حل محل تيمور فنجان ، وهو كذلك من الأويغور .

ولما كان القاآن يقضي أكثر أوقاته في مدينة « دايدو » ، أعد إدارة خصصت للديوان الذي يطلق عليه « شينك » . وقد جرت العادة على أن يكون هناك نائب يعهد إليه بالإشراف على البوابات ، ويساق إلى ذلك النائب المتهم الذي يقبض عليه فيحاكمه . واسم ذلك الديوان « ليشه » . وتدوّن صورة المحضر عند التحقيق ، ثم ترسل مع ذلك المتهم إلى ديوان « لوشه » الذي هو أعلى مرتبة من سابقه . ومن هناك يرسل إلى ديوان ثالث يقال له « چيبون » . وبعد ذلك يرسل إلى ديوان رابع اسمه « تونچينون » . وتتعلق شئون البريد والسعاة بذلك الديوان . والدواوين الثلاثة المذكورة تكون تحت إشراف هذا الديوان ، ثم يحمل المتهم إلى ديوان خامس ، يقال له « ژوشتائي » ، وفيه تدبر شئون الجيش . ثم إلى ديوان سادس اسمه « سنويشه » . وفيه يكون جميع الرسل والتجار والقادمون والذاهبون . والمراسيم والپايزات منوطة بذلك الديوان . ومنصب المشرف على هذا الديوان مسند الآن إلى الأمير « داشمن » وحده . وبعد أن يكون المتهم قد مر على هذه الدواوين الستة ، يقدم عندئذ إلى الديوان الأعظم الذي يسمى « شينك » ، حيث يحقق معه .

كذلك تؤخذ بصمات الأشخاص الذين يحقق معهم . والغرض من أخذ البصمات هذه هو أنه قد تحقق وثبت بالتجربة أن عقد أصابع الناس متفاوته . فإذا ما أقاموا الدليل على أحد ، فإنهم يضعون الورقة تحت أصابعه ، ويرسمون على ظهر تلك الورقة خطا على موضع عقد أصابعه حتى إذا ما أنكر في أي وقت ، يواجهونه بعلامات أصابعه . ولأنها تكون صحيحة لا يستطيع الإنكار . وحيث أنهم يكونون قد اتخذوا احتياطاتهم على هذا النمط في كل الدواوين ، يعرضون النتيجة على القاآن ، ويتصرفون في هذه الحالة بموجب الفرمان .

وقد جرت العادة على أن يذهب الأمراء المذكورون كل يوم إلى الديوان الأعظم « شينك » للتحقيق مع الناس ، وتصريف مهام الممالك . وعندما يأخذ هؤلاء الچينگسانگ الأربعة مكانهم ، يجلس أرباب المناصب الأخرى المذكورة ، والكتاب بالترتيب كل حسب منصبه ، ويضعون أمام كل واحد مكتباً شبيهاً بالكرسي ، توضع عليه المحبرة ، ويكونون هناك دائماً .

ولكل أمير شارة وختم معين . وقد خصصوا عدداً من الكتاب تكون مهمتهم كتابة أسماء هؤلاء الأشخاص الذين يحضرون كل يوم إلى الديوان . فإذا ما تغيبوا عن الحضور عدة أيام ، فإنهم يقتطعون من مرتبهم . وإذا قل حضور شخص إلى الديوان ، ولا يكون له عذر واضح ، فإنهم يعزلونه .

وهؤلاء الچينگسانگ الأربعة يعرضون على القاآن مهام الأمور . والديوان الأعظم « شينك » لخان باليق في غاية العظمة ، وتحفظ فيه دفاتر الديوان منذ عدة آلاف من السنين ، ويضبطونها بدقة . وفيه أيضاً يحفظون القوانين بكل عناية . وموظفو ذلك الديوان قرابة ألفي شخص .

والديوان الأعظم « شينك » لا يوجد في كل مدينة اللهم إلا في أمهات المدن والولايات الكبيرة مثل بغداد وشيراز وقونيه ببلاد الروم . ويوجد في ممالك القاآن اثنا عشر ديواناً أعظم « شينك » . ولا يوجد من يحمل لقب چينگسانگ في غير الديوان الأعظم لخان باليق ، سوى أمير باسم الشحنة ، وأمير يكون على رأس هؤلاء ، ومعه أربعة فناچين .

أما بقية الدواوين والمناصب فتكون مستقرة على الوضع السابق . ومواضع الدواوين الاثني عشر الكبيرة (جينك) ومراتبها تكون على هذا التفصيل والترتيب الذي نثبته في هذا المكان بعون الله تعالى .

الأول - شينك خان باليق ودايدو .

الثاني - شينك ولاية چورجه وسولانكقه . وقد أنشيء هذا الديوان في مدينة جونجو أكبر مدن سولانكقه . وفيه علاء الدين فنچان بن حسام الدين سمچينك الماليغي وحسن ژوچينك .

الثالث - شينك ولاية كولي وكوكولي . وهي مملكة منفردة ، ويسمى

ملكها « وانك » وقد زوجه قوبيلاي قاآن من ابنته ، وابن وانك من ندماء القاآن . ولكن لم يكن هذا الابن ملكا على تلك المملكة .

الرابع - شينك مدينة تمكينك . وهي مدينة كبيرة من ملك الخطا على ضفاف نهر « قراموران » . وكانت إحدى العواصم القديمة للخطا .

الخامس - شينك مدينة شكجو ، وتقع تلك المدينة على تخوم الخطا . وفيها توقان بن . . . .[1] .

السادس - شينك مدينة خينكساي عاصمة منزي . وفيها علاء الدين فنجان بن سيف الدين طغاچار نويان مع تابع خطائي يدعى سيوچينك ، وعمر فنجان منزيتاي ، وبيك خوجه طوسى فنجان .

السابع - شينك مدينة فوچو من مدن منزي . وكان فيها شينك قبل هذا . ثم نقل إلى زيتون . ولكنهم أعادوه إليها في الوقت الحاضر . وكان حاكمها في وقت من الأوقات أخا « داشمن » . أما الآن فحاكمها هو الأمير عمر أخو بايان فنجان . وزيتون هي مرفأ للسفن ، وحاكمها هو بهاء الدين قندزي .

الثامن - شينك مدينة « لوكين فو » . وهي مدينة في ولاية منزي . وتتبع ناحية منها ولاية تنكقوت . وحاكما هذه المدينة هما حسن فنجان وأخو لاچين فنجان المدعو حسن .

التاسع - شينك كويلكي التي يسمونها تازيكان چين كلان . وهي مدينة كبيرة جدا على ساحل البحر تلي مدينة زيتون . وهي ميناء عظيم . ويحكمها المدعو نوقاي وركن الدين التستري فنجان .

العاشر - شينك قراچانك ، وهي مملكة منفردة . وفيها مدينة كبيرة اسمها « ياچي » . ويوجد الديوان الأعظم (شينك) في تلك المدينة .

وسكانها جميعاً مسلمون . وحاكماها هما : يغان تيگين ويعقوب بيك بن علي بيك من نسل يلواج .

---

(١) هكذا في الأصل .

الحادي عشر ـ شينك كين چانفو من مدن ولاية تنكقوت . وفي هذه الولاية « آننده بن مينكقاآ » وحاكمها قايتمش أخو داشمن فنجان وعمر الخطائي . ومقر آننده في مكان اسمه « چغان ناوور » ، حيث أقام قصراً .

الثاني عشر ـ شينك قمچو : من مدن ولاية تنكقوت أيضاً . وهي مملكة متسعة جدا ، تتبعها بلاد لا حد لها . ويقيم فيها اچيقي ويحكمها أمير يدعى « خوچو » .

ولما كانت تلك الممالك بعيدة عن بعضها البعض ، فإنه يقيم في كل منها أحد الأمراء الأنجال أو أمير مشهور ، ومعه جيشه . وإليه يرجع أهل تلك الولاية ، ويصرف مهامها ومصالحها ، ويديرها ويحافظ عليها .

ويقام الديوان الأعظم « شينك » لكل ولاية في أعظم مدنها . وكان كل ديوان بقدر مساحة قرية ، إذ أنهم أنشأوا دورا وحجرات كثيرة مع مرافقها وتوابعها . ويقوم الغلمان والخدم الكثيرون بملازمة الموظفين ، والقيام على خدمتهم . أما تفصيلات الإدارة والأنظمة المعمول بها في تلك الدواوين فهي في غاية الدقة والكمال .

وقد جرت العادة على أن يقتلوا بعض المجرمين والمذنبين ، ويعزلوا البعض الآخر عن أسرهم ، ويجردوهم من أموالهم وأملاكهم ، ويرسلوهم إلى العمل في إقامة المنشآت ، وجر العجلات ونقل الأحجار ، بحيث لا يبقى شيء في أيديهم مما يملكون . وذلك لكي يعتبر الناس عندما يرون الأمراء والكبراء على تلك الحالة .

وللقوانين عندهم وللإجراءات تنفيذها أساليب متعددة . والحكايات والمعلومات عن تلك الممالك متنوعة ومعروفة على أكمل وجه . لكن حيث أننا سوف نذكر تاريخها على حدة في ذيل هذا الكتاب ، اقتصرنا على هذا المقدار .

حكاية الأطراف في ممالك القاآن ، وذكر الأمراء الأنجال الذين يقيمون مع الجيوش للمحافظة على الملك في التخوم

لا يوجد ثائر قط على القاآن في النواحي الجنوبية الشرقية ، إذ أن كل

البلاد الواقعة في تلك الجهات داخلة في نطاق مملكته حتى البحر المحيط . غير أنه توجد جزيرة عظيمة قرب ساحل ولاية چورچه وكولي وسط البحر المحيط ، اسمها چمنكو ، ومحيطها يبلغ نحو أربعمائة فرسخ . وفيها مدن وقرى كثيرة ، ولها ملك مستقل ، وهو ثائر على القاآن على نحو ما أسلفنا .

وسكان هذه الجزيرة قصيرو القامة ، قصيرو الرقبة ، ولهم بطون كبيرة . وهناك معادن كثيرة . وفي الجانب الشرقي حتى تخوم ولاية قيرقيز لا يوجد أي متمرد على الإطلاق . أما في الجانب الجنوبي الغربي من ولاية منزي ، وما بين ولايتي كويلكي وزيتون فتوجد غابة كثيفة على الساحل . وقد فر أحد أبناء ملك منزي . ومع أنه لا يملك قوة ولا شوكة ، إلا أنه يمضي وقته في اللصوصية وقطع الطريق .

وفي الجانب الغربي ولاية تدعى « كفچه كوه » . فيها أماكن وعرة وغابات كثيفة . وهذه الولاية تتصل بولاية قراچانگ وبعض أجزاء من الهند والساحل . وتوجد هناك مدينتان . لوچك وخينام ، ولها ملك مستقل متمرد على القاآن . ويرابط طوغان ابن القاآن مع جيشه في « درلوكين فو » من ولاية منزي ، ويحافظ على تلك الولاية . كما أنه يتخذ الحيطة من أولئك المتمردين .

وذات مرة سار طوغان مع جنوده في المدن الواقعة على الساحل واحتلها . وهناك جلس على العرش لمدة أسبوع . وفجأة انطلق جنود الأعداء من كمينهم من البحر والغابة والجبل ، وداهموا جنود طوغان الذين كانوا مشغولين بالاستيلاء على الغنائم . ولكن طوغان خرج من المعركة سالما ، واستقر على حدود « لوكين فو » .

كذلك لا يوجد متمردون في الناحية الشمالية الغربية المتاخمة لولايتي « التبت » و« زردندان » إلا في الناحية التي فيها خواجه سوينه مع جيش قوتولوق . غير أنه تتخللها جبال وعرة ، ولا يستطيع متمرد الالتجاء إليها . ومع هذا أقاموا بعض الجنود للمحافظة على تلك الناحية .

والجانب الشمالي الشرقي يعتبر من أملاك « قايدو » و« دوا » . وهناك مفازة بمسيرة أربعين يوما ، تفصل بينها ، وبين حدود ممالك القاآن . ويرابط

الجنود والطلائع من الجانبين على الحدود . ويقومون بالمحافظة واتخاذ الحيطة والحذر وأحياناً تقع الحرب بين الطرفين .

وعرض حدود بلاد القاآن يبلغ مسيرة شهر على الجانب المذكور ، وتمتد إلى الجهة الشرقية . ومن الضروري إبقاء الجنود والطلائع في أكثر المواضع . وتبدأ الحدود من الشرق . وقد أقاموا فيها الأمراء الأنجال والأمراء مع جنودهم . وفي بادىء الأمر رابط في الناحية الشرقية الأمير النجل « كميله » ، شقيق القاآن مع جيشه . ويليه كوركوز گوركان صهر القاآن . ثم يليه « چونكقور بن توقتاق » الذي كان من الأمراء الكبار لقوبيلاي قاآن . ويليه تيكتاداي بن نايان كوبوكچي الذي كان أيضاً أميراً كبيرا . ثم يليه كوكچو عم تيمورقاآن .

وتتصل الحدود بعد ذلك بولاية تنكقوت التي يحكمها الأمير النجل « آننده بن منكقلن » ، ويرابط مع جيشه هناك على حدود چغان ناوور . وتليها تخوم « قراخوجو » مدينة الأويغوريين . وفيها شراب جيد . وتقع بين حدود بلاد القاآن وقايدو . والأويغوريون في صفاء معهما ، ويخدمون الجانبين . أما في المناطق التي تلي ذلك ، فيقيم فيها الأميران النجلان : آچيقي حفيد چغتاي وچوتاي بن آلغو . ثم تليها جبال التبت الوعرة التي مر ذكرها .

ولا يمكن السير صيفا في طرق الولاية المذكورة لعدم وجود الماء ، ولا في الشتاء إلا إذا كانوا يشربون من ماء الثلج ويسيرون . والله أعلم بالصواب .

حكاية الأمراء الأنجال والأمراء الكبار الذين يلازمون القاآن ويتبعونه

من الأمراء الأنجال :

١ - توقتا كوڑ ن ، صهر الأمير أولجاي چينگ سانگ . وله مكانة « نايان » في أسرة طغاجار . عندما قتل نايان ، صدر المرسوم بإعادة كل غلام وأسير أسروه . فاجتمعوا كلهم حوله .

٢ - آخر هو . . . . .[1] بن نوكور خاتون من خواتين . . . .[1] ويقيم في مناطق أونان وكلوران .

(١) هكذا في الأصل

٣ ـ خيشنك بن بانكي(١) التي كانت زوجة لأسوتاي ، وهي جميلة جدا . وقد تزوج منها القاآن .

٤ ـ توره أوقول وياسار وهما شقيقان .

٥ ـ سوسه بن كوچو من أسرة أوكتاي قاآن . وهو أمير عظيم ، ومن أسرة چغتاي .

٦ ـ اچيقي بن توري بن مواتوكان . وهو أكبر الأمراء الأنجال سنا ، وعظيم ومحترم للغاية .

أما أصهار القاآن ، فإن المعروفين منهم :

أ ـ ابن ملك ولاية سولانكقه .

ب ـ منزي تاي من قبيلة قونقرات . وله بنت اسمها اوتمچگين .

جـ ـ ابن ملك منزي الذي كان ملكا على أهل هذا الإقليم في قديم الأيام ، ولكنه معزول الآن . وهو يلازم القاآن عن طريق المصاهرة والإمارة . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

حكاية نجل السيد الأجل البخاري الذي كان وزيرا للقاآن ، وينتمي إلى سبطه بايان فنجان

كان ابن السيد الأجل البخاري ـ الذي كان وزيرا بعد يلواج ـ في حضرة قوبيلاي قاآن . وقد فوض إليه حكم ولاية « قراجانگ » . وعندما كان قوبيلاي قاآن يسير إلى تلك الولاية بناء على أمر منگوقاآن ، وظل جنوده جياعا عراة ، تقدم ابن السيد الأجل البخاري ، وأدى فروض الطاعة والخدمات كما ينبغي . فتعهد قوبيلاي قاآن بأن يقوم برعايته وتكريمه إرضاء وإظهارا لطاعته للقاآن . وهكذا فعل فشمله منگوقاآن بعطفه ، وأنعم عليه كثيرا .

ولما وصلت نوبة الملك إلى قوبيلاي ، شمله بعطفه وقلده منصب الوزارة ، وأرسل مكانه ابنه ناصر الدين لحكم ولاية قراجانگ . وقد وزر ابن

(١) هكذا في الأصل .

السيد الأجل مدة خمس وعشرين سنة . ولم تصدر عنه نميمة أو وشاية ، ولم تلحقه نكبة . وإنما توفي بانقضاء الأجل . وهذا من النوادر . وكان ناصر الدين لا يزال حاكما في قراجانگ ، ولم يحضر لتقديم فروض الطاعة للقاآن . وتوفي خلال هذه السنوات الخمس أو الست . ودفنوه في حديقته بمدينة خان باليق . وقبل ذلك كانوا قد أرسلوا المدعو ناصر الدين أبا بكر الذي يطلق عليه الآن « بايان فنچان » لحكم مدينة زيتون .

ولما توفي السيد الأجل ، صار الأمير أحمد الفناكتي وزيرا للقاآن . وكان حل الأمور وعقدها في يده . وعندما كانت چابوي خاتون لا تزال في دار أبيها ، كان الأمير أحمد مقربا لدى أفراد أسرتها . ولما صارت زوجة للقاآن ، ظل الأمير أحمد ملازما لقصرها . بهذا ارتفع شأنه ، وصار من جملة الأمراء العظام ، وقبض بيده على أزمة الأمور في البلاد . ولكن عاداه أمراء الخطا مدفوعين بدافع الحسد . وكان « چيم كيم » أيضاً لا يأبه به إلى درجة أنه ضربه ذات يوم بقوس على رأسه ، وخدش وجهه . فلما مثل بين يدي القاآن ، سأله : « ماذا حدث لوجهك ؟ » أجاب : « ركلني حصان » . وكان چيم كيم حاضرا ، فتضايق منه ، وقال : « أتستحي أن تقول : ضربني چيم كيم ؟! . . . » ومرة أخرى كال له اللكمات في حضرة القاآن . وكان أحمد يخشاه دائما .

وفي صيف ذلك العام عندما كان القاآن يغادر دايدو متوجها إلى المصيف ، ترك أحمد والمدعو « اميري تركان » من قبيلة القپچاق على رأس الدواوين والخزائن ،ولكي يحافظ على القصر . فصار يكيد له أمراء الخطا الذين كانوا حاضرين هناك وملازمين له ، وذلك بدافع الحسد والحقد القديم .

حكاية الأمير أحمد الفناكتي الذي كان وزيراً للقاآن ، وقتله على يد كاوفنچان ، وفتح منزي بواسطة كاوفنچان

في عهد قوبيلاي قاآن ، كان هناك شخص خطائي يدعى كاوفنچان . وكان وزيرا أيضاً مثل الأمير أحمد الفناكتي فنچان وزير القاآن . ونظراً للمنزلة الكبيرة التي كانت للأمير أحمد ، صاروا يسمونه « شوفنچان » يعني الوزير الألمعي . و« شو » لقب الأمراء العظام . وكان لكاو فنچان أتباع كثيرون .

وكان يحسد الأمير أحمد . وفي الصيف المذكور ، حيث كان القاآن قد عهد إليه بالإشراف على القصر وديوان خان باليق ودايدو ، تواطأ عليه كاوفنچان مع جمع من الخطائيين للقضاء عليه . فعلم بذلك غلام من أتباع الأمير أحمد ، فأطلع سيده على تلك الحالة ، وأخبره بما يدبر له . وفي الليل أخذ الأمير أحمد أربعين فرسا منتخبة من الخيول الخاصة بالقاآن ، والتي كانت في المعالف ، وأقلع بها .
فعرف الخطائيون نبأ رحيله . ولما طلع النهار ، وصل الأمير أحمد إلى قرية على بعد خمسة فراسخ يقال لها « شنداي » ، ويسميها التازيك « ديه خوله » (أي قرية خوله) كما يدعونها « يام السيد الأجل » . ولأن الخطائيين كانوا قد سبقوه إلى سلوك تلك الطرق ، لم يسمحوا له بعبور الجسر . فأراد أن يلقي بنفسه في النهر ويعبره . ولكن الخطائيين كانوا قد سدوا الطريق ، وصاروا يمنعونه من تنفيذ محاولته .

وأثناء هذا الجدل ، وصل في إثرهم كاوفنچان . ثم قبض « چليور » على الأمير أحمد ، وقال : « لقد تركنا القاآن هنا لكي نبرم مهام الديوان . فلماذا ترحل دون مشورتنا ؟! . . . » فأجاب : لقد طلب إليّ القاآن أن أذهب إليه » . ولكن كاوفنچان لم يدعه يمضي في طريقه .

وخلال تلك المناقشات ، قدم من لدن حضرة القاآن إلى خان باليق أربعة رسل للقيام ببعض المهام . فلما رآهم الأمير أحمد ، صاح فيهم قائلاً : « إنني ذاهب إلى القاآن ، ولكنهم لا يدعونني أسير » . فقال الرسل : « لقد أرسلنا القاآن لاستدعاء الأمير أحمد » . فقال كاوفنچان : « إن القاآن قد تركنا لتصريف مصالح الديوان ، ولنا معه أعمال » . فأصر الرسل على استدعائه ، وخلصوه من أيديهم إلى أن ذهب ، ولحق بحضرة القاآن في مصيفه . فأحضر طبقا أسود ، ووضع فيه أنواعا مختلفة من اللؤلؤ ، وألقى عليه خنجرا ، وغطاه بقطعة من قماش حرير أحمر . ثم حمله إلى حضرة القاآن . فسأله : « ما هذا وما معناه ؟ » فعرض عليه قائلاً : « إن العبد عندما قدم إلى الحضرة قبل هذا ، كانت لحيته سوداء مثل هذا الطبق ، ووقت الرحيل ، صارت بيضاء كهذا اللؤلؤ . لكن كاوفنچان يريد أن يجعل لحيتي حمراء بهذا الخنجر مثل هذا القماش القرمزي » . ثم عرض على القاآن ما حدث له على النحو الذي سبق

ذكره ، وشهد الرسل على صدقه ، وكانوا قد شاهدوا الواقعة .

فأمر القاآن أتباعه بأن يذهبوا لاعتقاله . فلما عرف كاوفنچان أن هذا الأمر قد أبلغ إلى القاآن ، فر هاربا إلى مدينة سايان فو الواقعة على حدود منزي على ضفاف نهر قراموران . وكان نصف من هذا الجانب تابعا للمغول ، ونصف من الجانب الآخر تابعا لخصومهم .

وفي قديم الأيام كان السكان يقدمون نصفا من الضرائب إلى ملوك الخطا ، ونصفا آخر إلى ملوك منزي . وكانوا قد اتفقوا على هذا فيها بينهم . فلما دخلت منزي في حوزة المغول ، استولى ملك منزي على جميع الأموال .

وتوجد في هذه الناحية قلعة محكمة ، وحصن قوي وخندق عميق . مهما حاول جنود المغول الذهاب إليها لغزوها ، لم يتيسر لهم فتحها . فلما ذهب إليها كاوفنچان ، صار هناك أميراً مهيبا ومشهورا ، وقويت عزيمة أهلها بوصوله ، واعتمدوا عليه . وهناك أيضاً صار من الأمراء البارزين . فأمر القاآن بأن يسير بايان مع جيش لتعقبه . وقبل ذلك لم يكن في الخطا منجنيق من صنع فرنجي [1] . وكان قد ذهب إلى هناك من هذه الديار المدعو « طالب » صانع المنجنيق الذي كان في بعلبك ودمشق ، فأعد هو وأبناؤه أبو بكر وإبراهيم ومحمد والتابعون له سبعة منجنيقات كبيرة ، واتجهوا لفتح المدينة . فأرسل كاوفنچان جاسوسا إلى أمراء الجيش يقول : « إنني لم أقترف إثما . وإنما كانت بيني وبين الأمير أحمد خصومة . وكلانا كان يكيد للآخر . والآن قد هربت إلى هنا خوفا . فإذا صفح عني القاآن ، فسوف أسلمكم المدينة . وأساس مملكة منزي قائم على هذه المدينة . فإذا ما تم الاستيلاء عليها ، فإن المملكة تصبح كلها مفتوحة » .

فبعثوا برسول كاوفنچان إلى حضرة القاآن يعرض عليه الحال . فشمله القاآن بعطفه ، وأرسل إليه كتاب أمان وسيفا ، فتقوى بذلك . ثم أقام الجند المجانيق على القلعة ، وخربوا الأبراج . بعد ذلك ثقب كاوفنچان ثقبا من داخل

---

(١) هذه الآلات من معدات الحرب كانت من صنع إيطالي (انظر جامع التواريخ ، حلد دوم ، تصحيح بلوشيه ، ص ٥١٣ ، حاشية g) .

المدينة ، وخرج منه . فلما علم ملك منزي بتخريب الأبراج وبمكر كاوفنچان ، ترك القلعة وانتقل مع أناس كثيرين إلى الضفة الأخرى من النهر . فلما استولى بايان على هذا الجانب من القلعة أيضاً ، وقتل ونهب ، هرب ملك منزي كذلك مع جيشه من ذلك الطرف ، ولم يستطع الصمود في أي موضع بحيث يواجه جيش القاآن . وبذلك خضعت كل بلاد منزي ، واستسلم أهلها .

بعد ذلك انضم كاوفنچان إلى جيش القاآن . ولما بلغ حضرة القاآن ، اختصه بأنواع العطف والرعاية . وتقرر تقليده منصب الفنجانية كما كان مقررا من قبل . وبذلك صار شريكا للأمير أحمد . وقد تقلد الأمير أحمد وزارة شرعية ما يقرب من خمس وعشرين سنة . وظل كاوفنچان شريكا له في الوزارة مدة تسع سنوات بعد هذه الواقعة . واستمر على بغضه وحسده له . فبعد تسع سنوات ، شرع يكيد للأمير أحمد مرة أخرى .

ومؤدى ذلك أن رجلاً خطائياً كان يدّعي الورع ، وأشهر نفسه بالزهد والتقوى في المعسكرات . وذات يوم تمارض ، وأرسل عددا من المريدين إلى الأمراء يقول : « سوف أموت ، ولكني سوف أحيى بعد أربعين يوما » . فتقدموا وأشاعوا هذا الخبر . وأخذوا يرسلون طائفة أخرى للتحري عن الموقف . وكان هو قد قبع في داره على هيئة الموتى . وكان أولاده يبكون وينوحون عليه . فتصور الناس أنه ميت حقا . ثم قام بعد أربعين يوما وخرج ، وأذاع قائلاً : « إنني قد حييت » . فاجتمع حوله الخطائيـون ، وازدهر شأنه تماما . ثم دخل عليه كاوفنچان وأصحاب دايدو ، وتشاوروا معه بخصوص القضاء على الأمير أحمد .

ولكن لما كان الأمير أحمد محتاطا احتياطا كبيرا ومتيقظا . وكان الحراس يرافقـونه دائما ، ولم يكن مكان مبيته معلوما ، قرروا أن يبعثوا بألفين من الرجال إلى واد يعرف بچمچال على بعد أربعة فراسخ من دايدو لكي يحرسوه . ثم ذهب ألف رجل أشاعوا أن چيم كيم سوف يصل ، وذلك حتى يخرج الأمير أحمد لاستقباله ، فيقتلوه .

أما كاوفنچان فقد جلس في محفة . والعادة عند ملوك تلك الأصقاع هي أن يجلسوا أحيانا في محفة ، ويسيروا في الليل غالبا . بعد ذلك أخذوا يرسلون من ذلك الوادي ـ القضاة (يارغوچيان) والرسل (ايلچيان) على التوالي

ليقولوا : « إن جيم كيم سوف يصل » . وكان أحمد يخشاه ، وصاروا يقتلون كل من يبادر بإرساله من قبله . ثم خرجوا ليلا بالمشاعل والشموع على عادة الملوك . فلما اقتربوا من القصر ، خرج الأمير أحمد ليأخذ كأسا ، فقبضوا عليه ، وقتلوه . وكان تابعه « أمير تركان » قد احتاط للأمر . فعرف بفراسته أن الأمور مختلة ، فوقف بعيدا عن الأتباع ، ومد يده إلى القوس ، ورمى كاوفنجان بسهم ، وهو في المحفة ، فأرداه قتيلا ، وفر الخطائيون ،وجلس تركان في أحد القصور . وفي تلك الليلة حدث قتل وفتن كثيرة ، وخرج الخطائيون إلى الزوايا .

ولما عرضوا ذلك الموقف على حضرة القاآن ، سيّر الأمير بولاد آقا وهنتون نويان على رأس جيش لقتل جميع هؤلاء الخطائيين الذين كانوا قد أثاروا تلك الفتنة ، وأمر بصرف أربعة آلاف كيس من النقد للإنفاق منها على دفن الأمير أحمد . ثم أوفد العظماء والكبراء والأمراء فدفنوه في إجلال بالغ .

وبعد ذلك بأربعين يوما ، أخذ القاآن يبحث عن جوهرة كبيرة ، لتوضع على تاجه ، ولكنهم لم يجدوا طلبه . وكان هناك تاجران ، فقالا للقاآن : « قبل هذا كنا قد أحضرنا جوهرة كبيرة للقاآن ، وسلمناها للأمير أحمد » . فقال القاآن : « إنه لم يحضرها إليّ » . ثم أرسل أتباعه يبحثون عنها في منزله ، فوجدوها لدى زوجته « اينجو خاتون » ، وحملوها إلى القاآن . فغضب القاآن لسماع تلك الحكاية غضبا شديدا ، وسأل التاجرين قائلاً : « ما جزاء العبد الذي يرتكب مثل هذه الخيانة . . . » فأجابا : « ينبغي قتله إذا كان حيا ، وإذا كان ميتا ، فإنه يجب إخراجه من القبر ، والتمثيل بجثته ، ليعتبر به الآخرون » . كذلك قال الخطائيون لجيم كيم : « إنه كان عدوا لك ، ولهذا السبب قتلناه » . كما أنهم قد أوغروا صدر القاآن عليه .

ولهذا أمر القاآن أتباعه بأن يخرجوه من قبره ، ثم ربطوا حبلا في رجله ، وصلبوه على المشنقة في مفترق الطرق الأربعة للسوق . وكانوا يسوقون العجلات على رأسه . كذلك قتلوا زوجته « اينجو خاتون » . ووزعوا الزوجات الأربعين الأخريات والمحظيات الأربعمائة اللائي كن له ، وصادروا أمواله وممتلكاته لصالح خزانة الدولة ، وضربوا ولديه : الأمير حسن والأمير حسين ضربا مبرحا

إلى أن شقوا جلدهما . أما بقية أطفاله وأبنائه ، فقد عفوا عنهم .

وبعد وفاته ، عهدوا بالوزارة إلى رجل أيغوري يدعى « سنگه » ، فصار في يده حل الأمور وعقدها في الممالك مدة خمس سنوات أو ست . وحكاياته هي التي سوف نذكرها بعد هذا مباشرة .

حكاية سنگه الأويغوري الذي صار وزيرا للقاآن ، وعاقبة أمره

في زمان سنگه ، قدم جماعة من التجار المسلمين إلى ولاية قوري وبرقو وقيرقيز إلى حضرة القاآن ، وأهدوا إليه صقرا أبيض القدم ، أحمر المنقار ، وعقابا أبيض . فشملهم القاآن بعطفه ورعايته ، وقدم لهم طعاما من مائدته . لكنهم لم يأكلوه ، فسألهم : « لماذا لم تأكلوا ؟ ! . . . » فأجابوا : « إن هذا الطعام يعتبر ميتة في شريعتنا » . فغضب القاآن ، وأمر بألا يذبح المسلمون وأهل الكتاب الأغنام منذ هذه اللحظة . وإنما يشقون صدورها وأكتافها جريا على عادة المغول . وكل من يذبح غنما ، يذبح مثلها ، ويتصرفون في نسائه وأطفاله وأفراد أسرته وأمواله . فتشبث بذلك الفرمان « عيسى كلمچي » المسيحي وابن المعالي وبندق الذين كانوا من جملة المفسدين والشريرين والسيئي الطبع في زمانهم ، وحصلوا على مرسوم يقضي بقتل كل شخص يذبح غنما في منزله . وبهذه الحجة ابتزوا أموالا كثيرة من الناس . وصاروا يخدعون غلمان المسلمين بقوله : « إنكم إذا وشيتم بمخدوميكم ، فسوف نحرركم » . فكانوا يبتغون خلاصهم بالافتراء على مخدوميهم ، ويلصقون بهم التهم جزافا . وقد أدى الأمر بعيسى كلمچي وأتباعه الملاعين إلى درجة أن المسلمين لم يستطيعوا ختان أبنائهم مدة أربع سنوات .

كذلك أوقعوا بمولانا برهان الدين البخاري الذي كان من تلاميذ شيخ الإسلام الرباني سيف الدين الباخرزي - رحمه الله - وكان يعظ في خان باليق . فأقصوه إلى ناحية منزي حيث أسلم الروح . وهكذا أدى الأمر إلى أن أكثر المسلمين قد اضطروا إلى مغادرة ولاية الخطا .

وبعد ذلك بادر أكثر الأكابر من المسلمين في تلك الديار وهم بهاء الدين قندوزي وشادي ژوچانك وعمر قيرقيزي وناصر الدين ملك الكاشغري وهندو ژوچانك وبقية العظماء ، بادروا بتقديم خدمات كثيرة إلى الوزير سنگه إلى أن

عرض على القاآن قائلاً : « إن جميع التجار المسلمين قد نزحوا من هنا ، ولم يعد يأتي التجار من بلاد المسلمين . وقد تضاءل الخراج ، ولم يجلبوا « النفائس والتحف »[1] ، وذلك لأنه قد مضت سبع سنوات دون أن يذبح المسلمون غنما فإذا صدر الفرمان بإباحة الذبح ، فسوف يروح التجار ويغدون ، ويحصل الخراج بأكمله » . فصدر المرسوم بخصوص هذا الموضوع ، ويقضي بإباحة ذلك .

وهناك أمر آخر ، وهو أنه لما كان المسيحيون في عهد القاآن يتعصبون تعصبا شديدا ضد المسلمين ، قصدوا القاآن ، وقالوا له : « إنه توجد آية في القرآن تقول : ﴿اقتلوا المشركين كافة﴾[2] » . فقال القاآن مدفوعا بدافع الغضب : « من أين تقولون هذا ؟! . . . » أجابوا : « لقد وصلت رسالة بهذا الشأن من لدن آباقاخان » . فطلب القاآن تلك الرسالة . ثم استدعى العلماء ، وسأل واحدا من كبرائهم ، وهو بهاء الدين البهائي قائلاً : « أتوجد هذه الآية في قرآنكم أم لا ؟! . . . » فأجاب : بلى ! . . . توجد » . قال : « أتسمعون قرآن الله ؟! . . . » قال : « بلى » . فقال : « إذا كان الله قد قال : اقتلوا الكفار ، فلماذا لا تقتلونهم ؟! . . . » أجاب : « إن الوقت لم يحن بعد . وليست لنا القدرة على ذلك » . فغضب القاآن ، وقال : « ولكن البارىء مكنني من ذلك » . ثم أمر بقتله . ولكن منعه من تنفيذ ذلك ، الأمير أحمد الوزير ، والقاضي بهاء الدين الذي كان له أيضاً مرتبة الوزارة ، والأمير داشمن متذرعين بقولهم « لنسأل الآخرين أيضاً » .

فاستدعوا مولانا حميد الدين سابق السمرقندي الذي كان قاضيا . فوجه إليه القاآن نفس الأسئلة . فأجاب : « نعم ! . . . توجد هذه الآية » . فقال القاآن : « لماذا لا تقتلون المشركين ؟! . . . » أجاب : « لقد أمر الله تعالى بقتل المشركين . ولو أذن لي القاآن ، لقلت له : من هو المشرك » . فقال القاآن : « تكلم » . فقال : « أنت لست مشركا لأنك تكتب اسم الله الأعظم في مقدمة

---

(1) ترجمة للكلمة المغولية تكسوق أو تنسوق أو تسق (انظر تاريخ وصاف ، ص ٦٧١) .

(2) صحة هذه الآية : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (قرآن كريم ، سورة التوبة ، آية ٥) . وهناك آية أخرى تقول : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (نفس السورة ، آية ٣٦) .

الفرمان . أما المشرك فهو من لا يعرف الله ، ويجعل له شريكا ، وينكر وجود الله العظيم » . فأعجب القاآن أيما إعجاب بتلك الإجابة ، وتمكن ذلك الكلام من قلبه ، وكرم مولانا حميد الدين ، وشمله بعطفه . وبفضل كلامه نجا الآخرون مما كان ينتظرهم .

وقصارى القول أن سنگه الوزير استمر في الوزارة سبع سنوات . وذات يوم اتفق أن طلب منه القاآن عددا من اللآلىء . فقال الوزير : « لا أملك لآلىء » . وكان هناك شخص من دامغان في خدمة القاآن يدعى مباركشاه ، وكان مقربا إلى القاآن ، ومقبول القول عنده . وكان ينتهز فرصة للإيقاع بسنگه ، فعرض على القاآن حقيقة الموقف ، فقال : « إن سنگه يمتلك في منزله الكثير من اللآلىء والمرصعات . وإني قد رأيتها بعيني . فليشغله القاآن حتى أذهب إلى داره ، وأخرجها من منزله » . فشغله القاآن عنده . وأخرج مباركشاه صندوقين من داره . فكان فيهما حبات لطيفة ، ومرصعات منقطعة النظير عرضها على القاآن . وعندئذ قال القاآن لسنگه : « كيف تملك كل هذه الحبات . وقد طلبت منك حبتين أو ثلاثا فلم تعطها لي ؟! . . . » فخجل سنگه ، وقال : « لقد أعطاها لي عظماء التازيك . وكان كل واحد من هذه الجماعة حاكما على ولاية معينة » . فقال : ولم لم يحضروا لي أيضاً من هذه الحبات والمرصعات على حين تقدم لي الثياب الخشنة والرديئة ، وتأخذ لنفسك النقود والعقود التي لا مثيل لها ؟! . . . » فقال سنگه : « هم قدموها لي . فليصدر القاآن يرليغا بأن أقدمها بدوري أنا له » .

ولأن كلامه كان وقحا وخاليا من الأدب ، أمر باعتقاله ، ووضع النجاسة في فمه . ثم قتل هو وهندو ومن كان حاضرا من أمراء التازيك .

أما الآخرون الذين كانوا في ولاية منزي ، فقد أرسل فرماناً بإلقاء القبض عليهم جميعاً . فلما أحضروا بهاء الدين قندوزي والملك ناصر الدين الكاشغري وعمر قيرقيزي وشادي زوجانك ، أمر بقتلهم كذلك . ولكنه استدرك قائلاً : « كنت قد طلبت بهاء الدين قندوزي من أبيه ، فاستدعاه ولطمه عدة لطمات ، ثم عذبه ، وألقاه في البئر » . وقال عن ناصر الدين أيضاً : « كنت قد دعوت ناصر الدين من

كاشغر ، وقلت لأتباعي : ردوا له أمواله » . وحيث أنه حظي بالرعاية والتكريم ، ولأنه كان رجلا كريما وسخيا ، وله أحباء كثيرون ، فإنه بمجرد أن سار ، ركب معه أناس كثيرون . وفي الطريق أدرك ركب الأمير كراي الپاورچي الذي كان يركب عربة بسبب كبر سنه ، ويسير بها . فلم يره الملك ناصر الدين بسبب ازدحام الناس ، فلم يسلم عليه ، ولم يلتفت إليه . فغضب الأمير كراي . وعندئذ قال له « البهلوان » ملك بدخشان ، وكان قد قدم معه إلى هنا : « أهذا هو الملك ناصر الدين الذي كان على وشك أن يقتل ؟ ! . . . إنه في اللحظة التي أطلق فيها سراحه ، أخذه الكثير من الكبر والعجب ، بحيث أنه صار يركب معه كثير من الفرسان ، ويرسل في كل عام ما يزيد على ألف تنگه[1] إلى جيش قايدو » .

وهكذا غضب منه كراي . فلما ذهب إلى حضرة القاآن ، أوقع به عنده . فصدر مرسوم باستدعائه وقتله . أما عمر قيرقيزي وشادي ژوچانك ، فقد تشفع لهما آچيغي ، فعفا عنهما القاآن . كذلك أطلق سراح « بهاء الدين قندوزي »[2] ، وأجلس أولجاي چينگسانگ مكان سنگه .

حكاية أمراء القاآن العظام ، وأسماء مشاهيرهم وكيفية مسلك كل منهم

كان بايان نويان أحد أمراء القاآن ، وهو من قبيلة « بارين » ممن جيء بهم إلى هذه الديار . وقد توفي بعد القاآن بثمانية أشهر . وكان له أبناء وبنات .

وأمير آخر هو هنتون چينگسانگ . كان قد أسر مع نوموغان . وتوفي قبل القاآن بعام .

وهناك أمير آخر هو اوچيچر ، ولا يزال عند تيمور رجلا مقتدرا ، ومن أصحاب المناصب والسلطان .

---

(١) عملة ذهبية أو نحاسية .

(٢) سبق أن عرفنا أن هذا الرجل قد عذبه أبوه ، وألقاه في البئر . ومعنى هذا أنه لم يمت ، وأنه أخرج حيا من البئر بعد فترة من التعذيب . (انظر الصفحة السابقة) .

كذلك الحال بالنسبة لاولجاي چينگسانگ .

وأما داشمن فهو أيضا لا زال محترما ، ويشرف على شئون المراسيم والپايزات والتجار والصادرات والواردات .

وترخان چينگسانگ هو الآن أرفع شأنا مما كان عليه من قبل ، ويعمل في الديوان .

وأما ناليقو وچير قلان وچيرتقو فكان ثلاثتهم إخوة ، ورؤساء للمشرفين على الصيد .

وعلى رأس الدواوين توقتا وول وكتوسون . كان بيدهما الأخذ والرد ، ولهما الخيار فيما يقولان ويفعلان . وقد توفي « ناليقو » بعد عامين من وفاة القاآن .

وكان بادام نويان أميرا كبيرا للصيد ، وكان أخا « سونجاق آقا » البيتكچي . ولما توفي صار ابنه « لاچين فنجان » أميرا كبيرا للكتاب . وقد توفي هو الآخر . والآن قد احتل مكانه ابنه « يكه فنجان » ، وهو واسع الاطلاع على شئون ديوان البريد . وقد توفي كراي الباورچي بعد القاآن .

ومن أمراء الجيش العظام : امباي الذي كان قائدا عاما لكل الجيوش . وهو الآن يشغل ذلك المنصب . أما مقبل فنجان فكان « رئيسا لمطبخ الجند »(1) . وهو لا يزال يشغل هذا المنصب .

وكان هقوتاي أميرا على أربعة كتائب ، وهو لا يزال موجودا .

أما أمراء « حاملي المظلات »(2) فهم : اسماعيل ومحمد شاه واختاجي ومبارك وتورميش وأخوه پيغميش . وقد أعلى تيمور قاآن شأن پيغميش هذا . وهو يسجل كلمات القاآن حسب عادة المغول . والسلام .

---

(1) ترجمة للكلمة المغولية بكاول .

(2) ترجمة للكلمة سوكورچي أو شوكورچي .

حكاية محاربة القاآن «نايان نويان» من أسرة طغاچار نويان، والأمراء الأنجال الذين اتفقوا معه، واختيار چيم كيم وليا للعهد

يروى في «قاقاييل» (أي عام الخنزير) الموافق سنة ثمان وثمانين وستمائة (٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م) أن نايان من أسرة طغاچار نويان، وحفيد اوتچين نويان مع بعض من أبناء ييسونككه آقا والأمراء الآخرين قد تغيرت قلوبهم من جهة القاآن، وأنهم قد عزموا على السير إلى قايدو ودوا فتعقبهم جنود القاآن، وحاربوهم. ولكن أعداءهم ضغطوا عليهم. فلما أبلغوا حضرة القاآن هذا الخبر، سار في محفة محمولة على ظهر فيل رغم أنه كان مصابا بوجع المفاصل، وكان قد شاخ وضعف. وكان جيش القاآن قد أوشك على الهزيمة، فساقوا الفيل بالمحفة إلى ربوة، وقرعوا الطبول.[1] فهرب نايان نويان والأمراء الأنجال مع الجنود. فصار يتعقبهم جنود القاآن، وقبضوا عليهم، وأحضروهم إلى حضرة القاآن، فقتلهم جميعا. ثم وزع جنودهم وشتتهم. بعد ذلك لم يكن القاآن يتحرك كثيرا بسبب وجع قدمه. وكان الجنود مرابطين على حدود دوا وقايدو.

وفي السنوات السابقة، كان القاآن قد تحدث بشأن اختيار ولي عهده. ولم يكن جنود دوا وقايدو قد أسروا بعد نوموغان. وكان هذا الموضوع هوشغله الشاغل. فلما وجد بعد ذلك أن «چيم كيم» كان في غاية العقل والكفاءة، أحبه حبا جما، ولما أعاد تـودامونككا «نوموغان»، أمر القاآن بإجلاس «چيم كيم» على عرش القاآنية. فشق ذلك على نوموغان، وقال لأبيه: «ماذا يقول لك الناس عندما يصير چيم كيم قاآنا؟!...» فغضب القاآن وأنبه وطرده من مجلسه، وقال: «لا يحضر نوموغان مجلسي مرة أخرى». غير أنه لم يمكث طويلا إذ توفي خلال تلك الأيام القريبة. فأجلس القاآن چيم كيم على سرير الملك. فظل ملكا مدة ثلاث سنوات، ثم توفي هو أيضا، فتحفظوا على عرشه. وكانت زوجته المسماة كوكچين امرأة عاقلة جدا. وكان القاآن راضيا عنها كل الرضا. وكانت هي المرجع للحكم في كل الحالات.

---

(١) ترجمة للكلمة المغولية كوركه.

وفي أواخر عهد القاآن كان الأهالي قد تمردوا في ولاية على ساحل البحر تدعى لوكين . وهي إقليم منزي مما يلي ولاية سايان فو . فأرسل القاآن للقضاء عليهم بيغميش وترخان من أمراء المغول ، وسوچينكَ من أمراء الخطا ، وغلام «سم چينك» ، وعمر يونچيكَ أخا السيد الأجل من التازيك ، أرسلهم مع جيش ، فأغاروا على المتمردين .

وأما من ناحية قايدو ودوا فكثيرا ما كانت الطلائع من الفريقين تتلاقى مع بعضها البعض . ولكن لم تقع الحرب بين الفريقين . الا أنه في أواخر عهد القاآن ، قاد دوا جيشه مرة ، وقدم إلى تلك الحدود ، وتلك القاعدة حيث يرابط «چوتي» ، ويقوم بالحراسة مع اثني عشر ألف رجل . فأراد دوا أن يباغته ليلا . فعلم بذلك . وفي الليل هاجم مقدمة جيش دوا ، وقتل منهم ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل . فأبلغ دوا أيضا بذلك . فزحف بجميع جنوده ، وتلاقى مع أعدائه في الصباح . فقتل من الفريقين جند كثير . وكان چوتي قد زحف بجيشه بسرعة فائقة دون أن يطلع آچيغي وآننده . فلا جرم أنه لم يستطع المقاومة ، وهرب . فلما علم آچيغي بذلك ، أخبر آننده بأن يسير حتى تتجمع قواتها . ولكنه عاد عندما علم بمسير دوا ، ولم يلحق به الجيش . وكانت هذه الواقعة سببا في تجرؤ دوا على جيش القاآن .

ولما علم القاآن بما حدث ، ضرب چوتي تسع ضربات بالعصا ، ولكنه عاد فشمله بعطفه ، وأرسله على رأس جيشه كما كان سابقا . وهو لا يزال هناك ، يحرس تلك الحدود .

أما قيان الذي كان رئيسا لچوتي ، فكان قد توفي قبل هذه الحرب بمدة . والمشهور أن آلغو قد خرب أكثر ممالك التركستان .

بعد ذلك صار قيان وچوتي وبراق ونايان بن قوينچي أمراء الميمنة . وكان قيان وچوتي عند قايدو أول الأمر ، ثم دخلا في طاعة القاآن . والسلام .

حكاية السيد الأجل الذي كان وزيرا للقاآن ، ولقب بلقب بايان فنچان

هو المدعو أبو بكر ، كان من أحفاد السيد الأجل السالف الذكر . وقد

لقبه القاآن بلقب بايان فنجان ، وجعله زميلا في الخدمة لاولجاي ، ومنحه رتبة الفنجانية يعني صاحب الديوان . وقد ظل وزيرا مدة عامين في عهد قوبيلاي قاآن . وخلال تلك المدة ، قام الوشاة في الدواوين ضده ، وأبلغوا أنه قد بدد ستمائة ألف كيس من النقد . فلما استجوبه القاآن ، أجاب : « لقد خففت هذا المال عن الرعية ، إذ أن السماء لم تمطر ثلاثة أعوام ، ولم ينتج محصول ، فصار الرعايا فقراء . فاذا أمرني القاآن الآن ، فسوف أبيع نساءهم وأطفالهم ، وأسلم الأموال إلى الخزانة . لكن سوف تخرب الممالك » . فأعجب القاآن بشفقة وزيره على الرعية ، وصرح قائلا : « إن جميع النواب والأمراء يهتمون بأنفسهم فقط ، على حين أن بايان فنجان يهتم بشئون الملك والرعية» ، وشمله بكامل عطفه ورعايته ، وخلع عليه ثياباً مرصعة ومنطقة ، وأحال إليه التصرف في كل الشئون .

كذلك استدعته في ذلك اليوم كوكچين خاتون والدة تيمور قاآن ، وقالت : « بما أنك حظيت بمثل هذا العطف والرعاية ، وعهد إليك القاآن بالإشراف على شئون الملك ، اذهب واسأله قائلا : « إن عرش چيم كيم قد عطل تسع سنوات . فما حكمك في هذا الأمر؟! . . . . » .

وكان تيمور قاآن قد زحف في ذلك الوقت قاصدا لقاء جيش قايدو . فعرض بايان فنجان ذلك الكلام على القاآن . فنهض ـ لشدة فرحه ـ من فراش المرض ، واستدعى الأمراء وقال لهم : « كنتم تدّعون أن « سرتاول »[1] هذا رجل سيء على حين أنه عرض كلام الرعية شفقة بهم ، وهو الآن يتحدث عن العرش والملك ، ويهتم بشأن أولادي حتى لا يكون بينهم ـ من بعدي ـ خلاف ونزاع» . ومرة ثانية شمل بايان بعطفه ورعايته ، وناداه باسم جده العظيم « السيد الأجل » ، وأنعم عليه وعلى إخوته السبعة ـ الذين كانوا حاضرين ـ باليرالغ والپايزات . ثم قال له : « اركب الآن ، وأعد من الطريق حفيدي تيمور الذي يزحف بجيشه قاصدا قايدو ، وأجلسه على عرش أبيه ليتولى

(١) يعني الرجل الذي تنحدر أسرته من أصل سكان ما وراء النّهر (انظر جامع التواريخ ، جلد دوم ، تصحيح بلوشيه ، ص ٥٤١) . ويقصد به وزيره السيد الأجل .

القاآنية ، وأقم المآدب والحفلات مدة ثلاثة أيام ، وأقرر له الملك بحيث يسير بعد ثلاثة أيام ، ويذهب إلى المعسكر .

فذهب السيد الأجل بموجب الفرمان ، وأعاد تيمور قاآن من الطريق . وأجلسه على عرش چيم كيم في مدينة « كيمين فو » . وبعد ثلاثة أيام سار بجيشه . ثم قدم السيد الأجل إلى حضرة القاآن .

كان تيمور قاآن شغوفا بالشراب إلى درجة كبيرة . ومهما كان القاآن ينصحه ويزجره ، لم تكن هناك فائدة . وقد أدى الأمر إلى أن ضربه ثلاث مرات بالعصا ، ووكل به عددا من المشرفين حتى لا يدعوه يعاقر الخمر . وكان يلازمه فقيه من بخارى يلقب بلقب « رضا » . وكان يدعي معرفة الكيمياء والسيمياء والطلسمات . وكان قد تحبب إلى القاآن عن طريق الشعوذة والتمويه . وكان دائما يحتسي الخمر خفية مع تيمور قاآن . ولهذا غضب عليه القاآن . ومهما كانوا يبذلون من جهود لإبعاده عن خدمة تيمور قاآن ، لم يكونوا يستطيعون ذلك ، لأنه رجل حسن المجالسة ، لطيف المجاورة . ونظرا لأن الرقباء والمشرفين كانوا يمنعونه من الشراب أوحى إليه « رضا » بأن يذهبا معا إلى الحمام ، ويشيرا على الحمامي بأن يصب الشراب خفية في المجرى بدلا من الماء ، لينزل بواسطة أنبوبه في حوض الحمام . فكانا يشربان الخمر . فوقف الرقباء على تلك الحال ، وعرضوا الأمر على حضرة القاآن . فأمر بإبعاد « رضا » عنه بالعنف والشدة . فتذرعوا بإحدى الحجج ، وأرسلوه إلى مدينة شينكي ، ثم اغتالوه سرا في الطريق .

ولكن عندما صار تيمور قاآنا ، ترك الشراب باختياره . وإذا شرب ، فإنه كان يشرب قليلا ، بل نادرا . وهكذا عندما صار صاحب دولة ، نزع الحق تعالى حب الشراب من قلبه . وإلا فإن قوبيلاي ما كان يستطيع أن يمنعه من الشراب ، بالإلحاح والإجبار . ورغم أن تيمور قاآن لا يزال شابا في سن الخامسة والعشرين ، فإنه يشكو دائما من وجع في قدمه المباركة . ولهذا كان يجلس في محفة على ظهر فيل . وقليلا ما يركب الآن بسبب أوهام الناس وأراجيفهم .

حكاية الكهنة الذين كانوا ولا يزالون ملازمين للقاآن ، وذكر منزلتهم

في أواخر عهد قوبيلاي قاآن كان يوجد كاهنان من التبت . اسم أحدهما « تنبه » واسم الآخر « كنبه » . وكان للكاهن تنبه نابان أماميان طويلان جدا ، بحيث أن شفتيه لا تتصلان ببعضهما .

وهذان الكاهنان يقيمان في معبد الأصنام الخاص بالقاآن الذي يسميه أهل ننكياس « داي مياو » . وكان كلاهما قريبا للآخر . وكانا مبجلين ومعظمين للغاية عند القاآن ، ويتصل نسبهما بملوك التبت . ومع أن الكهنة الخطائيين والهنود كانوا كثيرين ، إلا أن كهنة التبت كانوا أكثر اعتبارا .

وهناك كاهن آخر من كشمير يدعى « قرنطاس بخشى » ، وهو مشهور أيضاً . ولا يزال تيمور قاآن معتقدا بهؤلاء الكهنة . أما هذان الكاهنان التبتيان فلا يزالان حاكمين ومسيطرين . وقد صيرا أتباعهما ـ الذين يعرفون الطب ـ ملازمين للقاآن حتى لا يدعوا تيمور قاآن يكثر من الطعام والشراب . وعندما تسنح الفرصة للمنع ، كانوا يربطون عصاتين ببعضهما ، ويضربون بهما أنفسهم ، بحيث تحدثان صوتا . فيتنبه تيمور قاآن ، ويقلل من الطعام والشراب . وهو يحترم كلامهم احتراما تاما .

ومن جملة ما حكي عن الكاهن تنبه ، وبيان منزلته حكاية سوف نذكرها على التوالي في تاريخ تيمور قاآن إن شاء الله وحده العزيز . والسلام .

حكاية وفاة قوبيلاي قاآن

بعد أن حكم قوبيلاي قاآن خمسا وثلاثين سنة ، وبلغت سنه الثالثة والثمانين ، توفي في « مورين بيل » الذي هو عام الحصان الموافق شهور سنة ثلاث وتسعين وستمائة (٦٩٣ هـ = ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤ م) ، فترك الدنيا الفانية لحفيده قاآن الزمان ، الملك المشهور تيمور قاآن .

فليمتع الله الأسرة العريقة ، وعلى الخصوص ملك ملوك الإسلام ، السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، غياث الدنيا والدين السلطان اولجايتو محمد ـ خلد سلطانه ـ بأعوام كثيرة من التوفيق والسعادة .

تاريخ ملوك الماچين والسلاطين والأتابكة في إيران والشام ومصر والمغرب وغيرها، الذين كانوا يعاصرون قوبيلاي قاآن ابتداء من «بيجين بيل» أي عام القرد، الموافق عام ثمانية وخمسين وستمائة (٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م) حتى انتهاء «مورين بيل» أي عام الحصان المطابق سنة ثلاث وتسعين وستمائة (٦٩٣ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م)، وذكر الحوادث والنوادر التي وقعت في المدة المذكورة، وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار.

تاريخ ملوك الماچين الذين كانوا في هذه المدة المذكورة

ليزون

تولى الحكم في سنة ست وعشرين وستمائة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م)، وتوفي في سنة إحدى وأربعين وستمائة (٦٤١هـ =١٢٤٣ م) بعد أن حكم خمس عشرة سنة.

توزون

حكم عشر سنوات وبعد توزون المذكور صار المدعو «شوچو» ملكا على ذلك الإقليم. وبعد أن مر عامان على حكمه، استولى جيش قوبيلا قاآن على البلاد نهائيا. والسلام.

تاريخ السلاطين والأتابكة والملوك

تاريخ السلاطين

في بلاد الروم: كان السلطان عز الدين كيكاوس حاكما. وهو ابن السلطان غياث الدين كيخسرو الذي هزم في موقعة «الجبل الأقرع» (كوسه داغ) على يد جنود المغول. وكان قائدهم «بايجو نويان». وكان يشترك في الحكم مع أخيه السلطان ركن الدين. وكان «معين الدين پروانه»[1] يدبر

---

(١) هو معين الدين سليمان بن علي بن محمد الملقب بپروانه. كان في بادىء الأمر معلما للأطفال. ثم وصل بجده وسعيه إلى منصب الوزارة لسلاجقة الروم. وبعد ذلك استولى هو نفسه على ممالك الروم، وهادن المغول وصانعهم. ولكن عندما أغار الظاهر بيبرس البندقداري على بلاد الروم في سنة ٦٧٥ هـ، وقتل أغلب أمراء المغول وأعيانهم، اتهم پروانه بممالأته للظاهر=

شئون المملكة لركن الدين . وكان ركن الدين يرعاه .

ثم وقع خلاف بين الأخوين ، فترك السلطان « عز الدين »[1] السلطنة لأخيه ، وتوجه إلى بلاد نقية . ومن هناك ذهب إلى « تكفور »[2] استنبول . فلما وصل جيش بركاي إلى استنبول ، حملوه إلى بركاي ، ومنحوه سلطنة مدينة قريم ، ثم توفي هناك .

أما أخوه ركن الدين فقد استشهد على يد الكفار في سنة أربع وستين وستمائة (٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م) . فجلس على عرش السلطنة ابنه غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان . ثم استشهد في أرزنجان . وقد استقر الملك من بعده لغياث الدين مسعود بن كيكاوس الذي لم يزل سلطانا حتى الآن .

وفي ديار بكر والموصل : كان السلطان بدر الدين لؤلؤ . . .[3] .

وفي مصر والشام : كان أيبك التركماني قد سيطر على مصر . وقد وقع بينه وبين صاحب حلب نزاع عدة مرات . ولكنهما اصطلحا في النهاية . ثم خرج « قودوز » (قطز) على أيبك التركماني ، وقتله ، واستولى على مصر والشام .

وبعد أن فتح هولاكو خان حلب ودمشق ، وقفل راجعا ، حارب « قطز » كيتو بوقا نويان ، وذلك بالاتفاق مع أمراء الشام ومصر وخانات خوارزم

= بيبرس ، والتواطؤ معه ضد المغول . فقبض عليه آباقاخان ، وأمر بفصل أعضائه عن جسده عضوا عضوا . ثم وضعت في إناء ، وصاروا يغلونها . ولشدة غيظهم لم يتورعوا عن أكل لحمه . كان ذلك في سنة ٦٧٦ هـ (انظر المقريزي . السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٤٧)

(١) يقول المقريزي في حوادث سنة ٦٦٢ : « وفيها قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم . وسبب وجود عز الدين عند الأشكري هو اختلافه مع أخيه ركن الدين قلج ارسلان حتى غلبه أخوه ، ففر منه ، وملك أخوه ركن الدين قلج ارسلان بلاد الروم . فمضى عز الدين إلى الأشكري ، فآواه وأنزله ومن معه من الأمراء ، وقام بأمرهم مدة ، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله ، وأخذ المملكة منه ، فقبض عليهم ، واعتقل عز الدين ، وكحل أصحابه كلهم فأعماهم (كتاب السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٢٢) .

(٢) تكفور بمعنى ملك .

(٣) هكذا في الأصل .

الذين كانوا من بقايا السلطان جلال الدين . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، قد قدم إلى حضرة هولاگوخان ، وقتل[1] في صحراء موش . ولما عاد « قطز » من حرب كيتوبوقا نويان ، قتله البندقدار[2]، وآل إليه الملك . ثم توفي البندقدار بعد عودته من بلاد الروم ، ومن حربه ضد « توقو » و « تودان » . فصار الألفى ملكا . وبعد الألفى جلس ابنه الأشرف مكان أبيه .

وفي كرمان : كان السلطان قطب الدين . وعندما توفي بقي من عقبه ولدان : مظفر الدين حجاج وجلال الدين سيورغاتمش . وكان اسم السلطنة للسلطان حجاج . أما تركمان خاتون ، فكانت تحكم حكما مطلقا . ولأن آباقاخان كان قد تزوج من « پادشاه خاتون » بنت تركان ، كانت تركان تجيء إلى حضرة آباقاخان كل سنتين أو ثلاث سنوات . وكانت تعود معززة مكرمة للغاية . وذات مرة قدمت إلى هنا ، وعند عودتها كان السلطان حجاج قد قدم لاستقبالها إلا أنه قبل مقابلته إياها خاف منها ، فذهب إلى كرمان . ومنها توجه إلى الهند ، والتجأ إلى السلطان « شمس الدين دهلي » . ولبث هناك ما يقرب من خمسة عشر عاما . ثم توفي بعد ذلك . وكانت تركان خاتون عادلة جدا . وقد انتظمت الأمور انتظاما تاما في مملكة كرمان بواسطة عدلها وإنصافها . وفي عهد السلطان كانت قد قدمت إلى المعسكر . ثم توفيت على حدود تبريز ، فنقلوا جثمانها إلى كرمان .

فآلت السلطنة من بعدها إلى جلال الدين سيور غاتمش . وكان في الحقيقة في غاية العقل والكمال . وفي عهد گيخاتوخان ، ذهبت زوجته « پادشاه خاتون » إلى كرمان ، وقبضت على أخيها سيور غاتمش ، وحبسته في إحدى القلاع ، فقفز من القلعة ، وذهب متخفيا إلى حضرة گيخاتوخان ، وطلب الأمان ، فأرسله إلى « پادشاه خاتون » فوضعته تحت الحراسة عدة أيام ، ثم

---

(١) يقول المقريزي ضمن حوادث سنة ٦٥٩ : « ومات في هذه السنة من الأعيان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي صاحب حلب ودمشق . وهو آخر ملوك بني أيوب - بعد أربعة وعشرين عاما من ملكه ، واثنتين وثلاثين سنة من عمره مقتولا بأمر هولاگو (المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٦) .

(٢) كان ذلك سنة ٦٥٨ (انظر نفس المصدر ، ص ٤٣٥) .

قتلته . ولما خرج بايدو على گيخاتوخان ، وكانت زوجته « شاه عالم » بنت سيور غاتميش ، أرسلوا رسولا . ثم قبضت على « پادشاه خاتون » كوردوچين » بنت الأمير النجل منككوتيمور التي كانت زوجة لسيورغاتميش وأحضرتها إلى المعسكر ، فقضوا عليها في نواحي شيراز وإصفهان بحكم القصاص . والله أعلم بالصواب .

تاريخ الملوك والأتابكة

في مازندران . . . . . .[1]

في المغرب . . . .[1]

وفي فارس : كان الأتابك مظفر الدين أبوبكر . وقد توفي في سنة ثمان وخمسين وستمائة (٦٥٨هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م) . وكان ابنه الأتابك سعد قد جاء إلى حضرة القاآن ، ولكنه عاد مريضا . وفي موضع تورقو من أعمال براهان ، وصل إليه نعي أبيه . وتوفي هو أيضا بعد اثني عشر يوما . ولما حملوا نبأ وفاته إلى شيراز ، أجلسوا ابنه الأتابك محمد - الذي كان في الثانية عشرة من عمره - على العرش ، وسموه السلطان « عضد الدين » . وكانت أمه تركان خاتون بنت الأتابك قطب الدين محمود شاه تدبر شئون المملكة . وبعد فترة وجيزة ، توفي ذلك الابن ، وصارت والدته حاكمة . وكان محمد شاه ابن أخي الأتابك أبي بكر قد تزوج من ابنتها . ولكنه أخذ يعربد مع والدة زوجته ، فقتلوه في النهاية . وقد رشحت « تركان خاتون » « آبش خاتون » ابنة كوكچين لتخطب إلى الأمير النجل منككوتيمور .

وصفوة القول أن تركان خاتون صارت زوجة لسلچوقشاه . ولكنه قتلها بعد مدة ، وسجن كلتا ابنتيها في قلعة سپيد . فعرضوا ذلك الأمر على حضرة الايلخان ، فبعث بالأمير « التاچو » على رأس جيش لكي يذهب إلى تلك الولاية بمصاحبة ركن علاء الدولة ملك يزد ، والذي كان أخا لتركان خاتون وملوك شبانكاره وقوات التازيك ليقبضوا على سلچوقشاه . فلما وصل الجيش إلى ابرقوه ، تقدم ستة آلاف فارس شيرازي ، فداهمهم الأتابك علاء الدولة مع

(١) هكذا في الأصل .

خمسمائة فارس ، وطاردهم حتى باب شيراز ، فلجأ سلجوقشاه إلى كازرون ، فسار الجند إليها ، وحاربوا سلجوقشاه وأتباعه ، واستولوا على المدينة ، وأعملوا فيها القتل والغارة ، وأخرجوا سلجوقشاه وقتلوه ، وأرسلوا رأسه إلى شيراز . وقد أصيب هناك الأتابك علاء الدولة بجرح ، وتوفي بعد بضعة أيام . ثم أخرجوا الفتاتين من القلعة ، وأحضروا جدتهما « ياقوت تركان » بنت قتلوق سلطان براق الحاجب حاكم كرمان إلى حضرة الايلخان . كذلك زوجوا آبش خاتون من الأمير النجل منككوتيمور . وكانت أتابكية شيراز باسم آبش خاتون . وزوجوا الأخت الثانية « بيبي سلغم » من الأتابك يوسفشاه ، أتابك يزد ، الذي كان ابن خالها . وقد توفيت آبش خاتون في عهد ارغون خان ، وحملوها إلى شيراز ، ودفنوها في المدرسة العضدية التي كانت أمها قد أنشأتها باسم الأتابك عضد الدين المذكور . وقد ورثها الأمير النجل كوردو چين . ومع أنه منذ عدة سنوات يحكم شيراز التجار والعظماء ، إلا أنهم لا يزالون يدقون طبول النوبة على باب قصر الأتابكة . ولهم هناك الديوان الأعظم .

وفي سجستان : كان الملك شمس الدين محمد كرت قد قتل الملك شمس الدين ملك سجستان بمقتضى مرسوم منگوقاآن ، وصار حاكما عليها . وبعد ذلك اصطحب الملك نصرة الدين ابن أخت ذلك الملك المقتول رسولا من لدن حضرة هولاگوخان واسترد سجستان من شمس الدين كرت ، واستولى على تلك المملكة ، ولا يزال للآن حاكما ومالكا لها .

تاريخ النوادر والحوادث التي وقعت في المدة المذكورة

في شهور سنة تسع وخمسين وستمائة[1] (٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ - ١٢٦١ م) توفي بدر الدين لؤلؤ في الموصل .

واقعة أخرى - في السابع عشر من رجب سنة أربع وستين وستمائة (٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م) توفي مؤيد الدولة العرضي الذي كان فريدا في العلوم الرياضية ، كما كان حكيما عاقلا .

(١) يذكر المقريزي أن وفاة بدر الدين كانت في سنة ٦٥٨ هـ (أنظر السلوك ، ح ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٥) .

واقعة أخرى ـ في التاسع عشر من صفر سنة تسع وستين وستمائة (٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ ـ ١٢٧١ م) وقع زلزال في مدينة نيسابور . وكان الزلزال عنيفا ، والناس في فزع منه ، بحيث أنه لم يكن أحد يتصور أنه يبقى حجر على حجر في الجبال ، أو أن الحجارة سوف لا تتناثر في آفاق الجو في الصحراء . وظلت الأرض تتحرك كل ساعة طوال خمسة عشر يوماً .

واقعة أخرى ـ في شهور سنة احدى وسبعين وستمائة (٦٧١ هـ = ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣ م) حدث زلزال هائل في قلب الشتاء في المحروسة تبريز . وقد استمرت الأرض تتحرك بين آونة وأخرى طوال أربعة أشهر .

واقعة أخرى ـ في يوم الاثنين السابع عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ ـ ١٢٧٤ م) ، كانت وفاة الخواجة « نصير »[1] في بغداد وقت غروب الشمس . وكان الخواجة قد أوصى بأن يدفن في مشهد موسى والجواد . فعثروا في نهاية قبر موسى على موضع خال . ولما حفروه ظهر قبر معد ومزدان بأحجار القيشاني . وعندما تقصوا الحقيقة ، تبين لهم أن الخليفة الناصر لدين الله ، كان قد حفره ليكون مرقدا له . غير أن ابنه الظاهر ـ على خلاف وصيته ـ قد دفنه في أرض الرصافة بين آبائه وأجداده .

ومن عجائب الأيام وغرائب الشهور والأعوام أنه في ذلك اليوم ـ الذي أتموا فيه هذا السرداب ـ كانت ولادة الخواجة نصير أيضا في يوم السبت الحادي عشر من جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ ـ ١٢٠١ م) فعمره بالكامل خمس وسبعون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام .

واقعة أخرى ـ في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وستمائة (٦٧٣ هـ = ١٢٧٤ ـ ١٢٧٥ م) توفي ارغون آقا بمرج « رادكان طوس » .

---

(١) المقصود به نصير الدين الطوسي « أستاذ البشر » (انظر ترجمته في كتاب فوات الوفيات للكتبي ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٧ ـ ٣١٢)

الحميدة ، والنصائح الغالية ، والحكم والأمثال
التي قالها ونصح بها ، والحكايات التي وقعت
في عهده ، مما لم يدخل في القسمين السابقين ،
وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى
الكتب والأشخاص

....(١)

حكاية أحوال زوجات وأبناء اريق بوكا بعد وفاته ، وتوزيع القاآن جنوده على أبنائه ، وذكر أمراء ملك تيمور

لما ذهب أريق بوكا - بعد انطفاء نيران الفتن - إلى حضرة أخيه قوبيلاى قاآن ، ووقف منه موقف الاستغفار والاعتذار ، كان قد اصطحب معه جميع زوجاته . وترك في موطنه أولاده الأربعة : يوبوقور وملك تيمور ونايراوبوقا وتماچي . وكان مصيفه في الياس تو . ومشتاه في اوريانكقت وقيرقيز . ومقدار المسافة بين الاثنين مسيرة ثلاثة أيام . وكانت سيور قوقتيتي بيگي تقيم هناك . وقد مكث أريق بوكا في خدمة القاآن مدة شهر وستة أيام . ثم توفي ، فحملوه إلى « بوده اوندور » الموطن الكبير لجنگيزخان على مقربة من نهر سلنكه . وسيور قوقتيتي بيگي،وبقية الأمراء جميعهم مدفونون هناك ماعدا قوبيلاي قاآن .

ومن زوجات اريق بوكا :

الأولى : ايلچيقميش ، كانت من قبيلة اويرات .

---

(١) هكذا في الأصل .

الثانية : قوتوققه خاتون من قبيلة كوچوكور الذين هم طائفة من النايمان .وقد انجب منها بنتين :

كبراهما : چالوقان‌آقا . وقد زوجت من نايانقه گوركان من قبيلة باياوات . وتزوج ملك تيمور من ابنة چالوقان هذه . واسمها نكودار . وأقامت في موطن ومقام سيور قوقتيتي بيگي . وأنجبت منه فتاة اسمها« قامتي » ولم تتزوج بعد .

والصغرى : تدعى نوموغان ، زوجت من چوبا گوركان من قبيلة اويرات .

الثالثة : قوتلو خاتون ، كانت من قبيلة قونقرات . وقد أقامت أيضا في موطن سيور قوقتيتي بيگي . وليس لها أولاد .

كذلك كان لاريق بوكا محظية اسمها ايراوغوي من قبيلة برولاس ، وهي أخت قدان الذي كان قد قدم في سفارة إلى هنا . ومن هذه المحظية أنجب اريق بوكا ولدا يدعى نايراقوبوقا . كما كان له محظية أخرى لاتزال على قيد الحياة اسمها ايشيتي من قبيلة قونقرات . وكانت تقيم في قصر قوتوقته خاتون . وقد أنجب منها ولدا يدعى تماچس .

ولما توفي اريق بوكا ، ذهبت زوجاته إلى مقره . وبعد ثلاثة أعوام أمر القاآن بأن يحضر أبناء اريق بوكا لمقابلته . فلما تشرفوا بلقائه ، أمر بأن يحكم « يوبوقور » الموطن الأعظم الذي كانت تقيم فيه ييسودر خاتون . وقد تزوج يوبوقور من ييسودر ، وعاشا معا ثلاث سنوات . ولم تنجب ييسودر ثم توفيت . فتزوج بدلا منها من ارنچمه خاتون من قبيلة اوشين . وقد أنجب منها ولدين : اولجايتيمور وهولاچو وهو ملازم لأبيه في موضع اريقان جايدان الذي يتبع نسكى . كذلك يلازم « اولجايتو » تيمور قاآن . وله ابن ثالث أكبر من أخويه واسمه ايل بوقا . ولد من چالون خاتون من قوم قرانوت ، وهم شعبة من قنقرات وقورلاس . وليوبوقور ابن رابع يدعى اودكا . ولد من اوغول تيكين من قبيلة النايمان . وهى بنت أخي كوشلوك خان .

ولأريق بوكا زوجة كانت من زوجات أبيه تولوي خان اسمها نايان خاتون من قبيلة قنقرات .

وقد آل موطن سيور قوقتيتي بيگي إلى اريق بوكا . وعندما جاءت إلى هنا قوتوي خاتون ، تركت الأميرين النجلين : چومقور وطرقاي في ذلك المعسكر . ولما لم يكن هناك أحد من قبل هولاگوخان ، قالوا : « كيف نترك مثل هذا المعسكر خاليا ؟! . . . »فأجلسوا هناك اوغول تيگين خاتون . والآن يشرف اوروه على ذلك المعسكر . وكان في هذا الوقت في الثامنة عشرة من عمره . وهو يلازم ملك تيمور ، وله زوجة تدعى نايتقا . وهى بنت چاتونويان من قبيلة سولدوس حفيد سودون نويان . وقد كلف القاآن « ملك تيمور » الابن الثاني لاريق بوكا بأن يشرف على معسكر لنكقون خاتون . وكانت ابنة كوشلوك خان عاقلة وذات كفاءة للغاية . وكانت أما لابن قوتوقتو . ولقوتوقتو ابن يدعى توكال بوقا . ولد من محظية تدعى « بوته ايكاجي » من قبيلة القپچاق . وقد توفى توكال بوقا هذا في سن الرشد وله أيضا بنتان :

الكبرى : كلميش آقا . زوجت من سالچيوتاي كُورگان من قبيلة قونقرات .

والبنت الصغرى : شيرين آغا . ولدت من قندو ايكاچي من قبيلة باياوات . وقد زوجت من توقجي گوركان من قبيلة اوشين . ولما توفيت لنكقون خاتون تركت بنتا تدعى ايلتيمور . وقد زوجت من « پارس بوقا گوركان » . وتزوج ملك تيمور - بدلا من لنكقون خاتون - ابنة طران نويان حفيد اولدوقر نويان من الجلاير ، واسمها كلته خاتون . وأسكنها في هذا الموطن الكبير . وكان ذلك الموطن من نصيب هولاگوخان . ولكن بسبب بعد المسافة ، وغياب أفراد أسرته ، صار ملك تيمور يتصرف فيه . ولم تنجب كلته خاتون أولادا قط . وكان للملك تيمور زوجة أخرى تدعى « توره » . وهي بنت شيركي من قبيلة دوربان . وكان شيركي واحدا من أمراء چاساول الكبار . وقد أنجب تيمور منها ولدين :

أحدهما يدعى «اويراتاي» ، وهو ملازم لأبيه . والآخر يدعى محمود ، ويقيم هناك أيضا . كذلك أنجب منها ملك تيمور بنتين : إحداهما تدعى امكان . زوجت من توقتيمور گوركان ، حفيد پارس پوقا . وهو من الاويرات . وپارس پوقا هو سبط تورالچي گوركان .

أما البنت الأخرى فتدعى « ايل قوتلوق » . زوجت من ابن كويك من

قبيلة سولدوس . وهو مقدم على الأمراء عند « دوا » . ويقيم في هذا الجانب من نهر جيحون . ولابن كيوك محظية تدعى توقلوق اويلجي بنت بيغره من المماليك . وكان أميرا على مائة جندى .

وأبناء ملك تيمور أربعة ، نذكرهم بالتفصيل الآتي :

١ - منكقان ٢ - اجيقي ٣ - بيسون تو ٤ - باريتاي .

وقد أنجبهم من امكان خاتون ابنة « پارس بوقا » من قبيلة اويرات . وكذلك اعطى «قوبيلاي قاآن » نايرا قوبوقابنت اريق بوكا قصر ايلجيقميش الزوجة الكبرى لاريق بوكا ، وهى من قبيلة اويرات . وقد حاولت هذه الزوجة الانتحار عند وفاة اريق بوكا . ولكنهم لم يدعوها تنفذ رغبتها ، فماتت كمدا بسبب ذلك . ولها بنت في هذا المعسكر اسمها اشيقتي .

وبعد أن ذهبت إلى حضرة القاآن ، بقي ذلك الموطن في يد ملك تيمور .

وهو الآن في حوزة اجيقي بن ملكتيمور . كذلك أعطى القاآن « تماچي » موطن قوتوقته خاتون . ولكن لم يتحقق ذلك ، بسبب وفاة قوتوقته ، فتزوج تماچي - بدلا منها - ايرتيكين ، ابنة سور قدو الباورچي من النايمان . وهو ابن أخي سرتاق وبورندوق اللذين يقيمان هنا . ولأن تماچي قد اصطحب معه تلك الزوجة إلى حضرة القاآن ، بقي ذلك الموطن خاليا .

وكان لنايراقوبوقا بن اريق بوكا خمسة أولاد على هذا التفصيل والترتيب : قوربقه - باجين - سامسكار - بايان أبوكان - آراتيمور .

ووالدة آراتيمور هذا هي اوجين ايكاچي من قبيلة اولقونت . أما والدة الأربعة الآخرين فهي اشيغتاي خاتون من قبيلة قونقورات بنت أخي چابوي خاتون زوجة قوبيلاي قاآن الكبرى .

ولتماچي ولدان : أحدهما يدعى بايان والآخر دوربان . والأمراء الكبار للأمير النجل ملك تيمور بن اريق بوكا - الذي هو متحد الآن مع أبناء قايدو - هم :

الأول : الأمير چاوتو من قبيلة سولدوس حفيد سودون نويان بن سونچاق نويان

أمير التومان في الميسرة . وله ولد يدعى قدان ، يشرف على إحدى الفرق وأسلحتها . وقد تزوج من ابنة ملكتيمور .

الثاني : قبچاق : حفيد منكليك إيچكه من قبيلة قونكقتان . وكان ابنه كوكچو أميرا للتومان . أما چوقورچى فهو من الميمنة . ويشرف على إحدى فرق الاستطلاع وأسلحتها .

الثالث - آلاقا ، أمير الهزاره لقنقيات ، وهو ابن چيلكه بهادر الذي كان قد جاء إلى هنا .

الرابع - چانكقى كوركان من الجلاير . وهو أمير الهزاره . وهذه الفرقة ، كان لها قبل هذا أمير يدعى « اوقى » . وكان مع فرقة اويرات ، بمقتضى الفرمان يقومون بحراسة موضع « اوندور » الموطن الكبير الذي يدفن فيه رفاة العظماء .

وحيث أن الأمراء الأنجال - الذين كانوا مرافقين لنوموغان - قد أظهروا الخلاف ، واضطربت أمور الجيش ، انضم أكثر هذه الفرقة إلى جيش قايدو . وبقى بعضهم هناك . والآن تخص هذه الفرقة أبناء اوقى .

الخامس - كريداي ، وهو كبير الكتاب ومن قبيلة سولدوس .

السادس - كهتي ، وهو أخ في الرضاعة للملك تيمور . وهو أيضا من قبيلة سولدوس . ويشرف على الشئون المتعلقة بالإمدادات والتموين للمعسكر .

السابع - قدقه من قبيلة مركيت ، وهو أمير كبير ، ورئيس المشرفين على شئون القصر . كما أن بيده تدبير شئون القوات المساعدة .

الثامن - ساقتي من قبيلة قونكقتان ، وهو أمير الطلائع .

التاسع - سوكه من قبيلة قونكقتات أيضا ، ويشرف على إحدى الفرق الأستطلاعية .

العاشر - باتوقه بن قوتوقو نويان أمير الهزاره .

الحادي عشر - ايسان تيمور الباورچي بن تومان الباورچي .

الثاني عشر - ييسوتاي بهادر ، أمير المعسكر .

الثالث عشر - اريق بوكا نويان من النايمان .

الرابع عشر - چاولدار بن تور غوچى اليارغوچي من قبيلة ارلات .

الخامس عشر - أبوكان بن بوغره اليارغوچي من الجلاير.

السادس عشر -تنوقان الاختاجي من أسرة جبه نويان من قبيلة ييسوت .

السابع عشر - طغريل بن بورتاق من سولدوس.

الثامن عشر - قندقاى الخزينة چي (المخزنجي) بن اباقى من القراخطاي .

التاسع عشر - ايبشغه السكورچي من القولات .

العشـرون- ملكي اركجي من التازيك. والسلام.

بداية تاريخ تيمور قاآن بن چيم كيم بن قوبلاي قاآن بن تولوي خان بن چنگيز خان

تاريخ تيمور قاآن على ثلاثة أقسام :

القسم الأول ـ في تقرير نسبه المبارك ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وفروع أبنائه الذين تفرعوا حتى هذا الوقت ، وصورته المباركة ، وجدول شعب أبنائه . والسلام .

القسم الثاني ـ في مقدمة جلوسه المبارك ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه على سرير القاآنية ، وبعض الحكايات والوقائع التي حدثت منذ ابتداء عهده المبارك ـ ليكن مؤبدا ـ حتى هذا الوقت ، وبعض ما عرف من حروبه وفتوحاته .

القسم الثالث ـ في سيره وأخلاقه الحميدة ، والأمثال والنصائح الغالية والحكم المستحسنة التي قالها ونصح بها ، وبعض الحكايات والحوادث التي وقعت في تلك البلاد مما لم يدخل في القسمين السابقين ، وإنما عرف متفرقا وغير مرتب من شتى الكتب والأشخاص .

(القسم الأول) من تاريخ تيمور قاآن حفيد قوبيلاي قاآن

في تقرير نسبه ، وشرح وتفصيل أحوال زوجاته ، وفروع أبنائه الذين تفرعوا ، ولا يزالون حتى هذا الوقت ، وصورته المباركة وجدول شعب أبنائه

تيمور قاآن الذي يقال له أيضا اولجايتو قاآن ـ ليدم ظل عدله وإنصافه على رؤوس كافة الأنام سنوات عديدة ـ هو ابن چيم كيم بن قوبيلاي قاآن بن تولوي خان بن چنكيز خان . ولد من زوجته الكبرى كوكچين خاتون في « هوكاريبل » الذي هو عام البقرة الموافق سنة ثلاث وستين وستمائة (٦٦٣هـ = ١٢٦٤ - ١٢٦٥م) .

ويقيم في معسكراته زوجات ومحظيات كثيرات . ولكن بسبب بعد المسافة ، وانسداد الطرق ، لم يعرف إسم كل واحدة منهن حتى الآن . وزوجته الكبرى تدعى بولقان خاتون من قبيلة « باياوت » . وقد أنجب منها ابنا يدعى « تاشى طايشى » . كما أن له ابنا آخر يدعى « مقابلين » من زوجة أخرى . . . (١)

وجدول شعب أبنائه وأحفاده مثبت على هذا الترتيب .

---

(١) هكذا في الأصل

(القسم الثاني)من تاريخ تيمور قاان

في مقدمة جلوسه ، وصورة العرش والخواتين والأمراء الأنجال والأمراء في حالة جلوسه المبارك على سرير القاآنية ، وبعض الحكايات والحوادث التي حدثت منذ ابتداء عهده المبارك - ليكن مؤبداً ومخلداً - حتى هذا الوقت وما عرف من فتوحاته وحروبه

لما توفي قوبيلاي قاآن في « مورين ييل » الذي هو عام الحصان الموافق سنة ثلاث وتسعين وستمائة (٦٩٣ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٣ م) ، أوفدت الزوجة الكبرى لابنه جيم كيم - التي كانت أما لتيمور قاان - المدعو « بايان » في نفس ذلك اليوم بموافقة الأمراء في إثر تيمور قاآن لكي يخبره بوفاة القاآن ، ويستدعيه للجلوس على عرش الملك ، وظلت كوكچين خاتون تصرف مهام الملك ومصالحه مدة عام إلى أن وصل تيمور قاآن .

وعندما حل باليمن ، انعقد مجلس الشورى الكبير . وقد حضره من أعمامه كوكچو وطوغان وأخوه كملا وييسون تيمور ، وابن عمه آننده اوغول بن مينكقالا ، وابنا اوقروچي : تيمور بوقا وايجيل بوقا ، والأمراء الكبار مثل بايان چينگسانگ ، واوچاچار نويان وتوقتاق واولوك اولجاي جينگسانگ ، والتون چينگسانگ وادشمن آقا وجير قلان ونالغو وامباي من التنكقوت وبابوشه من أسرة ايسنكه وتوتوقو چينسگانگ من قبيلة التاتار ، وارقسون ترخان چينگسانگ من أسرة باداي . ومن الخواتين أمثال : نمباي خاتون وابنتها بكچين خاتون ومنزيتاي وكوكچين خاتون وبولوقان خاتون ، وبقية الأمراء الأنجال والأمراء والخواتين ممن يتعذر عدهم ، ويطول إحصاؤهم .

وقد ظهر نزاع وجدال حول العرش والملك بين تيمور قاآن وأخيه كملا الذي كان يكبره سنا . فقالت لهما كوكچين خاتون ذات العقل والكفاءة

الكاملين . « كل من يعرف حكم چنگيزخان ونصائحه الغالية على نحو أفضل يجلس على العرش . والآن فليذكر كل واحد منكما هذه الحكم حتى يرى الحاضرون أيكما يتفوق على الآخر » .

ولما كان تيمور قاآن فصيحا إلى أقصى حد ، أخذ يذكر الحكم المستحسنة بلسان مبين . أما « كملا » فقد كان فيه شيء من اللكنة ، ولم يكن له نصاب كامل في هذا المضمار ، فعجز عن مجاراة أخيه في ميدان المناظرة . فصاح الجميع قائلين : « إن تيمور قاآن أكثر معرفة ، وأحسن بيانا . فهو الجدير بالتاج والعرش » .

وفي مدينة « كيمين فو » في شهور . . .[1] الموافق سنة . . .[1] أجلسوه على عرش القاآنية باليمن وطالع السعد ، وأجروا العادات والرسوم المعهودة عندهم على هذا النمط الذي نسجله . والله أعلم بالصواب .

حكاية ترتيب القاآن مصالح المملكة

بعد ان فرغ المغول من إقامة المآدب والأنس والمرح ، وأجروا ما يلـزم من رسوم التهنئة ، وجه القاآن رأيه المبارك إلى ترتيب شئون الجيش والمملكة ، وعين الأمراء الأنجال والأمراء في الولايات والأطراف ، واختار الوزراء وأصحاب الدواوين ، وأعطى أخاه الأكبر « كملا » نصيبا كاملا من الأموال الموروثة عن أبيه ، وأرسله الى ناحية قراقورم التي هي عبارة عن مناطق چنگيزخان ومعسكراته ، وجعل الجنود في تلك الجهات تحت إمرته ، فيحكم بذلك كل ولايات قراقورم وچيناس وشيناوچي واونن وكلوران وكم كمجيوت وسلينكه وقاياليق حتى حدود قرقيز ، وديار چنيگزخان الكبرى التي تدعى بورقان قالدون . أما معسكرات چنگيزخان ، فإنها لاتزال هناك ، وهو يحافظ عليها . وهذه المعسكرات عبارة عن أربعة معسكرات كبرى وخمسة أخرى ومجموعها تسعة . وتوجد كلها هناك ولا يدخلها كل شخص لأنها المأوى الكبير . حيث أعدت صورهم . وهم يحرقون البخور والعود دائما . وهناك أيضا شيد كملا معبدا للأصنام خاصا به . وأرسل الأمير النجل « آننده » إلى ولاية

(1) هكذا في الأصل

التنكقوت ليرأس جنده وأتباعه . كما أرسل الأمير النجل كوكچو وكوركوز الذي كان صهرا للقاآن ـ إلى حدود قايدو ودوا . وعين طوغان على رأس جيش ، وأمره بأن يرابط في منزى، ليحافظ على تلك الديار . وسير الأمير اجيقي مع جيش إلى حدود قراقوچه . وأقر بايان فنجان في منصب صاحب الديوان كما كان سابقا . ولأنه كان للقب « السيد الأجل » مكانة كبيرة عند التازيك ، وكان المغول قد رأوا أيضا أن الوزير الكبير يلقب بذلك اللقب ، وفي رأيهم أن ذلك اللقب هو أشرف الألقاب ، وأسماها ، لكل ذلك ، أطلق القاآن لقب السيد الأجل على بايان فنچانك ، وذلك على سبيل الاحترام والرفعة . وهو الآن وزير عظيم ومقتدر إلى أقصى حد . أما اولجاى تركان ويكه فنچانك وطوبه وعبدالله فنچان « وامير خواجه سمى » ، وقطب الدين سمچنك ومسعود لنچون فإنهم يصرفون المهام الكبرى في الديوان ، ويديرون شئون البلاد . والسلام .

حكاية الأمير النجل آننده بن مينكقلان بن قوبيلاى قاآن ملك ولاية تنكقوت ، واعتناقه الإسلام ، وذكر بعض من أحوال تلك الولاية وشرح حال مملكته

الأمير النجل آننده بن مينكقلان ، الابن الثالث لقوبيلاي قاآن ، والأخ الأكبر لنوموغان الذي قبض عليه الأمراء الأنجال وكانوا في صحبته ضمن أفراد الجيش الذي أرسل لمقاومة قايدو ، ثم خالفوه ، وأرسلوه إلى أفراد أسرة جوجي . فلما صار ـ تودامونككا ملكا على ذلك الاولوس ، مهد له العذر ، وأرسله إلى قوبيلاى قاآن . فتوفي بعد قليل .

بعد ذلك منح تيمور قاآن « آننده » الجيش الذي كان قد أعطاه لمينكقلان ، وكذلك ولاية تنكقوت التي كانت تابعة له . وتنكقوت بلاد كبيرة ممتدة واسعة ، ويقال لها باللغة الخطائية « خوش » يعنى « وادى المغرب العظيم » . ولأن تلك الولاية تقع على الجانب الغربي لإقليم الخطا ، سميت

عندهم بهذا الاسم . ومدنها الكبرى التي كانت حواضر ملوكهم نذكرها بالتفصيل على النحو التالي :

كينچانفو قمچيو - ازردى - خلچان - آق باليق .

وفي ذلك الإقليم أربع وعشرون مدينة كبيرة ، وأكثر أهله مسلمون . ولكن فلاحيهم ودهاقينهم من الوثنيين . وأشكالهم تشبه الخطائيين . وقبل هذا كانوا يدفعون الخراج لملوك الخطا . وقد وضعوا لمدنهم أسماء خطائية . كذلك مذاهبهم ورسومهم وقوانينهم وعاداتهم شبيهة بما عند الخطائيين .

ولأنه لم يكن يعيش ولد لنوموغان[1] ، عهد إلى رجل مسلم من التركستان يدعى « مهتر حسن الأقتاچي » بتربية ابنه « آننده » . وقد أرضعته زوجة ذلك الرجل ، وتدعى زليخا . ولهذا السبب رسخت العقيدة الإسلامية ، وتوطدت في قلبه ، وتعلم القرآن ، وصار يكتب الخط العربي بجودة فائقة . وكان دائما يقضي وقته في الطاعات والعبادات . أما جيشه المغولي الذي يقرب من مائة وخمسين ألف جندي مغولي ، والذين كانوا تحت إمرته ، فقد أدخل أكثرهم في الإسلام . لكن أحد أمرائه المدعو « سرتاق » ، كان ينكر الإسلام ، فذهب إلى حضرة القاآن ، وشكا إليه قائلا : « إن آننده يلزم المسجد دائما ، ويؤدي الصلاة والصوم ، ويعكف على قراءة القرآن . وقد ختن أكثر أطفال المغول ، وأدخل أغلب الجنود في الإسلام » .

فغضب القاآن لسماعه تلك الحكاية غضبا شديدا ، وأوفد إليه الأخوين : چيرقلنك وچيرتقو ومقدم المشرفين على الصيد كي يمنعوه من تأدية الطاعات والعبادات ، ويبعدوا عنه المسلمين ، ويحثوه على السجود للأصنام وإحراق البخور في معابد الأصنام .

لكن «آننده» استنكر ذلك ، ولم يصغ إلى ما جاء به الرسل ، وقال : «إن الصنم من صنع الإنسان ، فكيف أسجد له ؟ . . . وإذا كان لا يحل لي أن أسجد للشمس التي هي من صنع الله العظيم ، والتي هي روح للعالم المادي ،

---

[1] صحة هذا الاسم « مينككلان » والد آننده ، وليس نوموغان الذي هو ابن آخر لقوبيلاي قاآن .

وسبب الحياة والنماء للحيوان والنبات . فكيف أسجد لصورة مجسمة صنعها الإنسان ؟؟ إنى أسجد لموجود خلقني وخلق القاآن » .

فتضايق القاآن أشد الضيق لسماعه ذلك الكلام ، وأمر بحبس آننده . لكنه ظل ثابتا على الإيمان ، ومصدقا للإسلام . وكان يصرح بقوله : « إن آباءنا جميعا كانوا موحدين ، ويعتقدون بوحدانية الله ويعبدونه ، فلا جرم أن من الله الأزلي عليهم بملك الأرض كلها ببركة ذلك الاعتقاد الراسخ ، وجعلهم رؤساء وملوكا للعالمين حتى صاروا مرفوعي الرأس فخورين ، ولم يسجدوا للأصنام قط » .

فاستدعاه القاآن وسأله : « هل رأيت رؤيا أو سمعت إلهاما ، أو حدث لك شيء ، أو أرشدك شخص إلى طريق الإسلام ؟! . . . أفصح عن اسم هذا الشخص كي يهديني أنا كذلك » . فأجاب آننده : « لقد هداني الله الأعظم إلى معرفته » . فقال القاآن : « إنما هداك الشيطان ذلك السبيل » . فأجاب : « إذا كان الشيطان قد هداني ، فمن الذي هدى غازان خان الذي هو أخى الأكبر ؟! . . . » فلزم القاآن الصمت ، وأخذ يفكر .

فقالت له كوكچين خاتون على سبيل النصح : « لقد جلست على العرش منذ عامين ، ولم يستقر لك الملك بعد ، ولآننده جنود كثيرون ، وجميع هؤلاء الجنود ، وأهل ولاية تنكقوت مسلمون ، ويستنكرون منك هذا الموقف ، وربما يغيرون قلوبهم فتكون قريبين من بلاد الأعداء . وإذن فليس من المصلحة إجباره على ترك الإسلام . فلندعه وشأنه لمذهبه ونحلته » .

فعرف القاآن أن تلك النصيحة من قبيل الإشفاق عليه . فخلى سبيله ، وطيب خاطره كثيرا ، واستماله ، وخلع عليه ، وأرسله ليكون على رأس الجيش وحاكما على ولاية تنكقوت ، ومنحه هذه الولاية .

ومع أن آننده كان يؤمن بالعقيدة الإسلامية ، ويعمل بها منذ الصغر ، لكنه غلا في الأمر ، وبالغ مدة في هذا السبيل عندما سمع أن سلطان الإسلام - خلد الله ملكه - قد أسلم ، وصار موحدا ومعتنقا للدين الحنيف عن يقين ، وصير جميع المغول مسلمين في بلاد ايران ، وحطم كل الأصنام ، وخرب

معابدها . واقتداء بغازان خان ، سعى آننده أيضا في تقوية دين الإسلام . ويمكن أن نستنتج من أحوال آننده وجنده أن الإسلام - عما قريب - سوف يزدهر شأنه في تلك الولايات ، وسيصل إلى حد الكمال . فالناس يدخلون في دين الله أفواجا بمقتضى نص القرآن الكريم ، ويصيرون مؤمنين وموحدين ومسلمين حنفاء .

أما عن أبناء وأحفاد « مهتر حسن » المذكور : هندو ودولتشاه وحيد وجمال آقا ومحمد الاقتاجي ، فإنهم جميعا محترمون ومعظمون ، وبعضهم مقرب إلى والدة تيمور قاآن ، وهم يبذلون الجهود في تقوية دين الإسلام .

بعد ذلك ذهب آننده خلال هذه السنوات المعدودة إلى حضرة القاآن بقصد حضور القوريلتاي ، فأعزه ووقره ، وأعلن آننده عن عقيدته الإسلامية بوضوح تام . وعندما سمع القاآن بإسلام سلطان الاسلام - خلد ملكه - استحسن ذلك ، وقال : إن آننده قد اقتفى أثر غازان في اعتناقه الإسلام ، فليعمل هو أيضا بما سوف يوحى إليه إسلامه ، إذ أنني فكرت فوجدت أن الإسلام طريق مستقيم ودين قويم . ولهذا السبب بذل آننده أقصى جهده في خدمة الإسلام ، وبالغ كثيرا في هذا السبيل » .

ثم عاد آننده مرة أخرى ليرأس ولاية تنكقوت ، ويتولى قيادة الجيش وهو مهيمن ومسيطر سيطرة كاملة عليها .

ومع أن نواب القاآن وكتابه قد عهد إليهم بجباية الأموال هناك ، إلا أن أكثر أموال هذا الإقليم تنفق على جنوده . وبذلك لايصل منها شيء كثير إلى الديوان .

والآن قد أسلم أيضا سرتاق الذي كان ينكر الإسلام ، ويدس لآننده ، وهو أحد أمرائه العظام . وهناك شخص آخر يدعى منكلي ، وهو أيضا مسلم .

ولا بد أن آننده يبلغ الآن الثلاثين من عمره . وهو قمحي اللون تماماً ، وله لحية سوداء وقوام ممشوق . ممتلىء الجسم وله ابن يدعى « اوروك تيمور » . وهو في موطنه مستقر وثابت على عرش الملك . وقد أقام المعابد

والمساجد في معسكراته ودياره . ودائماً مشغول بقراءة القرآن والعبادة .

وبعد أربع سنوات من الجلوس المبارك لتيمور قاآن ، سار دوا بن براق قاصدا مهاجمة الأمراء الانجال والأمراء المذكورين الذين يحرسون حدود ممالك تيمور قاآن . وجريا على العادة المتبعة في الجيوش، كان يرابط في كل قاعدة فوج للاستطلاع والمراقبة . وقد نظموا البريد ، وأقاموا السعاة مابين قاعدة اجيقي وجوتاي التي تقع في نهاية التخوم الغربية ، وبين قاعدة موقلي التي تقع في الشرق . وفي ذلك الوقت أخبر الواحد منهم الآخر أنه يبدو له سواد جيش . ومصادفة كان قد اجتمع الأمراء الأنجال كوكجو وجونكقور وتيكتاداي ، وأقاموا مأدبة ، وعكفوا على الأنس والشراب . وليلا وصل الخبر باقتراب الجيش المغير . وكانوا قد وقعوا سكارى وفقدوا وعيهم ، فلم يستطيعوا السير . غير أن كوركوز كوركان صهر تيمور قاآن سار بجيشه . وعلى الفور وصل العدو . ولما لم تكن قد تكشفت لهم الأحوال ، وكان بعض الجنود من الميمنة والميسرة في جهل بحقائق الأمور ، والطريق بعيد ، لم يستطع أن يتصل بعضهم ببعض .

في ذلك الوقت هجم دوابن براق بجيشه على كوركوز ، ولم يكن معه أكثر من ستة آلاف رجل . فلم تكن له طاقة بمقاومة دوا ، فلحقت به الهزيمة ، وفر هاربا إلى جبل ، فتعقبه الأعداء ، وقبضوا عليه ، وأرادوا قتله . فقال لهم : « أنا كوركوز صهر القاآن » . فأمر قائد جيش دوا بألا يقتلوه ، ويحتفظوا به . ثم ذهب الجنود المنهزمون إلى القاآن . ولأن كوكجو عم القاآن لم يلحق بالجيش بسبب إهماله ، خشي على نفسه ، وظل معتصما في أحد الأركان ، وامتنع عن العودة إلى قاعدته . وقد استدعوه عدة مرات ، لكنه لم يحضر . وفي النهاية أرسل القاآن الأمير النجل اجيقي ، فاستماله وأحضره .

ولما بلغ الجنود الفارون حضرة القاآن ، غضب على الأمراء ، وقبض على جونكقور وتيكتاداي ، وقيدهما ، ثم قال لهما : « كيف جاز لكما أن تتهاونا وتتعللا بعلل كاذبة ؟ » .

وإذا كان جنود تيمور قاآن قد فروا منهزمين ، وكان « دوا » مع جنوده في تلك الجهات ، فإنه في ذلك الوقت أيضا أي في عهد قوبيلاي قاآن ، فر الأمراء

الأنجال : « يوبوقور » و« اولوس بوقا » والأمير « دوردقه » ، وذهبوا الى قايدو ، فأرسلهم هذا إلى دوا . ثم تشاوروا في الأمر ، وتخلوا عن دوا ، وقدموا إلى تيمور قاآن مع اثني عشر ألف جندي . فلما سمع القاآن بقرب وصولهم ، لم يثق بهم ، لأن دوردقه ، كان قد جاء مرة في عهد قوبيلاي قاآن ، وأخذ معه الأمراء المذكورين ، ولهذا السبب أرسل چيرتقو ومباركشاه الدامغاني وساتوق معا بصحبة ايجيقي ، ليأتوا بهم . ثم وصل يوبوقور ودوردقه كلاهما ، وتركا « اولوس بوقا » مع الأسر في منطقة قراقورم لكي يجيئوا في إثرهم على مهل . فأغار « اولوس بوقا » على قراقورم ، ونهب الأسواق والمخازن . فلما بلغ حضرة القاآن ، أدانه قائلا : « كيف جاز لك أن تقوم بمثل هذا الاعتداء على مرقد جنگيز خان؟! . . . » ثم قيده وسجنه . فاعتذر قائلا : « لقد وصلنا إلى هناك هاربين . وكان جنود دوا يتعقبوننا ، فاختلطوا بنا ، وأعملوا الغارة والنهب » . ولكن القاآن لم يقبل عذره . غير أن « طايكي » زوجة « ترمه بالا » وابنه خيشنك اللذين كانا موضع عطف القاآن وعنايته إلى أقصى حد تشفعا لاولوس بوقا الذي كان ابن عم « ترمه بالا » . وبذلك خلصاه من تلك الورطة . لكنه مع هذا لم يثق به ، ولم يرسله إلى أية معركة ، وأمره بأن يلازم العرش . أما يوبوقور ، فقد شمله بعطفه ، وقال : « إنه ليس عليه وزر قط » . ولكنه غضب على الأمير دوردقه ، وأمر بإعدامه ، لأنه قد هرب مرتين ، فبكى دوردقه ، وقال : « لقد خفت من قوبيلاي قاآن ، فهربت . ولكني طوال المدة التي أقمت فيها هناك ، لم أحارب جنود القاآن مطلقا ، ولم أقصدهم بسوء . ولأن تيمور قد صار قاآنا ، سنحت الفرصة ، فتشاورت مع الأمراء الأنجال ، وقدمت إلى هنا ، وأحضرت معي جنودا أكثر ممن سرت بهم معتزما الرحيل معهم . فإذا شملني القاآن بعطفه وعفا عني ، فسوف أصطحب هؤلاء الجنود الذين أحضرتهم ، وجنودا آخرين يوجههم القاآن معي ، وأسير في إثر دوا وأجازيه على ما فعل . وقد أستطيع إنقاذ كوركوز وإعادته مرة أخرى » . فلما عرضوا هذا الكلام على حضرة القاآن ، وتشفعوا له ، غفر له القاآن ذنبه ، وأمره بالذهاب ، وسير معه جيشا معدا . كما أمر بأن يذهب يوبوقور ، فتشفع هو أيضا قائلا : « لقد جئنا بقصد الرحيل على أن يظل هنا جميع أتباعنا ، ونسير نحن لأننا مطلعون على أحوال تلك البلاد ، وما فيها من جيوش ، وبيمن دولة

القاآن سوف نؤدي ما علينا من تبعات إزاء تلك القضية » . فخلع القاآن أيضا على يوبوقور ، وطيب خاطره ، وسيره معهم .

أما دوا فقد كان يسير ببطء ، فارغ البال معتمدا على أنه قد هزم جيش الأعداء ، قاصدا الذهاب إلى معسكراته ، ثم يرسل الجنود إلى القواعد والمناطق التي يرابط فيها آننده ، آجيقي وچوتاي الذين يقيمون في جهات قراخوچه ، ويباغتهم ويطاردهم .

وفي هذا الوقت الذي كان فيه الجنود قد أخذوا يتفرقون عن بعضهم البعض على ضفاف النهر الكبير ، الذي أرادوا عبوره ، ظهر فجأة يوبوقور واولوس بوقا ودوردقه ، وهاجموا دوا وجنوده ، وقتلوا الكثيرين منهم . كما غرق العديدون . ورغم ما بذلوه من جهود ، لم يستطيعوا العثور على كوركوز . لكنهم قبضوا على صهر دوا المدعو . . .[1] ، وعادوا مظفرين منتصرين . فشملهم القاآن بعطفه ، وأنعم عليهم .

بعد ذلك فكر الأمراء في أن يطلقوا سراح صهر دوا إذ يجوز أنه هو أيضا يعيد صهر القاآن . وفي أيام معدودات ، قدم الرسل من قبل دوا ، وأحضروا رسالة مضمونها : « إننا أقدمنا على عمل لقينا جزاءه . وكوركوز موجود عندنا الآن . كما أن صهرنا عندكم » . كذلك أرسل كوركوز إليهم تابعا ، وسلمه رسالة مضمونها : « إنني في صحة جيدة . لكن ليس لي خادم ، وخالي الوفاض . فابعثوا إلى باثنين أو ثلاثة من الأتباع وبعض من النقود » . فسيروا إليه أربعة أمراء من خاصته مع أموال ونعم كثيرة ، واصطحبوا معهم صهر دوا . ولكن ما أن وصلوا إلى هناك ، حتى كان أتباع « دوا » قد قتلوا كوركوز ، وانتحلوا عذرا ، فقالوا : « لقد قمنا بإرساله إلى قايدو . ولكنه قضى نحبه في الطريق » . والسلام .

حكاية محاربة جيش القاآن جيش قايدو ودوا مرتين ، وجرح قايدو في الحرب ، وهلاكه بسبب ذلك الجرح .

بعد ذلك ثار نايان بن قوينچي الذي كان من أسرة اورده . وهو الآن

(۱) هكذا في الأصل .

ملك على ذلك الاولوس . ومن بين أعمامه « كوبلك » . وقد التجأ إلى قايدو ودوا . . . فوقعت بينهم حروب عدة مرات . وكما ذكر في تاريخ جوجى خان ، أرسل رسولا إلى حضرة القاآن يقول : « على جنودكم أن يسيروا دفعة واحدة من هناك ، ويسير من ناحية الشرق جنود بدخشان الذين هم دائما فى مشقة منهم . ومن المؤكد أن جند سلطان الإسلام ـ خلد ملكه ـ سوف يعاوننا من جهة الغرب . وبذلك نحاصر « دوا » و« قايدو » من كل الجهات ، وننجز ذلك الأمر دفعة واحدة » .

وبينما كان القاآن يتشاور سرا مع أفراد أسرته ، قالت كوكچين خاتون والدة القاآن : « إن رعايانا كثيرون في ممالك الخطا ونتكياس ، وولاية قايدو ودوا بعيدة . فإذا أنت سرت إليهم ، فإن ذلك يستلزم مدة سنة أو سنتين حتى يحسم ذلك الأمر مرة واحدة . وقد يحدث خلل أثناء ذلك ، بحيث لايمكن تلافيه مدة طويلة . فيجب الصبر والتريث في الوقت الحالي » . وبناء على ذلك بعثوا بجوابهم إلى جنودهم قائلين : « لقد اتفقنا على هذا القول ، فانتظروا إخطارنا إياكم » . ولهذا توقفوا عن المسير .

وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة ، وفي شهور سنة . . . [1] اعتزم جنود القاآن التوجه إلى قايدو ودوا ، وساروا نحو الجهة التي كانت أقرب إلى قايدو . فتلاقوا وحاربوا حربا طاحنة ، وجرح قايدو في المعركة ، وأوقعوا الهزيمة بجنوده .

ولما كان مقر دوا على مسافة أبعد ، وصل بعد عدة أيام ، فتحاربوا مرة أخرى ، ودارت بينهم حرب طاحنة . فجرح دوا أيضا . وقد توفى قايدو متأثرا بذلك الجرح الذي كان قد أصابه . والسلام .

---

(١) هكذا في الأصل .

حكاية خيانة أمراء القاآن ووزرائه بشأن الجواهر والمرصعات التي كانوا قد اشتروها من التجار، وشفاعة الكاهن تنبه لهم عن طريق الحيلة، وإطلاق سراحهم

كان للكاهن تنبه (تنبه بخشى) التبتي ـ الذي سبق شرح أحواله في تاريخ قوبيلاي قاآن ـ منزلة كبيرة جدا لدى تيمور قاآن أيضا. ومن جملة الحكايات التي تدل على ما كان له من شهرة واحترام هي أنه في وقت من الأوقات كان التجار قد أحضروا مرصعات وجواهر كثيرة لبيعها للقاآن. فحضر الأمراء والوزراء والدلالون، وقدروا ثمنها بمبلغ ستمائة الف من أكياس النقد، وأخذوا الثمن من الخزانة. وقد صرف التجار ما يقرب من مائة وخمسين ألفا من أكياس النقد من جملة الثمن على الأمراء والوزراء. وكان هناك أمير يدعى مقبل فنجان، كان الأمراء الآخرون قد طلبوا عزله قبل ذلك. وكان القاآن قد عينه في منصب «التشريفاتي» الذي يقال له بالخطائية «لنگ قيش». وكان هناك أيضا دلالان، لم يتح لهما الدلالون الآخرون فرصة للعمل. فقال الدلالان لذلك الأمير: «إن تلك المرصعات لا تساوى أزيد من ثلاثمائة ألف كيس من النقد. فعرض مقبل هذا الكلام على القاآن. فصدر الفرمان بتقييم المرصعات مرة أخرى. فأحضروا شهاب الدين قندوزى الذي كان أميرا أعظم (چينگسانگ) على مدينة خينكساى ثم عزل، فقيمها بثلاثمائة ألف كيس من النقد. عندئذ أمر القاآن بالقبض على التجار والدلالين. فاعترف هؤلاء بالمبلغ الذي أعطوه لكل أمير. ولهذا السبب ألقى القبض على الأمراء والوزراء أيضا. وكانوا اثنى عشر[1] شخصا هم:

داشمن چينگسانگ ـ طوبه ـ ساربان ـ پيغميش ـ يكه فنجان ـ عيسى كلمچي ـ بايتچار أخوبايان فنجان ـ شمس الدين قندزى، وثلاثة فناچين آخرون، كلهم زج بهم في السجن بمقر الديوان الأعظم (چينك). ثم صدر الحكم بإعدامهم جميعا. فذهب نساؤهم وأتباعهم إلى كوكچين خاتون

(١) ذكر المؤلف منهم أحد عشر شخصا فقط.

ملتمسين شفاعتها لدى القاآن . فسعت في سبيل خلاصهم ، ولكن لم يتيسر ذلك .

بعد ذلك التجأوا إلى تنيه . وتصادف أن ظهر في ذلك اليوم النجم المعروف بذى الذؤابة . ولهذا السبب أرسل الكاهن تُنيه إلى القاآن ليحضر إلى المعبد للدعاء والتضرع لنجم « ذى الذؤابة » ، فذهب تيمور قاآن إلى هناك . فقال تنيه : « ينبغي إطلاق سراح أربعين سجينا » . ثم قال له « يجب العفو عن مائة سجين آخرين » . وبهذه الوسيلة نجا هؤلاء جميعا . بعد ذلك طلب تنيه أن يصدر الملك مرسوما بالعفو عن هؤلاء ، ويرسله إلى الممالك .

وقد ظل القاآن سبعة أيام في معبد الأصنام يدعو ويتعبد . ثم خرج وأرسل تلك الجماعة لمباشرة أشغالهم وأعمالهم .

فسر بذلك جميع أتباعهم وأشياعهم . لكن بعد ذلك أخذ منهم مبلغ المائة وخمسين ألفا من أكياس النقد التي كانوا قد دفعوها للتجار زيادة عن ثمن المرصعات . والسلام .

كشافات الكتاب

إعداد
محمد محمد فهمي أبو بكر
المفهرس بدار الكتب الوطنية
الدوحة ـ قطر

كيفية ترتيب هذه الكشافات

يراعى أن هذه الكشافات مرتبة ترتيباً أبجدياً بعد تجريد الكلمات من أداة التعريف (الـ) ، وأن علامة (=) بمعنى انظر .

أسماء الأشخاص

ج

گ

ن

اسماء البلدان والأمكنة

ب

أسماء القبائل والشعوب

المصادر التي لزم الرجوع إليها في كتابة الحواشي والتعليقات

أولاً ـ المصادر العربية

ابن أبي الفضائل : مفضل (ت ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م) .
ـ النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، نشر بلوشيه ، باريس ١٩١١ ـ ١٩٣٠ م .

ابن شاكر الكتبي : فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م) .
ـ فوات الوفيات ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١ م .

ابن طباطبا : محمد بن علي المعروف باسم ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م) .
ـ تاريخ مختصر الدول ، طبع المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨ .

ابن الغوطي : كمال الدين عبدالرزاق (ت ٧٢٣ هـ = ١٣٢٣ م) .

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ .

بارتولد : و (ت ١٩٢٧ م) .

ـ تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، نقله عن التركية إلى العربية الدكتور أحمد السعيد سليمان ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

براون : إدوارد جرانڤيل (ت ١٩٢٦ م) .

ـ تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي ، ترجمه عن الانجليزية إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

تقي الدين الفاسي : أبو الطيب محمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢ هـ) .

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤ م .

رشيد الدين : فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) .

ـ جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني ـ الجزء الأول ، الايلخانيون ، تاريخ هولاكوخان ، مع مقدمة كاترمير ، نقله عن الفارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق نشأت ، الدكتور محمد موسى هنداوي ، الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد . وترجم مقدمة كاترمير عن الفرنسية الدكتور محمد محمد القصاص ، القاهرة ١٩٦٠ م .

ـ جامع التواريخ ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني ـ الجزء الثاني ، الايلخانيون : تاريخ أبناء هولاكوخان من آباقاخان إلى گيخاتوخان ، نقله عن الفارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق نشأت ، الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد ، القاهرة ١٩٦٠ .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) .

- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالمجيد ، القاهرة ١٣٧١هـ= ١٩٥٢ م .

فؤاد عبدالمعطي الصياد (دكتور) :

- مؤرخ المغول الكبير : رشيدالدين فضل الله الهمذاني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

- المغول في التاريخ ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٠ م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٣٣١ هـ = ١٩١٤ م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت : ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) .

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٨ م = ١٩٣٤ - ١٩٣٩ م .

- الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبع بمطبعة الساحل الجنوبي = الشيّاح ، بيروت ١٩٥٩ م .

النسوي : نورالدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي .

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي ، القاهرة ١٩٥٣ م .

ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) .

- معجم البلدان ، نشر وستنفلد ، ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م .

ثانياً - المصادر الفارسية

ابن البلخي :
- فهارسنامة (ألف ما بين سنوات ٥٠٠ - ٥١٠) تحقيق سيد جلال الدين طهراني ، طهران ١٣٥٣ هـ = ١٣١٣ هـ . ش .

إقبال (عباس) :
- تاريخ مفصل إيران ، جلد أول ازحملة جنگيزخان تا تشكيل دولت تيموري ، طهران ١٣١٢ هـ . ش .

بهار (محمد تقي ملك الشعراء) :
- سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي ، سه جلد ، طهران ١٣٢١ - ١٣٢٦ هـ. ش.

الجويني : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت ٦٨١ هـ) .
- تاريخ جهانگشاي (ألف ما بين سنة ٦٥٠ - ٦٥٨ هـ) ، نشر وتصحيح محمد بن عبدالوهاب القزويني ، ليدن ١٣٢٩ - ١٣٥٥ هـ = ١٩١١ - ١٩٣٧ م .

رشيدالدين : فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) .
- جامع التواريخ ، جلد دوم در تاريخ پادشاهان مغول از اوكتاي قاآن

تاتيمور قاآن ، نشر ادگار بلوشيه ، ليدن ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .

قزويني : حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (ت ٧٥٠ هـ) .
- نزهة القلوب ، بخش نخست از مقالة سوم ، با مقابلة وحواشي وتعليقات وفهارس ، بكوشش محمد دبير سياقي ، تهران ١٣٣٦ هـ. ش.

وصاف الحضرة (أديب شرف الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازي) :
تاريخ وصاف ، بمباي ١٢٦٩ هـ .

ولاد يمير تسف : ب
- نظام اجتماعي مغول ، ترجمة دكتر شيرين بياني ، بنگاه ترجمة ونشر كتاب ، تهران ١٣٤٥ هـ. ش.

فهرس الموضوعات

صفحة

(٢) تاريخ جوجي بن جنگيزخان

(٣) تاريخ جغتاي بن جنگيزخان

(٤) تاريخ تولوي خان بن جنگيزخان

(٥) تاريخ كيوك خان بن أوكتاي قاآن بن جنكيزخان

(٦) تاريخ منكوقاآن بن تولوي خان بن جنكيزخان

(٧) تاريخ قوبيلاي قاآن بن تولوي خان بن جنگيزخان

(٨) تاريخ تيمور قاآن بن جيم كيم بن قوبيلاي قاآن بن تولوي خان بن جنگيزخان

(٩) كشافات الكتاب

Ahmad Sàeed Rizq

Ahmad Sàeed Rizq